

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

جامعة المرقب

كلية الآداب والعلوم ترهونة
الدراسات العليا

قسم التاريخ

دراسة في التاريخ القديم – لنيل درجة الإجازة العالية

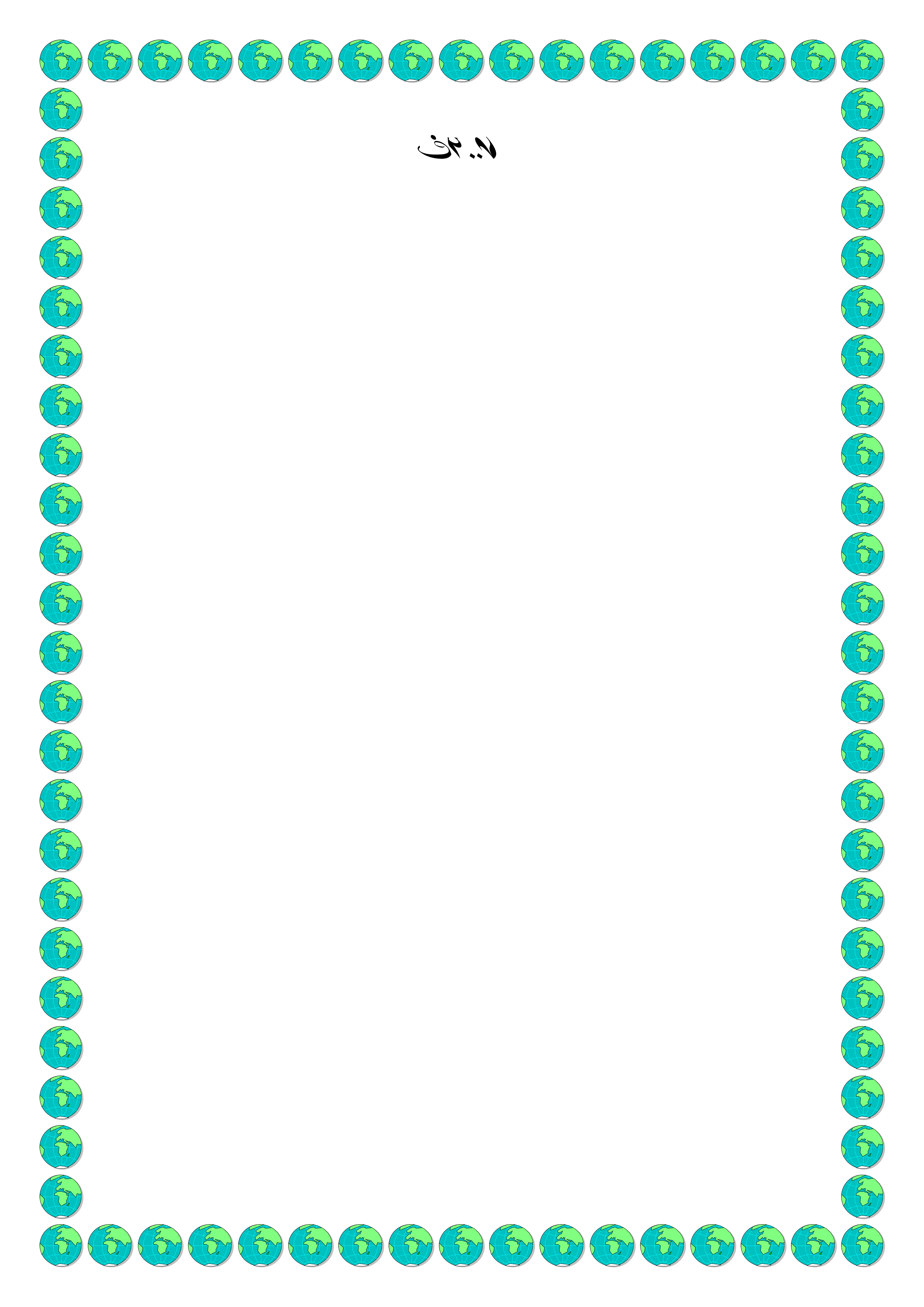
(الماجستير)

بعنوان :

إقليم المدن الثلاث وعلاقته بالمملكة النوميدية من ٢٠٢ق.م – ٤٦ق.م

إعداد الطالب/ **مصباح علي أحمد اسمية**

إشراف الأستاذ الدكتور / **عبد الحفيظ فضيل الميار**



٢٠٠٧ف

بِسْمِ اللّهِ الرحْمَنِ الرَحِيم

(وَتِلْكَ الْقُرَى أهْلَكْنَاهُمْ لَما ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لمُهْلِكِهِم مَوْعِدًا)

صدق الله العظيم

سورة الكهف، الآية٥٩

الإهداء

إلى من علمني كيف أشق درب الحياة، إلى من قدم كل غالٍ ورخيص حتى أصل إلى ما أريد.

إلى روح والدي، وذلك عرفانا بفضله.

إلى من سهرت إلى جانبي وشجعتني بكل ما تملك.

إلى أمي.

إلي من افتقدته وهو صغير. إلي روح ابني.

الي من وقفت معي وهي صبورة الي زوجتي

أهدي هذا البحث، الذي أتمنى أن يكون بداية موفقة في مشوار العلم والمعرفة.

شكر وتقدير

يسرني ويطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أسهم معي وساعدني في إنجاز هذا البحث بداية بقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم بترهونة الذي قبلني طالبا بشعبة الدراسات العليا ،و أتاح لي فرصة القيام بهذه الدراسة .

و أخص بالشكر – والعرفان الأستاذ الدكتور : عبد الحفيظ الميار، الذي كان صاحب الفضل الأول حينما قبل الإشراف على هذه الرسالة، ووجهني لدراسة هذا الموضوع ، وقد استفدت الاستفادة الكبيرة ، بتوجيهاته وعلمه وخبرته ، وأمدني بالمراجع والدراسات، التي كان لها أثر كبير في توجيه الدراسة إلى هدفها .

كما أقدم شكري إلى الزملاء و الأصدقاء الذين قدموا لي يد العون والمساعدة، أخص منهم: الدكتور الناجح الطيب أمي اللجنة الشعبية لكلية الآداب والعلوم بترهونة، الذي كان يحثني دائما على إكمال هذه الدراسة،

والأستاذ جمعة العناق الذي ساعدني في ترجمة الكثير من المراجع المدونة باللغة الإنجليزية . وأقدم شكري وتقديري للقائمين على مكتبة مصلحة الآثار، ومركز جهاد الليبيين، ومكتبة آثار لبدة، ومكتبة قدري، الذين وفروا لي الكثير من المراجع والدوريات، التي كان لها الأثر الكبير في إنجاز هذا البحث.

فهرس المحتويات

الفصل الأول

الفصل الأول

أحوال إقليم المدن الثلاث قبل وقوعه تحت السيطرة النوميدية:

المبحث الأول- لمحة عن الجغرافيا والسكان.

المبحث الثاني- سياسة قرطاج تجاه الإقليم :

(الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لمنطقة المدن الثلاث إبان الحكم القرطاجي).

١- لمحة عن الجغرافيا والسكان

كان شمال أفريقيا يعرف في السابق باسم ليبيا(*)، وهى منطقة تمتد حسب "هيرودوت"(Herodotus) من وادي النيل شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، حيث يحددها "هيرودوت" بقوله: "تمتد ليبيا من حدود مصر شرقا إلى رأس "سوليس" (على المحيط الأطلسي)غربا، ويسكن أرضها الليبيون، وكثير من الشعوب الليبية بغض

(*)- عرفت المنطقة أسماء عديدة قبل اسم ليبيا وخاصة عند المصريين، وأقدم هذه الأسماء هو اسم "تحنو" الذي وجد في رسم يعود إلى عصر ما قبل الأسرات المصرية ،عرف "باللوح الليبي" أو"لوح التحنو"،وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري، وعرفت المنطقة عند المصريين أيضا باسم "لوبيا"، وقد ورد هذا الاسم في السفر الثالث عشر من متن نقوش الكرنك، أورد ترجمته المؤرخ سليم حسن كما يلي".... قائلين: إن رئيس لوبيا {الخاسني }مري بن دد{قد انقض على إقليم }تحنو{ برماته)"، ينظر ،سليم حسن ، مصر القديمة، الهيئة المصرية للكتاب، الجزء الثالث،ص. ١٨٨، والجزء السابع ص. ٢٢، وفي العصر الفينيقي والروماني عرفت أفريقيا الشمالية بأرض لوبيوم (أرض الليبيين)، كما ورد في نقش الإله الليبي أمون في قرية الخضراء بترهونة يراجع : عبد الحفيظ الميار، ليبيا في العهد الفينيقي، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم، طرابلس،٢٠٠٧، ص.ص.٢٠-٢٣ ؛ كذالك : عبد الحفيظ الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح، 2005 ، ص ص 96-97.

النظر عما يملكه الإغريق والفينيقيون هناك...وبعد تلك المنطقة الساحلية ومن بها من شعوب تأتى منطقة أخرى مليئة بالوحوش، وتأتى بعدها منطقة رمال الصحراء"[١].

يفهم من هذا الوصف أن كلمة ليبيا كانت تطلق على كامل الرقعة الممتدة من مصر إلى المحيط الأطلسي، وأن كلمة الليبيين كانت تطلق بصفة عامة على جميع سكان تلك الرقعة، مما يدل دلالة قطعية على وحدة شمال أفريقيا أرضا وبشرا [٢].

ويعد الشمال الأفريقي من الناحية الجغرافية إقليما واحدا، فنجد أن البحر المتوسط يفصله عن القارة الأوربية من الشمال، والمحيط الأطلسي يعزله من الناحية الغربية، والصحراء تفصله عن القارة السمراء من الناحية الجنوبية، مما دعا العرب إلى أن يطلقوا على هذه المنطقة اسم (جزيرة المغرب)[٣].

وهذا التعبير صادق في وصف هذه العزلة الجغرافية لمنطقة الشمال الأفريقي، إلا أن هذه العزلة لم تمنع وصول الهجرات إلى المنطقة، فالصحراء التي تحد هذه الجزيرة من الجنوب كانت تتخللها بعض الأودية التي كانت تتجمع فيها العناصر البشرية المختلفة التي وصلت من الشرق والجنوب في طريقها إلى منطقة الشمال

---

[١] - Herodotus. II, 32 ,114, 115.

[٢] -عبد اللطيف محمود البرغوثي،التاريخ الليبي القديم"من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي"،ط١، دار صادر، بيروت،١٩٧١ ص. ٩.

[٣] - ا.ف.غوتيه، ماضي شمال أفريقيا، تر: هاشم الحسني، ط.١، دار الفرجاني للنشر ،طرابلس، ١٩٧٠ ، ص.٧.

الأفريقي واستقرت فيها، وأصبحت بمثابة الجزيرة التي رست عندها قوافلهم[٤].

ويبدو أن جغرافية شمال أفريقيا بما فيها من جبال وهضاب وأودية، أو ما يعرف بالبنية الجغرافية لشمال أفريقيا، كان لها أثر فاعل في تاريخ المغرب، وقد فرضت عليه حالة من العجز السياسي، التي لم تتمكن المنطقة بسببه من الوصول إلى الوحدة السياسية [١]، وأن العائق الجغرافي هذا والمتمثل في التجزؤ الجغرافي، وصعوبة المواصلات، وعدم صلاحية الأنهار، وطغيان البحر، كان له دور مباشر في الصراع الدائم بين البدو والحضر في المنطقة، ذلك الصراع الذي كان سببا في وجود"أسياد أجانب" بالمنطقة[٢].

أما الإنسان في شمال أفريقيا، وحسب الدراسات الأنثروبولوجية فينتمي إلى عنصرين متميزين من البشر، هما العنصر المتوسطي، والعنصر الأفريقي، وباختلاط هذين العنصرين في منطقة الشمال الأفريقي ظهر العنصر المحلي، الذي قد تهيأ له أن يقيم علاقات فريدة ومتميزة مع عالمين مختلفين : عالم ما وراء الصحراء وأفريقيا، وعالم البحر المتوسط، وأن يؤدي بذلك دور الوسيط في الاتصال الحضاري بين هذين العالمين[٣]، كما يري بعض الباحثين أن سكان شمال

---

[٤] -رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج١ (العصور القديمة)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، ص.٢٢.

[١] - ا.ف.غوتيه، المرجع: السابق، ص.١٠.

[٢] - شارل اندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي ورفيقه، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥، ص.٣٤ .

[٣] - محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة في بلاد المغرب"من سقوط قرطاجة إلى سقوط موريتانيا"،١٤٦ = = ق.م.- ٤٠ م، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ١٩٨٢، ص.٨.

أفريقيا ترجع أصولهم إلي الجزيرة العربية، التي كانت بمثابة منطقة طاردة بسبب جفافها، وصعوبة الحياة فيها، فقام بعض الأقوام الذين كانوا يعيشون فيها بهجرات متعاقبة نحو مناطق مصادر المياه، ومنها منطقة الشمال الأفريقي[١].

ولقد شبه الجغرافي الروماني "سترابو"(Strabo)إقليم شمال أفريقيا بجلد الفهد، باعتباره إقليما مأهولا بالمستوطنات ومحاطا بأرض صحراوية لا ماء فيها[٢].

وكانت منطقة شمال أفريقيا تمتاز بمناخ معتدل، مما سمح بنشوء حياة نباتية وحيوانية منذ القدم، ويذكر "بليني" "أن شمال أفريقيا هو مكان طبيعي لإنتاج الحبوب والألياف، بالإضافة إلى خبرة القرطاجيين التي تهتم بكيفية غرس أشجار الزيتون والفواكه وغيرها"[٣].

وما يهم في هذا الجانب هو تسليط الضوء على جغرافية منطقتين من شمال أفريقيا هما منطقة نوميديا وإقليم المدن الثلاث.

كانت نوميديا تطلق في أول الأمر على جميع الليبيين المستقلين الذين لم ٧٤يخضعوا لحكم قرطاج، وكانوا يقطنون من حدود قرطاج شرقا حتى المحيط

---

[١] -عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ط١، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠١، ص.٣٥. ؛ عبد العزيز سعيد الصويعي، أصول الحرف الليبي (تطور الكتابة عند الليبيين "سكان شمال أفريقيا)، ط.١، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة، ١٩٩٩، ص.١٠٢.

[٢] - Strabo, Geography. II, V, 33.

[٣]-Cook,S.A. et al, “ the imperial Peace (70-90A.D)”, C.A.H. vol: xi, 4th

الأطلسي غربا، والى الصحراء جنوبا .

وأطلق عليهم الرومان اسم نوميديا(*)، والذي كان يبدو أنه قد أطلق على جميع الليبيين وخاصة المستقرين في المناطق الغربية من شمال أفريقيا(١)، ثم أن نوميديا قد امتدت رقعة أراضيها وذلك قبل مجيء الرومان إلى شمال أفريقيا وتدمير مدينة قرطاج، فبلغت حدود المغرب الأقصى، غير أن اسم نوميديا بقي إشارة طيلة العصر التاريخي القديم إلى رقعة الأرض الممتدة من شرق "بلاريجيا" (*Bulla Reja*)، إلى "وادي امبيساجا" (*Ampsaga*) ، (الوادي الكبير حاليا)(٢).

وتنقسم نوميديا إلى قسمين، "قبائل الماسيلي" وهم يشكلون مملكة نوميديا الشرقية، والتي امتدت من مدينة" سيجا"(**) في الغرب إلى حدود قرطاج شرقا(٣).

London, p.680.

(*)- لقد ثبت خطئا الاعتقاد الذي كان سائدا، والذي يفيد إن تسمية نوميديا ليست سوى صيغة لاتينية يطلقها النوميديون على أنفسهم، إلا إن نوميديا اللاتينية "Numidia" هو مصطلح مأخوذ من حالة النص للكلمة الإغريقية "Nomada"، وهو ما يحصل غالبا في الحالات التي يأخذ فيها اللاتينيون الكلمات الإغريقية، فهذه الكلمة تعود إلى الكلمة الإغريقية Nomas" وهي تعني بدوي"، وقد أطلق الإغريق كلمة "بدوي" على كل القبائل الرحالة والغير مستقرة في شمال أفريقيا ،، ينظر: اتوروسلر ، " النوميديون (أصلهم، كتاباتهم، لغتهم)"، تر: نجم الدين غالب، الفصول الأربعة ، العدد٢٣، السنة السادسة، رابطة الأدباء والكتاب والفنانين الليبيين، طرابلس، نوفمبر،١٩٨٣ ،ص١٨٤. ويرى آخرون إن كلمة نوميديا هي نتيجة خلط وقع فيه الكتاب الإغريق بين كلمة "Nomades" الدالة عندهم على الرحل وكلمة ليبية شبيهة بها. ينظر: عمار المحجوبي ، ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية "العهد السويري (١٤٦ ق.م.- ١٣٥م.)، ط١، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠١، ص ٨..

(١) - اتوروسلر، المرجع السابق، ص.١٨٥.

(٢) -عمار المحجوبي ، المرجع السابق ، ص.٨.

(**)-مدينة سيجا ، هي موقع فنيفي قديم على ساحل أفريقيا الشمالي، يقع بالقرب من نهر ملوية وقد كانت أحد عواصم الملك "سيفاكس"، ملك نوميديا الغربية.

(٣) - عبد العزيز عبد الفتاح عمر، روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر أغسطس ، معهد البحوث الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨١ ،"رسالة ماجستير غير منشورة"، ص.٣٧.

أما قبائل الماسازيلي والتي عرفت بمملكة نوميديا الغربية كان يحدها شرقا رأس "ابوقرعون" بشمال "كرتا"، وهو الحد بين مملكتي نوميديا الشرقية والغربية، ويحدها غربا وادي ملوية أي الحدود مع موريتانيا، وكانت لها عاصمتان هما " صاغا"على بعد حوالي تسعين كيلو مترا شرق وادي ملوية، " وكرتا" (قسنطينة الحالية)[١]،(خريطة-١).

ومن المؤكد أن مملكتي نوميديا الشرقية والغربية لم تولدا عشية الحروب البونية بل كان لهما تاريخ أقدم من ذلك يشمل تأسيسهما، وازدهارهما في حياتهما اليومية، ونظمهما، وقوانينهما وعاداتهما وتقاليدهما، وكذلك المدن والقرى التابعة لهما، قبل الحروب البونية .

غير أن الباحث في هذا الإطار يجد صعوبة كبيرة في استيفاء كل المعلومات المطلوبة، وذلك لندرة المصادر التاريخية حول هذا الموضوع، حتى الموجود منها نجده إما قليلا ونادرا، أو من وجهة نظر متحيزة، كما أن الوثائق المكتوبة تكاد تكون منعدمة، والمصادر الأثرية هي الأخرى تكاد تكون منعدمة أو لم يكشف عنها بعد.

جغرافية منطقة إقليم المدن الثلاث:-

عرفت المنطقة الواقعة بين السرت الكبرى(خليج سرت)، والسرت الصغرى (خليج قابس) في الكتابات الإغريقية واللاتينية، بمنطقة (الامبوريا)، أي المناطق التي

---

[١] - أحمد صفر، المغرب العربي القديم، ج١ (من عصر ما قبل التاريخ إلى أخر العصر البيزنطي)، ط١، دار النشر ابوسلامة، تونس ، ب.ت.ن. ، ص١٧٥.

تجمع خيراتها من الأراضي المحيطة بها، إذ إن ثراء هذه المنطقة هو الذي أعطي لها إمكانية التحول إلى أسواق تصدير للمنتجات المختلفة[١]، فالرابط بين خصوبة الأرض والثراء و الامبوريا أشار إليه جميع الكتاب القدامى الذين وصفوا هذه الجهة من شمال إقريقيا.

فقد ذكر"بوليبيوس"(Polybius) في معرض حديثه عن منطقة الامبوري في مناسبتين عندما قال"المنطقة التي يسمونها الامبوريا"[٢]، وكذلك استرابو (Strabo)[٣]،وتيتوس ليفيوس(Livy.T)[٤]، ومن خلال ذكر هؤلاء المؤرخين للمنطقة، فإن كلمة " أمبوريا" لا تعني فقط الميناء بل هي مركز تجاري أيضا، ومن المؤرخين المحدثين من يري أن الامبوريا هو مكان تجلب إليه المنتجات المحلية لبيعها أو تصديرها، أو بالعكس، تصل إليه المواد المستوردة لبيعها للتجار المحلين[٥].

أطلق اسم امبوريا على منطقة المدن الثلاث التي تضم كلا من" لبدة الكبرى وويات، وصبراتة"، [٦]، كما أطلق الإغريق عليها اسم "تريبوليس" (Tripolis)[٧].

---

[١]- Zaghdoud , A. Cotes et Aetivites Littorales en Tripolitaine Tunisinne dans, L' Antiquite, Universite de Sousse,(D.E.A), Tunisie, 2005,p.18.

[٢]- Polybius, xxi, 21,1 ; iii, 23,2.

[٣] – Gsell, S. History Ancienne Afrique du Nord,T.ii, paris 1920 ,p. 127 .

[٤] – Livy,T. xxix,2-5; xxxiv,62-3.

[٥] - Rouje , J. Recherches sur L' Organisation de commerce maritime en mediterranee sous L, Empire Romain , paris, 1996, p.108.

[٦] - Lewis, C. T. & Short, C. A latin Dictionary, Oxford, 1975, p. 644.

[٧] أحمد محمد اندبشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، ط١، دار الجماهيرية للنشر، مصراتة، ١٩٩٣، ص١٥.

غير أنه يوجد اختلاف بين المؤرخين في تحديد مناطق الامبوريا، فمنهم من يرى أنها تمتد من مدينة " ظنية"(*) شمالا، حتى مدينة "صبراتة" جنوبا(١).

ومنهم من يجعلها بين ارض" القبودية" (منطقة الشابة بالمهدية بتونس) شمالا، إلى منطقة رأس أجدير بليبيا جنوبا(٢)، بيد أن المتعارف عليه هو أن منطقة المدن الثلاث تمتد من مذبح الأخوين فيلايني(**) "الرأس العالي"(٣)، حتى منطقة "تينيناي" (Tininai)جنوب صفاقس الحالية غربا (٤).

أما الحدود الجنوبية للإقليم فمن المحتمل أنها قد امتدت حتى المناطق التي يسيطر عليها الجرمنت(٥)، (خريطة-٢).

ومهما اختلفت هذه التحديدات، فانه إن اُرتكز على الخصائص الاقتصادية والتجارية لمفهوم الامبوريا فإنها تنطبق على المناطق الساحلية لسهل جفارة من "قابس" غربا إلى "لبدة الكبرى" شرقا، حيث نجد مختلف المنتجات الجبلية

(*)_ (مدينة ظنية) تقع على بعد ١٠كيلو متر إلى الجنوب من مدينة صفاقس بتونس.

(١)- Rebuffat ,R. "Où étaient les Emporia?" dans Mélanges,M. Sznycer,ii,Paris, 1990,pp.111-115.

(٢) –Trousset, P. "La Vie Littorale et les ports dans ,la Petite Syrte à l'époque Romaine", Colloque sur l'histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord , Avignon,1985, p.318.

(**)- نجد إن الجغرافي الروماني "سترابو" قد حدد الحدود الشرقية للنفوذ القرطاجي إلى الغرب من مذبح الأخوين فيلايني عند قلعة "يفرانتاس";Strabo, Geog .١٧

(٣)- Sallustus , Bell. Jug . 79.

(٤) - عبد الحفيظ الميار،الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص٢١.

(٥) - عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ب.ت.ن، ص١٥٩.

والصحراوية والواحات، بالإضافة إلى المنتجات البحرية، وفي كل الحالات لا يمكن أن يتجاوز الحد الشمالي للامبوريا مدينة " تاكباي" (*Tacapaes*)، غرب مدينة " لبدة الكبرى"، هذه المراكز التي كانت تابعة لقرطاج ، خاصة وان اللقى الأثرية موجودة على طول المناطق الساحلية، التي يظهر من خلالها التأثر الحقيقي لهذه المراكز بالثقافة البونية، لكن بعد الحرب البونية الثانية تخلصت هذه المناطق من هيمنة القرطاجيين، واستحوذ"ماسنسن" على جهة كبيرة منها، ما جعل الرومان فيما بعد يسعون إلى إلحاق منطقة الامبوريا بالأراضي الخاضعة لهم، وخاصة بعد تدمير مدينة قرطاجة[١].

وكانت تضاريس إقليم المدن الثلاث قديما لا تختلف عما هي عليه الآن، فهي تتكون من سهل ساحلي، وسلسلة جبلية، وهضبة صحراوية، "فاسترابو" مثلا يصف الإقليم بأنه عبارة عن سهول وجبال تمتد بين الشريط الساحلي حتى صحراء الجرمنت في الجنوب[٢]، كما يصف سهل سرت الكبير (خليج سرت) بأنه مقفر ومعدوم المياه[٣]. ويري بعض الباحثين أن تآكل الجبل في الثلث الأول من العصر الجيولوجي (الميسوي) وما بعده أدى إلى التوسع في سهل جفارة ، وهذا التآكل كان بسبب

---

(1) – Zaghdoud, A. op. cit. p. 18.

(2) -عبد الحفيظ الميار،الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص٢٢.

(3)- Strabo, Giog .xvii, 2, 3;
Mattingly,D.J.Tripoitania,B.T.Bastford,Limited,London, 1995,p.2.

الوديان التي تعبر سهل جفارة إلى البحر[١].

ويمتد سهل جفارة من شرق مدينة ويات(طرابلس الحالية)إلى منطقة "جيغيثيس"(بوقارة)، حتى إقليم قابس الذي يندمج معه في الشريط الساحلي، هذا السهل كان يعرف(بالصحراء المصغرة)[٢]عند حافة جبل نفوسة.

أما الهضبة الصحراوية، فهي تشمل منطقة واسعة من منطقة القبلة التي تقع خلف الجبل مباشرة غرب منطقة الإقليم، وينخفض سطحها عن سطح بقية الصحراء الممتدة إلى الجنوب، وتشمل هذه الهضبة أحواض أودية زمزم، والبي الكبير، وسوف الجين التي تنحدر نحو خليج سرت[٣]، وإلى الجنوب من هذه الهضبة التي تعرف بمنطقة الظاهر[٤] توجد الحمادة الحمراء، وهي منطقة صخرية شاسعة تمتد من منطقة الظاهر شمالا حتى الحافة الشمالية لحوض فزان جنوبا[٥]، ويتراوح ارتفاعها ما بين (٤٥٠م إلى ٥١٠م)، وتعد من المناطق الفقيرة من ناحية الحياة النباتية والحيوانية[٦].

أما من الناحية الشرقية لإقليم المدن الثلاثة(خليج سرت) فالهضبة الصحراوية

---

[١] –Mattingly, D. op. cit. P6.

[٢] - عبد الطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص.١٠.

[٣] – Haynes, D.E.L. Antiquities of Tripolitania An archaeological and Historical, Guide, to the pre- Islamic, 4th Edit , D. O. A. Tripoli,p1

[٤]–Mattingly, D. op.cit. p1.

[٥] -عبد العزيز طريح شرف، المرجع السابق، ص.٨٤.

[٦] - أحمد محمد انديشة، المرجع السابق ، ص. ٢٢.

تتداخل مع السهول في البحر ومن الصعب التمييز بينها وبين الصحراء،ولا يشكل سطح الهضبة الصحراوية عائقاً للحركة، ويفرض وجود الماء من عدمه عملية إمكانية الاستقرار البشري في هذه المنطقة، وتعد الهضبة الصحراوية حلقة الوصل بين المناطق التي تقع إلى الشمال منها، والمناطق الجنوبية[١].

وفيما يتعلق بسكان الإقليم يرى كثير من الباحثين أن سكانه كما هو الحال في شمال أفريقيا عامة ترجع أصولهم إلى الشعوب السامية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى مناطق متفرقة بسبب الجفاف والظروف المعيشية الصعبة هناك، ونظراً لازدحام شبه الجزيرة العربية بالسكان، شبهها العلماء بخزان كبير من المياه عندما يمتلئ يفيض ما زاد عن سعته، وأنها منطقة طاردة بسبب جفافها وصعوبة الحياة فيها[٢]، فهاجرت منها بعض المجموعات السكانية المتعاقبة باتجاه شمال أفريقيا عن طريق باب المندب، و شبه جزيرة سيناء، و مصر، وجنوب بلاد جنوب الصحراء، ثم استقرت في منطقة الصحراء الكبرى، ثم هاجرت إلى شمال أفريقيا،حيث ويعتقد أن سكان شمال أفريقيا القدماء يرجعون في أصولهم إلى مجموعات سكانية قديمة سكنت المنطقة من العصر الحجري القديم، واختلطت مع عناصر سكانية أخرى منها العنصر السامي القادم من منطقة شبه الجزيرة العربية من أهمهم الفينيقيين، وامتزجت

---

[١] ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص. ٢٧.

[٢] ـ رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.١١٣؛ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق، ص٣٥.

هذه العناصر الوافدة مع العنصر الزنجي الأفريقي، وشكلوا سكان شمال أفريقيا[1].

وهكذا فعندما جاء الفينيقيون إلى أرض الشمال الأفريقي، ممارسين مهنتهم "التجارة" ومستكشفين طرقا تجارية جديدة (ربما لم يسبقهم أحد إليها)، وجدوا أرضا وشعوبا، كانت تقيم على ساحل الشمال الأفريقي منذ بداية التاريخ، بل كان هذا الساحل مأهولا بقبائل بدوية بدأت طور حياتها بمراحل التقاط الطعام، ثم الصيد، ثم الرعي إلى جانب الصيد، ثم مارست الرعي و الزراعة[2].

فوجد الفينيقيون أنفسهم في أرضٍ فيها شعوب يمكن التعايش معها، ومشاركتهم أرضهم وخيراتهم، فوجدوا الأرض الغنية والأمن والأمان والترحاب من قبل أهل هذه الأرض، فهذا كله من شأنه أن يحقق حلم كل من أراد بناء مستوطنة أو مركز تجاري يمكن أن يكون قاعدة متقدمة في طريق التجارة الطويل الذي يربط بين الوطن الفينيقي ومراكز الثروة في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

ثانيا: سياسة قرطاج تجاه إقليم الامبوريا

(الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لمنطقة المدن الثلاث إبان

---

(1) - محمد سليمان أيوب، جرمه في تاريخ الحضارة الليبية، ط.١، دار المصراتي للطباعة والنشر،طرابلس، ١٩٦٩، ص.٢٣٩ .

(2) - عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص.ص. ١٣٤ – ١٣٧ ؛ شارل اندريه جوليان ، المرجع السابق، ص.٧٥ .

الحكم القرطاجي):

الفينيقي اسم أطلقه الإغريق على شعب سامي من ضمن الشعوب الكنعانية، (سكان الساحل السوري في شرق البحر المتوسط) .

وقد فسر بعض المؤرخين كلمة فينيقي أنها تعني اللون الأرجواني[١]، وذلك راجع لاهتمام هذا الشعب بصناعة الأقمشة المصبوغة باللون الأرجواني، التي تستخلص مادته من محارات بحرية[*]، وقد ذكر هذه التسمية " الفينيقيين " الشاعر الإغريقي هوميروس عندما وصف الفينيقيين بالمهارة في الصناعات اليدوية وركوب البحر والتجارة [٢].

وقد ارتاد الفينيقيون البحر منذ القدم، حيث ذاع صيت الصوريين والصيدونيين بسرعة تجارا مهرة في العالم القديم، لتمكنهم من فرض أنفسهم على منافسيهم من العبرانيين[3]، وقد يعد الدافع الاقتصادي، هو الدافع الرئيسي للتوسع الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ساعدته بعض العوامل والظروف السياسية.

ويبدو أن الفينيقيين قد سبقوا الإغريق في دخول شمال أفريقيا، وفي استعمارها،

---

[١]- فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين،ج.١، تر: جورج حداد ورفيقه ، ط. ٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨ ص.٨٧، ؛ أحمد توفيق المدني، " الفينيقيون"، مجلة اللسان العربي، العدد الثالث، المكتب الدائم لتنسيق التعربة ، الرباط، ١٩٦٥، ص. ١٢٩ .

[*]- لمزيد من المعلومات حول صناعة واستخلاص.الأصباغ الأرجوانية يرجي مراجع: فيليب حتى، المرجع السابق ، ص.ص. ١٠٣,١٠٢

[٢] ــ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق ، ص.٩٥.

[3]- محمد رفعت، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، ط.١، القاهرة، ١٩٥٠، ص.١٩.

الفصل الأول

الفصل الأول

أحوال إقليم المدن الثلاث قبل وقوعه تحت السيطرة النوميدية:

المبحث الأول– لمحة عن الجغرافيا والسكان.

المبحث الثاني– سياسة قرطاج تجاه الإقليم :

(الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لمنطقة المدن الثلاث إبان الحكم القرطاجي).

١- لمحة عن الجغرافيا والسكان

كان شمال أفريقيا يعرف في السابق باسم ليبيا[(*)]، وهى منطقة تمتد حسب "هيرودوت"(Herodotus) من وادي النيل شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، حيث يحددها "هيرودوت" بقوله: "تمتد ليبيا من حدود مصر شرقا إلى رأس "سوليس" (على المحيط الأطلسي)غربا، ويسكن أرضها الليبيون، وكثير من الشعوب الليبية بغض

[(*)]- عرفت المنطقة أسماء عديدة قبل اسم ليبيا وخاصة عند المصريين، وأقدم هذه الأسماء هو اسم "تحنو" الذي وجد في رسم يعود إلى عصر ما قبل الأسرات المصرية ،عرف "باللوح الليبي" أو"لوح التحنو"،وهو محفوظ الآن بالمتحف المصري، وعرفت المنطقة عند المصريين أيضا باسم "لوبيا"، وقد ورد هذا الاسم في السفر الثالث عشر من متن نقوش الكرنك، أورد ترجمته المؤرخ سليم حسن كما يلي".... قائلين: إن رئيس لوبيا {الخاسني }مري بن دد{قد انقض على إقليم }تحنو{ برماته)"، ينظر ،سليم حسن ، مصر القديمة، الهيئة المصرية للكتاب، الجزء الثالث،ص. ١٨٨، والجزء السابع ص. ٢٢، وفي العصر الفينيقي والروماني عرفت أفريقيا الشمالية بأرض لوبيوم (أرض الليبيين)، كما ورد في نقش الإله الليبي أمون في قرية الخضراء بترهونة يراجع : عبد الحفيظ الميار، ليبيا في العهد الفينيقي، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم، طرابلس،٢٠٠٧، ص.ص.٢٠-٢٣ ؛ كذالك : عبد الحفيظ الميار، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح، 2005 ، ص ص 96-97.

النظر عما يملكه الإغريق والفينيقيون هناك...وبعد تلك المنطقة الساحلية ومن بها من شعوب تأتى منطقة أخرى مليئة بالوحوش، وتأتى بعدها منطقة رمال الصحراء"[١].

يفهم من هذا الوصف أن كلمة ليبيا كانت تطلق على كامل الرقعة الممتدة من مصر إلى المحيط الأطلسي، وأن كلمة الليبيين كانت تطلق بصفة عامة على جميع سكان تلك الرقعة، مما يدل دلالة قطعية على وحدة شمال أفريقيا أرضا وبشرا [٢].

ويعد الشمال الأفريقي من الناحية الجغرافية إقليما واحدا، فنجد أن البحر المتوسط يفصله عن القارة الأوربية من الشمال، والمحيط الأطلسي يعزله من الناحية الغربية، والصحراء تفصله عن القارة السمراء من الناحية الجنوبية، مما دعا العرب إلى أن يطلقوا على هذه المنطقة اسم (جزيرة المغرب)[٣].

وهذا التعبير صادق في وصف هذه العزلة الجغرافية لمنطقة الشمال الأفريقي، إلا أن هذه العزلة لم تمنع وصول الهجرات إلى المنطقة، فالصحراء التي تحد هذه الجزيرة من الجنوب كانت تتخللها بعض الأودية التي كانت تتجمع فيها العناصر البشرية المختلفة التي وصلت من الشرق والجنوب في طريقها إلى منطقة الشمال

---

[١] - Herodotus. II, 32 ,114, 115.

[٢] -عبد اللطيف محمود البرغوثي،التاريخ الليبي القديم"من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي"،ط١، دار صادر، بيروت،١٩٧١ ص. ٩.

[٣] - ا.ف.غوتيه، ماضي شمال أفريقيا، تر: هاشم الحسني، ط.١، دار الفرجاني للنشر ،طرابلس، ١٩٧٠ ، ص.٧.

الأفريقي واستقرت فيها، وأصبحت بمثابة الجزيرة النى رست عندها قوافلهم[٤].

ويبدو أن جغرافية شمال أفريقيا بما فيها من جبال وهضاب وأودية، أو ما يعرف بالبنية الجغرافية لشمال أفريقيا، كان لها أثر فاعل في تاريخ المغرب، وقد فرضت عليه حالة من العجز السياسي، التي لم تتمكن المنطقة بسببه من الوصول إلى الوحدة السياسية [١]، وأن العائق الجغرافي هذا والمتمثل في التجزؤ الجغرافي، وصعوبة المواصلات، وعدم صلاحية الأنهار، وطغيان البحر، كان له دور مباشر في الصراع الدائم بين البدو والحضر في المنطقة، ذلك الصراع الذي كان سببا في وجود"أسياد أجانب" بالمنطقة[٢].

أما الإنسان في شمال أفريقيا، وحسب الدراسات الأنثروبولوجية فينتمي إلى عنصرين متميزين من البشر، هما العنصر المتوسطي، والعنصر الأفريقي، وباختلاط هذين العنصرين في منطقة الشمال الأفريقي ظهر العنصر المحلي، الذي قد تهيأ له أن يقيم علاقات فريدة ومتميزة مع عالمين مختلفين : عالم ما وراء الصحراء وأفريقيا، وعالم البحر المتوسط، وأن يؤدي بذلك دور الوسيط في الاتصال الحضاري بين هذين العالمين[٣]، كما يري بعض الباحثين أن سكان شمال

---

[٤] -رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج١ (العصور القديمة)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، ص.٢٢.

[١] - ا.ف.غوتيه، المرجع: السابق، ص.١٠.

[٢] - شارل اندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي ورفيقه، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٥، ص.٣٤ .

[٣] - محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة في بلاد المغرب"من سقوط قرطاجة إلى سقوط موريتانيا"،١٤٦ = = ق.م.- ٤٠ م، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ١٩٨٢، ص.٨.

أفريقيا ترجع أصولهم إلي الجزيرة العربية، التي كانت بمثابة منطقة طاردة بسبب جفافها، وصعوبة الحياة فيها، فقام بعض الأقوام الذين كانوا يعيشون فيها بهجرات متعاقبة نحو مناطق مصادر المياه، ومنها منطقة الشمال الأفريقي[١].

ولقد شبه الجغرافي الروماني "سترابو"(Strabo)إقليم شمال أفريقيا بجلد الفهد، باعتباره إقليما مأهولا بالمستوطنات ومحاطا بأرض صحراوية لا ماء فيها[٢].

وكانت منطقة شمال أفريقيا تمتاز بمناخ معتدل، مما سمح بنشوء حياة نباتية وحيوانية منذ القدم، ويذكر "بليني" "أن شمال أفريقيا هو مكان طبيعي لإنتاج الحبوب والألياف، بالإضافة إلى خبرة القرطاجيين التي تهتم بكيفية غرس أشجار الزيتون والفواكه وغيرها"[٣].

وما يهم في هذا الجانب هو تسليط الضوء على جغرافية منطقتين من شمال أفريقيا هما منطقة نوميديا وإقليم المدن الثلاث.

كانت نوميديا تطلق في أول الأمر على جميع الليبيين المستقلين الذين لم ٧٤يخضعوا لحكم قرطاج، وكانوا يقطنون من حدود قرطاج شرقا حتى المحيط

---

[١] -عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، ط١، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠١، ص.٣٥. ؛ عبد العزيز سعيد الصويعي، أصول الحرف الليبي (تطور الكتابة عند الليبيين "سكان شمال أفريقيا)، ط.١، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة، ١٩٩٩، ص.١٠٢.

[٢] - Strabo, Geography. II, V, 33.

[٣]-Cook,S.A. et al, “ the imperial Peace (70-90A.D)”, C.A.H. vol: xi, 4th

الأطلسي غربا، والى الصحراء جنوبا .

وأطلق عليهم الرومان اسم نوميديا(*)، والذي كان يبدو أنه قد أطلق على جميع الليبيين وخاصة المستقرين في المناطق الغربية من شمال أفريقيا(١)، ثم أن نوميديا قد امتدت رقعة أراضيها وذلك قبل مجيء الرومان إلى شمال أفريقيا وتدمير مدينة قرطاج، فبلغت حدود المغرب الأقصى، غير أن اسم نوميديا بقي إشارة طيلة العصر التاريخي القديم إلى رقعة الأرض الممتدة من شرق "بلاريجيا" (*Bulla Reja*)، إلى "وادي امبيساجا" (*Ampsaga*) ، (الوادي الكبير حاليا)(٢).

وتنقسم نوميديا إلى قسمين، "قبائل الماسيلي" وهم يشكلون مملكة نوميديا الشرقية، والتي امتدت من مدينة" سيجا"(**) في الغرب إلى حدود قرطاج شرقا(٣).

London, p.680.

(*)- لقد ثبت خطئا الاعتقاد الذي كان سائدا، والذي يفيد إن تسمية نوميديا ليست سوى صيغة لاتينية يطلقها النوميديون على أنفسهم، إلا إن نوميديا اللاتينية "Numidia" هو مصطلح مأخوذ من حالة النص للكلمة الإغريقية "Nomada"، وهو ما يحصل غالبا في الحالات التي يأخذ فيها اللاتينيون الكلمات الإغريقية، فهذه الكلمة تعود إلى الكلمة الإغريقية Nomas" وهي تعني بدوي"، وقد أطلق الإغريق كلمة "بدوي" على كل القبائل الرحالة والغير مستقرة في شمال أفريقيا ،، ينظر: اتوروسلر ، " النوميديون (أصلهم، كتاباتهم، لغتهم)"، تر: نجم الدين غالب، الفصول الأربعة ، العدد٢٣، السنة السادسة، رابطة الأدباء والكتاب والفنانين الليبيين، طرابلس، نوفمبر،١٩٨٣ ،ص١٨٤. ويرى آخرون إن كلمة نوميديا هي نتيجة خلط وقع فيه الكتاب الإغريق بين كلمة "Nomades" الدالة عندهم على الرحل وكلمة ليبية شبيهة بها. ينظر: عمار المحجوبي ، ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية "العهد السويري (١٤٦ ق.م.- ١٣٥م.)، ط١، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠١، ص ٨..

(١) - اتوروسلر، المرجع السابق، ص.١٨٥.

(٢) -عمار المحجوبي ، المرجع السابق ، ص.٨.

(**)-مدينة سيجا ، هي موقع فنيفي قديم على ساحل أفريقيا الشمالي، يقع بالقرب من نهر ملوية وقد كانت أحد عواصم الملك "سيفاكس"، ملك نوميديا الغربية.

(٣) - عبد العزيز عبد الفتاح عمر، روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر أغسطس ، معهد البحوث الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨١ ،"رسالة ماجستير غير منشورة"، ص.٣٧.

أما قبائل الماسازيلي والتي عرفت بمملكة نوميديا الغربية كان يحدها شرقا رأس "ابوقرعون" بشمال "كرتا"، وهو الحد بين مملكتي نوميديا الشرقية والغربية، ويحدها غربا وادي ملوية أي الحدود مع موريتانيا، وكانت لها عاصمتان هما " صاغا"على بعد حوالي تسعين كيلو مترا شرق وادي ملوية، " وكرتا" (قسنطينة الحالية)[١]،(خريطة–١).

ومن المؤكد أن مملكتي نوميديا الشرقية والغربية لم تولدا عشية الحروب البونية بل كان لهما تاريخ أقدم من ذلك يشمل تأسيسهما، وازدهارهما في حياتهما اليومية، ونظمهما، وقوانينهما وعاداتهما وتقاليدهما، وكذلك المدن والقرى التابعة لهما، قبل الحروب البونية .

غير أن الباحث في هذا الإطار يجد صعوبة كبيرة في استيفاء كل المعلومات المطلوبة، وذلك لندرة المصادر التاريخية حول هذا الموضوع، حتى الموجود منها نجده إما قليلا ونادرا، أو من وجهة نظر متحيزة، كما أن الوثائق المكتوبة تكاد تكون منعدمة، والمصادر الأثرية هي الأخرى تكاد تكون منعدمة أو لم يكشف عنها بعد.

جغرافية منطقة إقليم المدن الثلاث:–

عرفت المنطقة الواقعة بين السرت الكبرى(خليج سرت)، والسرت الصغرى (خليج قابس) في الكتابات الإغريقية واللاتينية، بمنطقة (الامبوريا)، أي المناطق التي

---

[١] - أحمد صفر، المغرب العربي القديم، ج١ (من عصر ما قبل التاريخ إلى أخر العصر البيزنطي)، ط١، دار النشر ابوسلامة، تونس ، ب.ت.ن. ، ص١٧٥.

تجمع خيراتها من الأراضي المحيطة بها، إذ إن ثراء هذه المنطقة هو الذي أعطي لها إمكانية التحول إلى أسواق تصدير للمنتجات المختلفة[١]، فالرابط بين خصوبة الأرض والثراء و الامبوريا أشار إليه جميع الكتاب القدامى الذين وصفوا هذه الجهة من شمال إفريقيا.

فقد ذكر"بوليبيوس"(Polybius) في معرض حديثه عن منطقة الامبوري في مناسبتين عندما قال"المنطقة التي يسمونها الامبوريا"[٢]، وكذلك استرابو (Strabo)[٣]،وتيتوس ليفيوس(Livy.T)[٤]، ومن خلال ذكر هؤلاء المؤرخين للمنطقة، فإن كلمة " أمبوريا" لا تعني فقط الميناء بل هي مركز تجاري أيضا، ومن المؤرخين المحدثين من يري أن الامبوريا هو مكان تجلب إليه المنتجات المحلية لبيعها أو تصديرها، أو بالعكس، تصل إليه المواد المستوردة لبيعها للتجار المحلين[٥].

أطلق اسم امبوريا على منطقة المدن الثلاث التي تضم كلا من" لبدة الكبرى وويات، وصبراتة"، [٦]، كما أطلق الإغريق عليها اسم "تريبوليس" (Tripolis)[٧].

---

[١]- Zaghdoud , A. Cotes et Aetivites Littorales en Tripolitaine Tunisinne dans, L' Antiquite, Universite de Sousse,(D.E.A), Tunisie, 2005,p.18.

[٢]- Polybius, xxi, 21,1 ; iii, 23,2.

[٣] – Gsell, S. History Ancienne Afrique du Nord,T.ii, paris 1920 ,p. 127 .

[٤] – Livy,T. xxix,2-5; xxxiv,62-3.

[٥] - Rouje , J. Recherches sur L' Organisation de commerce maritime en mediterranee sous L, Empire Romain , paris, 1996, p.108.

[٦] - Lewis, C. T. & Short, C. A latin Dictionary, Oxford, 1975, p. 644.

[٧] أحمد محمد اندبشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، ط١، دار الجماهيرية للنشر، مصراتة، ١٩٩٣، ص١٥.

غير أنه يوجد اختلاف بين المؤرخين في تحديد مناطق الامبوريا، فمنهم من يرى أنها تمتد من مدينة " ظنية"(*) شمالا، حتى مدينة "صبراتة" جنوبا(١).

ومنهم من يجعلها بين ارض" القبودية" (منطقة الشابة بالمهدية بتونس) شمالا، إلى منطقة رأس أجدير بليبيا جنوبا(٢)، بيد أن المتعارف عليه هو أن منطقة المدن الثلاث تمتد من مذبح الأخوين فيلايني(**) "الرأس العالي"(٣)، حتى منطقة "تينيناي" (Tininai)جنوب صفاقس الحالية غربا (٤).

أما الحدود الجنوبية للإقليم فمن المحتمل أنها قد امتدت حتى المناطق التي يسيطر عليها الجرمنت(٥)، (خريطة-٢).

ومهما اختلفت هذه التحديدات، فانه إن أُرتكز على الخصائص الاقتصادية والتجارية لمفهوم الامبوريا فإنها تنطبق على المناطق الساحلية لسهل جفارة من "قابس" غربا إلى "لبدة الكبرى" شرقا، حيث نجد مختلف المنتجات الجبلية

(*)_ (مدينة ظنية) تقع على بعد ١٠كيلو متر إلى الجنوب من مدينة صفاقس بتونس.

(١)- Rebuffat ,R. "Où étaient les Emporia?" dans Mélanges,M. Sznycer,ii,Paris, 1990,pp.111-115.

(٢) –Trousset, P. "La Vie Littorale et les ports dans ,la Petite Syrte à l'époque Romaine", Colloque sur l'histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord , Avignon,1985, p.318.

(**)- نجد إن الجغرافي الروماني "سترابو" قد حدد الحدود الشرقية للنفوذ القرطاجي إلى الغرب من مذبح الأخوين فيلايني عند قلعة "يفرانتاس";١٧. Strabo, Geog

(٣)- Sallustus , Bell. Jug . 79.

(٤) - عبد الحفيظ الميار،الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص٢١.

(٥) - عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ب.ت.ن، ص١٥٩.

والصحراوية والواحات، بالإضافة إلى المنتجات البحرية، وفي كل الحالات لا يمكن أن يتجاوز الحد الشمالي للامبوريا مدينة " تاكباي" (*Tacapaes*)، غرب مدينة " لبدة الكبرى"، هذه المراكز التي كانت تابعة لقرطاج ، خاصة وان اللقى الأثرية موجودة على طول المناطق الساحلية، التي يظهر من خلالها التأثر الحقيقي لهذه المراكز بالثقافة البونية، لكن بعد الحرب البونية الثانية تخلصت هذه المناطق من هيمنة القرطاجيين، واستحوذ"ماسنسن" على جهة كبيرة منها، ما جعل الرومان فيما بعد يسعون إلى إلحاق منطقة الامبوريا بالأراضي الخاضعة لهم، وخاصة بعد تدمير مدينة قرطاجة[١].

وكانت تضاريس إقليم المدن الثلاث قديما لا تختلف عما هي عليه الآن، فهي تتكون من سهل ساحلي، وسلسلة جبلية، وهضبة صحراوية، "فاسترابو" مثلا يصف الإقليم بأنه عبارة عن سهول وجبال تمتد بين الشريط الساحلي حتى صحراء الجرمنت في الجنوب[٢]، كما يصف سهل سرت الكبير (خليج سرت) بأنه مقفر ومعدوم المياه[٣]. ويري بعض الباحثين أن تآكل الجبل في الثلث الأول من العصر الجيولوجي (الميسوي) وما بعده أدى إلى التوسع في سهل جفارة ، وهذا التآكل كان بسبب

---

[1] – Zaghdoud, A. op. cit. p. 18.

[2] -عبد الحفيظ الميار،الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص٢٢.

[3]- Strabo, Giog .xvii, 2, 3;
Mattingly,D.J.Tripoitania,B.T.Bastford,Limited,London, 1995,p.2.

الوديان التي تعبر سهل جفارة إلى البحر[١].

ويمتد سهل جفارة من شرق مدينة ويات(طرابلس الحالية)إلى منطقة "جيغيثيس"(بوقارة)، حتى إقليم قابس الذي يندمج معه في الشريط الساحلي، هذا السهل كان يعرف(بالصحراء المصغرة)[٢]عند حافة جبل نفوسة.

أما الهضبة الصحراوية، فهي تشمل منطقة واسعة من منطقة القبلة التي تقع خلف الجبل مباشرة غرب منطقة الإقليم، وينخفض سطحها عن سطح بقية الصحراء الممتدة إلى الجنوب، وتشمل هذه الهضبة أحواض أودية زمزم، والبي الكبير، وسوف الجين التي تنحدر نحو خليج سرت[٣]، وإلى الجنوب من هذه الهضبة التي تعرف بمنطقة الظاهر[٤] توجد الحمادة الحمراء، وهي منطقة صخرية شاسعة تمتد من منطقة الظاهر شمالا حتى الحافة الشمالية لحوض فزان جنوبا[٥]، ويتراوح ارتفاعها ما بين (٤٥٠م إلى ٥١٠م)، وتعد من المناطق الفقيرة من ناحية الحياة النباتية والحيوانية[٦].

أما من الناحية الشرقية لإقليم المدن الثلاثة(خليج سرت) فالهضبة الصحراوية

---

[١] –Mattingly, D. op. cit. P6.

[٢] - عبد الطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص.١٠.

[٣] – Haynes, D.E.L. Antiquities of Tripolitania An archaeological and Historical, Guide, to the pre- Islamic, 4th Edit , D. O. A. Tripoli,p1

[٤] –Mattingly, D. op.cit. p1.

[٥] -عبد العزيز طريح شرف، المرجع السابق، ص.٨٤.

[٦] - أحمد محمد انديشة، المرجع السابق ، ص. ٢٢.

تتداخل مع السهول في البحر ومن الصعب التمييز بينها وبين الصحراء،ولا يشكل سطح الهضبة الصحراوية عائقاً للحركة، ويفرض وجود الماء من عدمه عملية إمكانية الاستقرار البشري في هذه المنطقة، وتعد الهضبة الصحراوية حلقة الوصل بين المناطق التي تقع إلى الشمال منها، والمناطق الجنوبية[١].

وفيما يتعلق بسكان الإقليم يرى كثير من الباحثين أن سكانه كما هو الحال في شمال أفريقيا عامة ترجع أصولهم إلى الشعوب السامية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى مناطق متفرقة بسبب الجفاف والظروف المعيشية الصعبة هناك، ونظراً لازدحام شبه الجزيرة العربية بالسكان، شبهها العلماء بخزان كبير من المياه عندما يمتلئ يفيض ما زاد عن سعته، وأنها منطقة طاردة بسبب جفافها وصعوبة الحياة فيها[٢]، فهاجرت منها بعض المجموعات السكانية المتعاقبة باتجاه شمال أفريقيا عن طريق باب المندب، و شبه جزيرة سيناء، و مصر، وجنوب بلاد جنوب الصحراء، ثم استقرت في منطقة الصحراء الكبرى، ثم هاجرت إلى شمال أفريقيا،حيث ويعتقد أن سكان شمال أفريقيا القدماء يرجعون في أصولهم إلى مجموعات سكانية قديمة سكنت المنطقة من العصر الحجري القديم، واختلطت مع عناصر سكانية أخرى منها العنصر السامي القادم من منطقة شبه الجزيرة العربية من أهمهم الفينيقيين، وامتزجت

---

[١] ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص. ٢٧.

[٢] ـ رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.١١٣؛ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق، ص٣٥.

هذه العناصر الوافدة مع العنصر الزنجي الأفريقي، وشكلوا سكان شمال أفريقيا[١].

وهكذا فعندما جاء الفينيقيون إلى أرض الشمال الأفريقي، ممارسين مهنتهم "التجارة" ومستكشفين طرقا تجارية جديدة (ربما لم يسبقهم أحد إليها)، وجدوا أرضا وشعوبا، كانت تقيم على ساحل الشمال الأفريقي منذ بداية التاريخ، بل كان هذا الساحل مأهولا بقبائل بدوية بدأت طور حياتها بمراحل التقاط الطعام، ثم الصيد، ثم الرعي إلى جانب الصيد، ثم مارست الرعي و الزراعة[٢].

فوجد الفينيقيون أنفسهم في أرضٍ فيها شعوب يمكن التعايش معها، ومشاركتهم أرضهم وخيراتهم، فوجدوا الأرض الغنية والأمن والأمان والترحاب من قبل أهل هذه الأرض، فهذا كله من شأنه أن يحقق حلم كل من أراد بناء مستوطنة أو مركز تجاري يمكن أن يكون قاعدة متقدمة في طريق التجارة الطويل الذي يربط بين الوطن الفينيقي ومراكز الثروة في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

ثانيا: سياسة قرطاج تجاه إقليم الامبوريا

(الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لمنطقة المدن الثلاث إبان

---

[١] - محمد سليمان أيوب، جرمه في تاريخ الحضارة الليبية، ط.١، دار المصراتي للطباعة والنشر،طرابلس، ١٩٦٩، ص.٢٣٩ .

[٢] - عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص.ص. ١٣٤ – ١٣٧ ؛ شارل اندريه جوليان ، المرجع السابق، ص.٧٥ .

الحكم القرطاجي):

الفينيقي اسم أطلقه الإغريق على شعب سامي من ضمن الشعوب الكنعانية، (سكان الساحل السوري في شرق البحر المتوسط) .

وقد فسر بعض المؤرخين كلمة فينيقي أنها تعني اللون الأرجواني[١]، وذلك راجع لاهتمام هذا الشعب بصناعة الأقمشة المصبوغة باللون الأرجواني، التي تستخلص مادته من محارات بحرية[*]، وقد ذكر هذه التسمية " الفينيقيين " الشاعر الإغريقي هوميروس عندما وصف الفينيقيين بالمهارة في الصناعات اليدوية وركوب البحر والتجارة [٢].

وقد ارتاد الفينيقيون البحر منذ القدم، حيث ذاع صيت الصوريين والصيدونيين بسرعة تجارا مهرة في العالم القديم، لتمكنهم من فرض أنفسهم على منافسيهم من العبرانيين[3]، وقد يعد الدافع الاقتصادي، هو الدافع الرئيسي للتوسع الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ساعدته بعض العوامل والظروف السياسية.

ويبدو أن الفينيقيين قد سبقوا الإغريق في دخول شمال أفريقيا، وفي استعمارها،

---

[١]- فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين،ج.١، تر: جورج حداد ورفيقه ، ط. ٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨ ص.٨٧، ؛ أحمد توفيق المدني، " الفينيقيون"، مجلة اللسان العربي، العدد الثالث، المكتب الدائم لتنسيق التعربة ، الرباط، ١٩٦٥، ص. ١٢٩ .

[*]- لمزيد من المعلومات حول صناعة واستخلاص.الأصباغ الأرجوانية يرجي مراجع: فيليب حتى، المرجع السابق ، ص.ص. ١٠٣,١٠٢

[٢] ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق ، ص.٩٥.

[3]- محمد رفعت، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، ط.١، القاهرة، ١٩٥٠، ص.١٩.

ويرجع استعمارهم سواحل أفريقيا إلى زمن مبكر من تاريخهم، وربما يعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، عندما أسسوا عدداً من المستوطنات، التي كان من أهمها (عتيقة، ولكسوس ولاراش)[1]، ويبدو أنه كان للفينيقيين حاجة إلى تأسيس مراكز أو محطات على ساحل الشمال الأفريقي، وهى الحاجة إلى تأسيس نقاط أو مراكز لتكون ملجأ لسفنهم التجارية المبحرة من شبه جزيرة إيبيريا " أسبانيا"، والمحملة بالقصدير والفضة إلى الوطن الأم في شرق البحر المتوسط .

ويلاحظ من ذلك أن الفينيقيين قد بدأوا يتعرفون على شواطئ أفريقيا الشمالية قبل نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد بقليل، و من البدهي أنه لم يكن للمستعمرين أن يخوضوا مثل هذه المغامرة والذهاب إلى هذه الشواطئ التي تعد مجهولة بالنسبة لهم، ومن المحتمل أنهم كانوا منذ ذلك الوقت يترددون على أماكن عديدة، لاختيار الأماكن المناسبة كما أن ملاحتهم التي كانت عبارة عن ملاحة ساحلية، كانت بحاجة إلى سلسلة من الملاجئ البحرية المتتالية، وإلى محطات يمكنهم الالتجاء إليها في حالة حدوث المخاطر، وانتظار الرياح الملائمة، وإصلاح الأعطاب التي تحدث لمركباتهم[١]، فكان الفينيقيون بحاجة إلى إقامة مراكز تجارية

---

[1]- فرنسوا ديكيريه، ، قرطاجة .أو إمبراطورية البحر، تر:عزالدين احمد عزو ، ط١ ، دارا لأهالي للطباعة والنشر ، ١٩٩٦ ص، ٤٦ ؛ محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي وظهير ه في الجغرافيا والتاريخ ، ط. ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦، ص. ٤٧٦ .

[1]- منير أبو شنا قي، المدن القديمة في الجزائر، النشرة الثانية وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر ١٩٨٢، ص.ص.١٣ .١٤.

كل ثلاثين ميلاً (٢)، أو أربعين ميلاً تقريبا(أي مسيرة نهارٍ كاملٍ)، تحول بعضها فيما بعد إلى مستوطنات (٣)، حيث أقاموا على الساحل الشمالي الأفريقي ما يزيد على ثلاثمائة مركز تجاري أو محطة، أهمها:

كراكس (*Chrax*)(مدينة سلطان الحالية بسرت)، وهي تقع على الحدود بين الدولة القرطاجية والمدن الخمس الإغريقية، وماكومداس (*Macomadas*) (قصر الزعفران)، وماكوماكا(*Macomaco*) (قرب مدينة تاورغاء)، ولبدة الكبرى ( ) وهي مدينة كبيرة بجوار مدينة الخمس الحالية شرق طرابلس بحوالي ١٠٢كم، ووِيات(*Wiat*)(طرابلس الحالية) ، وصبراتة(*sabratan*) وهى إلى الغرب من مدينة طرابلس بحوالي ٦٠كم، وزوكيس(*Zuchis*)،وهي مستوطنة تقع على بحيرة البيبان بين تونس وليبيا، وكيركينا (Circina)(جزيرة قرقنة بتونس)، وحضرموت(*Hadrumetum*) (مدينة سوسة الحالية بجمهورية تونس)، وقرطاجة(*Carhtage*)، وهيبو رجيس (*Regius Hippo*) (مدينة عنابه بالجمهورية الجزائرية)(*).

وقد وجد الفينيقيون في جزء من ساحل شمال أفريقيا ساحلا رمليا قليل الأمطار،

---

(2) -محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم، ج.٩ (المغرب القديم)، ط.١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص.١٧٥.؛ محمد علي عيسي، مدينة صبرا ته، ط.١، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨، ص.١٠.

(3)- عبد الحفيظ الميار ،الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.١١٩.

(*)- للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر:محمد علي عيسي، المرجع السابق، ص. ٨ ١٠.

ووجدوا في جزء آخر (ساحل تونس والجزائر) بيئةً تشبه بيئة بلادهم:

(سهل ساحلي خصب، وسلستان من الجبال مغطاة بالأشجار، وتتوسطها هضبة تغطيها الحشائش، وتتوفر فيها الماشية بأعداد هائلة)، ووجدوا فيه أيضا إقليما ينتج أنواعا كثيرة من الغلال والكروم والزيتون من جهة، وترعي فيه الجياد والماشية من جهة أخري، وربما كان في ذلك الوقت غير مأهولٍ بالسكان ، بحيث يمكن أن يستوعب هجرات بشرية جديدة، وتكوين مستوطنات دون التعرض إلى إثارة السكان الليبيين[١]، وكانت أولى العلاقات بين المهاجرين الجدد (الفينيقيين) والسكان الأصلين قد أسست على تبادل المصالح، وخاصة التبادل التجاري، فمن المعلوم أن الفينيقيين كانوا يتاجرون في سلع أفريقية من "عاج، وريش نعام، وخشب الصندل والأبنوس، وذهب، وعقيق أحمر، وغيرها من البضائع التي كان منشأها شمال ووسط أفريقيا، ومن المرجح أن هذه التجارة كانت تتم عن طريق حلفائهم من السكان الأصلين (الليبيين) [2].

أما في منطقة طرابلس فقد أسس الفينيقيون عددا من المستوطنات أهمها مدن الامبوريا (المدن الثلاث): لبقي(لبدة الكبرى)، وويات (طرابلس الحالية)، وصبراتن (صبراتة) [1].

---

[1] ـ محمد سيد غلاب، المرجع السابق، ص. ٤٧٧.

[2]ـ محمد علي عيسي، المرجع السابق، ص. ص. ٨ ـ١٠.

[١] -.Elmayer, A.F. Tripolitania and the Roman Empire, Series8, Tripoli, 1997, pp.219-223.

وقد اختار الفينيقيون هذه المنطقة (منطقة المدن الثلاث) لما لها من امتيازات جغرافية مهمة، فهي تعتبر مفتاح بلاد جنوب الصحراء، وما تصدره من بضائع جيدة تحضى بإقبال كبير في العالم القديم، وكان أهم بضائعها: الذهب، والأحجار الكريمة، والعاج، وخشب الأبنوس، والعبيد ، والنعام الذي كان يعيش في منطقة المدن الثلاث نفسها[٢].

وتروي المصادر القديمة أن مستوطنين من مدينة " صور" قد أسسوا مدينة لبدة وصبراتة، كما أن "سالوست" يعود فيذكر أن مؤسسي مدينة لبدة الكبرى كانوا من مدينة "صيدا"، كانوا قد اضطروا إلى الهجرة من مدينتهم بسبب النزاعات الداخلية[٣]، ويري باحثون معاصرون أن مدينة لبدة قد استوطنها مهاجرون من مدينة" صور" وليس من مدينة "صيدا"، وهم الذين أسسوها[4].

غير أن اختلاف المؤرخين القدامى فيما بين مدينتي صور وصيدا لا يشكل مشكلة كبيرة في معرفة الحقيقة، لأن هؤلاء كانوا يطلقون أحيانا على الفينيقيين " صوريين" ، وأحيانا " صيدونيين"، ولا يعتبر هذا الاختلاف بمثابة استيطان مزدوج لمدينة لبدة الكبرى من قبل الصوريين والصيدونيين، غير أن الوثائق الأثرية تثبت أن مدينة "صور" هي المؤسسة لمدينة لبدة الكبرى، و عثر على نقش في مدينة"صور"

---

[٢] -Siliust Italicus, Punica, iii, 256.

[٣] - Sallustus,Jug.Bell. 78.

[٤] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.ص.١١٠-١١٢.

يشير إلى ذلك [1].

وكان أقدم ذكر لمدينة لبدة الكبرى قد ورد على النقود الفينيقية التي يعود تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، وكان لها اسم آخر عند الإغريق – بالإضافة إلى اسمها المشهور (لبدة) – هو اسم (نيا بوليس)أي المدينة الجديدة.

وقد بنيت مستوطنة لبدة الكبرى في موقع ممتاز يشتهر بأنه أخصب مناطق إقليم الامبوريا وكان موقعها بمثابة ميناء طبيعي يمكن تحويله إلى ميناء تجاري مهم[2]. بالإضافة إلى توفر المياه العذبة، وأنها تمثل ممرا مهما لتجارة القوافل، فوجود هذه الميزات الطبيعية في منطقة وادي لبدة أدت إلى ولادة مدينة زاهرة ، والتي ربما تطورت من قرية صغيرة قليلة السكان قبل مجيء الفينيقيين إلى مدينة كبيرة لها شأنها في التاريخ[3].

أما مدينة صبراتة، فقد دلت الحفريات الأثرية على أن الفينيقيين قد أقاموا فيها محطة تجارية خلال القرن السادس قبل الميلاد أسوة بباقي المستوطنات، ويرى البعض أن المحطة التجارية "صبراتة" لم تصبح مستوطنة دائمة إلا في القرن الخامس قبل الميلاد[1]، وكانت تعرف عند الإغريق باسم مدينة أو ميناء

---

[1] _ المرجع نفسه ، ص.١١٤.

[2] ـ أسامة صالح، لبدة الكبرى " مدينة يبنيها العرب الفينيقيون"، مجلة الثقافة العربية، العدد الأول، نوفمبر، ١٩٧٣، ص.٧٠.

[3] ـ فيصل علي سعد الجربي، الفينيقيون في ليبيا من(١١٠٠ق.م.، حتى القرن الثاني الميلادي) ، ط١، الدار = = الجماهيرية للنشر والتوزيع ، سرت،١٩٩٥، ص٧٠.

[1] ـ عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق ، ص.ص. ٣٠٥,٣٠٧.

"أبروتونوس(Abrotons) [٢]. وكانت تعني عندهم " سوق الحبوب"، – أي المدينة التي تستورد الحبوب– من بلاد اليونان[*].

غير أن هذا ربما يبدو غريبا بعض الشيء، فلا يعقل أن تستورد محطة صغيرة مثل صبراتة، كميات كبيرة من الحبوب، حتى عُدت من الأسواق المهمة لتسويق الحبوب اليونانية، فبالإضافة إلى أن تعريف الامبوريا وكما سبق الإشارة إليه، بأنها مراكز تزود نفسها من خلال الإنتاج الزراعي المحيط بأراضيها، فمدينة صبراتة قد أنشئت في البداية محطة للراحة، والتزود بالماء والمؤن، بينما السكان المحليون لم يكونوا في حاجة ماسة للحبوب ؛ لأنهم كانوا يعتمدون في حياتهم على الاقتصاد الزراعي والرعوي من أرضهم، ولكن من الممكن أن تكون محطة صبراتة ميناء مصدرا للحبوب وليست محطة مستوردة لها، خاصة إذا علمنا أن ليبيا في ذلك الوقت مازالت تعيش في نهاية العصر المطير[١].

ومقارنة بمدينتي لبدة وويات تبدو صبراتة قليلة الذكر في المصادر الكلاسيكية، غير أنها كانت مدينة حرة في عصر "أغسطس"، ثم أصبحت مستعمرة في العصر

---

[٢] - محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص.١٣ .

[*]- ظلت مدينة صبراتة على الوجود إلى الفتح العربي الإسلامي لغرب ليبيا، وكانت تعرف عند العرب الفاتحين باسم مدينة صبرة، وقد وصفها التيجاني في رحلته إلى طرابلس عام (٧٠٦ هجرية) بأنها مدينة تقع بجانب مدينة زواغة ، وقد كانت قاعدة في القديم للمنطقة بأكملها ، وأنها خصبة و مدينة محصنة تحصينا جيدا، وكان قد فتحها الصحابي " عبد الله بن الزبير " وفر أهلها إلى جزيرة صقلية بواسطة مراكبهم. ينظر: أبو محمد عبد الله التيجاني، رحلة التيجاني، تقديم: حسن حسني عبدالوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، ١٩٥٨، ص. ٢١٢.

[1]- محمد علي عيسي، المرجع السابق، ص.١٣.

الأنطوني مع بداية القرن الثالث الميلادي، وتشير مجموعة من النقوش إلى أن مدينة صبراتة كانت عرضة لهجمات شرسة من قبل البربر، خاصة في الفترة مابين(٣٦٣م.- ٣٦٥م.) [٢].

وقد أشار المؤرخ العربي (ابن الحكم) إلى أن مدينة صبراته والمناطق المحيطة بها، كانت خاضعة لبربر جبل نفوسة، كما أن لبدة كانت خاضعة لبربر "هوازة ولواته"[٣].

أما مدينة ويات (طرابلس الحالية) فقد ذكر الشاعر اللاتيني" اتياليكوس" انها أنشئت من قبل مهاجرين من صقلية بمساعدة السكان الليبيين [4].

ويذكر أن اسمها جاء أصلا من اسم قبيلة ليبية تدعي "آيت *Ait* " وأن هذه الصيغة وجدت على نقود فينيقية برسم "ويات" (*Uiat*)[٥].

ومن المحتمل أن ويات هذه كانت قد أسست في فترة متأخرة عن تاريخ إنشاء مدينتي لبدة الكبرى و صبراته[1]، وكان لموقعها أهمية تجارية، استمدتها من موقعها الجغرافي الممتاز والمميز[2] .

---

[٢] - I.R.T.,23(2) - 27(3) - 41(4) - 54(6) - 58(7) - 103(8) - 111(10)..

[٣]- ابن عبد الحكم ، فتح أفريقيا الشمالية واسبانيا ، طبعة الجزائر ، ١٩٤٨، ص.٣٥.

[4] -Siliust Italicus, Ponica, iii, 275.

[٥] - Merighi , La Tripolitania Antica ,vol.1,1940,p.22 .; I.R.T. p.63.

[1] - عبد اللطيف البرغوثي ، المرجع السابق، ص. ٣٠٧.

[2] -توينبي،" ليبيا كما يراها توينبي"، تر:علي فهمي إخشيم، الرواد ،العدد الثاني عشر، نوفمبر، ١٩٦٥، ص.٥٠.

وبذلك يبدو أن اختيار الفينيقيين لموقع مدينة ويات لم يكن من قبيل الصدفة، وإنما كان اختيارا مدروسا وموفقا، وتتميز مدينة ويات عن باقي المستوطنات الفينيقية في إقليم الامبوريا بما فيها لبدة الكبرى وصبراتة، باستمرارية استيطانها، وأن سكانها لم يهجروها على مر الفترات التاريخية ؛ وهذا ما يعلل اختفاء آثارها على السطح سوى الآثار الفينيقية أو الرومانية تحت مساكنها ومبانيها التي تعود إلى فترة العصور الوسطي والعصور الحديثة، ولم يبق منها ظاهرا للعيان سوى قوس (ماركوس أُوروليوس) الذي يعود إلى فترة الاحتلال الروماني للمدينة[3]، وقد صارت مقراً إدارياً وعسكرياً للعرب المسلمين إبان فتحهم للمنطقة ؛ وهو ما يدل على أن مدينة لبدة الكبرى في تلك الفترة كانت في حالة دمار كلي، وليست مأهولة بالسكان، حيث يقول الإدريسي " إن مدينة لبدة لم يبق منها إلا قصران مسكونان من قبل بربر من قبيلة " هوارة"، وهو ما يؤكده اليعقوبي عندما قال :

" إن مدينة لبدة كانت تحت سيطرة قبيلة هوارة " [٤] .

---

[3] –Haynes, D.E.L.op.cit. p.101.

[4] - Hadi Fareh, La Tripolitain a l' Epoque Byzantine,Universite du Sousse,(D.E.A),= = Tunisie, 2002,p,32.

الحالة السياسية الاقتصادية والاجتماعية والدينية لمنطقة المدن الثلاث إبان الحكم القرطاجي:

من المرجح أن مدينة قرطاجة قد أصبحت من أكبر المدن الفينيقية على ساحل الشمال الأفريقي؛ فكانت منذ بداية القرن السادس قبل الميلاد على درجة كبيرة من الاستعداد والقوة، لتخلف المدن الأم في فينيقيا التي اضمحلت بسبب ضربات الآشوريين القاسية(١)، بالإضافة إلى المنافسة التجارية الإغريقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ووصول المد الفارسي الخطير إلى مصر في عصر "الملك قمبيز الثاني" سنة (٥٢٥ ق.م.) ، الذي حاول التحرش بالمراكز الفينيقية بالغرب وعلى رأسها قرطاج، ولكن البحارة الفينيقيين العاملين في الأسطول الفارسي حالوا دون تحقق الهدف الفارسي، وبذلك استطاع الفينيقيون الغربيون التخلص من عدو قوي جديد، كان يمثل أحد أشد الأخطار التي تهدد وجودهم في تلك المنطقة(٢).

---

(١)-Hamond, L.G.N. & Scullard .H.H. The Oxford Classical Dictionary,2nd , Clarendon Press,Oxford,1979,p. 1094.

(٢) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.ص. ١٧٢-١٧٣.

فأصبحت حكومة قرطاج الوصية الشرعية على المدن والمستوطنات الفينيقية على ساحل شمال أفريقيا، وأسبانيا، وجزر صقلية وسردينيا وكورسيكا ومالطا، وتحولت أهم المراكز التجارية الفينيقية المؤقتة إلى مستعمرات دائمة تابعة لها مثل صبراته، وويات ولبدة الكبرى في ليبيا، وبسطت قرطاج سيطرتها على الليبيين المقيمين في المناطق المجاورة لهذه المدن ، ونشرت نفوذها على الكثير من القبائل المقيمة في جنوب شبه جزيرة ايبيريا.

وقد زادت حكومة قرطاج من إحكام قبضتها على المستوطنات الفينيقية، وخاصة إقليم المدن الثلاث، الذي كان يضم أكثر من عشر محطات تجارية[١]، وفرضت عليها ضرائب نقدية باهظة، فكانت مدينة لبدة الكبرى مثلا تدفع إلى قرطاج ضرائب مقدارها تالنت[*] واحد في السنة[٢]، وهو ما كان يعادل أجرة (٢٥٠٠) عامل في اليوم[٣].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل مدينة لبدة الكبرى كانت فعلاً تدفع هذه الجزية لوحدها، أم أن مدن الإقليم تشترك في دفعها، وخاصة مدينتي ويات وصبراتة ؟.

اختلف الباحثون المحدثون في تفسير ذلك، فمنهم من يرى أن مدن الإقليم كانت تدفع هذه الضريبة مجتمعة، وذلك لاعتمادهم على ما أورده المؤرخ "تيتوس

---

(١) - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص.٣٠٨.

(*)- التالنت يساوي حوالي٢٣٠ جنيهاً إسترلينياً .

(٢) -Livy, T. xxxiv, 62.

(٣) - إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج.١(من أقدم العصور حتى عام ١٣٣ق.م.)، ط.١، منشورات الجامعة=

ليفيوس"[١] بأن مدينة لبدة كانت أهم مدن الإقليم، وأنها كانت المركز التجاري للإقليم[٢].

ومن الباحثين[٣] من يرى أن مدينة لبدة كانت تدفع هذه الضريبة لوحدها وذلك للأسباب الآتية:

أن المؤرخ "ليفيوس" لم يؤكد على أن مدينة لبدة كانت عاصمة للإقليم، ولو أنه أشار إلى أهميتها اقتصادياً، وهذا المؤرخ لم يذكر أن مدينة لبدة كانت تدفع الجزية نيابة عن مدن الإقليم بكامله.

كما أنه لا يوجد دليل مادي يؤكد وجود وحدة سياسية أو اقتصادية بين مدن الإقليم[٤]، وإنما كان بينها حدود معترف بها، وقد حدث نزاع مرير بين مدينتي لبدة الكبرى وويات عندما دخلتا في حروب بسبب الخلاف على الحدود ،والتنافس التجاري وكان ذلك حوالي (عام٧٠م.)[٥].

وقد تكفلت حكومة قرطاج بالدفاع عن مدن الإقليم في حالة تعرضها لاعتداء من الخارج –كما هو الحال مع باقي المستوطنات الفينيقية التابعة لها– مقابل دفع

= الليبية، كلية الآداب، بنغازي ، ب.ت.ن ، ص.٢٤٦.

[١] -Livy,T. xxxi, 62 , 3.

[٢] - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص.٢٤٦.؛ Haynes, D.E.L. o p cit. p.29.

[٣] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق، ص..ص.١٢١-١٢٣.

[٤] – المرجع نفسه، ص.١٢٢.

[٥] -Rmanelli, P. Storio della province dell'Africa Romana, 1959, pp.288-289.

الضرائب، ودعم قرطاج بالجنود والمعدات والمؤن وقت الحرب [١].

وقد تكونت لقرطاج ثروة عظيمة بفضل الضرائب المفروضة على المستوطنات الفينيقية التابعة لها، وبفضل الإتاوات الجمركية المحصلة من الموارد التجارية "الصادرات والواردات"، فلم ينافسها على ذلك في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد إلا مدينة الإسكندرية التي أصبحت مدينة ذات ثراء عال مثلها[٢].

وكما فرضت حكومة قرطاج على سكان المستوطنات الفينيقية في صقلية وسردينيا وكورسيكا ضريبة مقدارها عُشر الإنتاج، فكان الليبيون في الداخل على الساحل الشمالي الأفريقي أسوأْ حالاً من أهل هذه المدن، حيث فرضت عليهم قرطاج ضريبة تساوي ربع المحصول، وقد وصلت إلى نصف المحصول عند تأزم الموقف في الحروب البونية بين قرطاج وروما[٣].

وكانت هذه المعاملة القاسية سبباً في حدوث العديد من الثورات، مثل اشتراك الليبيين بأعداد جماعية في ثورة المرتزقة التي قامت عقب نهاية الحرب البونية الأولى بين قرطاج وروما.

وخلاصة القول أن حكومة قرطاج أصبحت تحكم باعتبارها دولة استعمارية

---

[١] - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص.٢٤٦.

[٢] - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١١٦.

[٣] - ب. هـ. وارمنجتون،"العصر القرطاجي"، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني ، تر: احمد عبد الرحيم مصطفي ، وآخرون، اليونسكو، باريس، ١٩٨٥، ص. ٤٥٩ ؛ محمد البشير شنيتي، جوانب من علاقة الدولة القرطاجية بالمغاربة " المحتوى الوطني لثورة الجنود المأجورين"، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، ١٩٧٧، ص. ص. ١٦-٢١.

استغلت كل موارد المستوطنات الفينيقية التابعة لها، منذ عصر ازدهارها في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، بعدما كانت هذه الحكومة تدفع جزية إلى القبائل المجاورة لها[١].

غير أنه من الواضح أن حكومة قرطاج استغلت استغلالاً قسرياً وتعسفياً المستوطنات والمراكز التجارية الفينيقية ومن بينها مدن ومراكز إقليم المدن الثلاث، وفرضت الضرائب الباهظة والمرهقة لاقتصادها، وأجبرت هذه المستوطنات بتزويدها بالجيوش والفرسان والإمدادات والتموين، كلما احتاجت قرطاج لذلك، ومع هذا فمن الواضح أن قرطاج قد تركت لهذه المستوطنات الكثير من الحريات، منها الحرية المطلقة في تصريف الشؤون الداخلية، فالمؤرخ "سالوست" يذكر أن سكان مدينة لبدة الكبرى كانت لهم قوانينهم الخاصة، التي احتفظوا بها لفترة طويلة[٢].

كما يوجد في منطقة المدن الثلاث عدد من الأنظمة مثل نظام القضاة، والجمعية الشعبية، والمجلس البلدي، ومجلس الشيوخ[٣].

ويقول سالوست: إن مدينة لبدة الكبرى كانت تُعين عن طريق الجمعية الشعبية اثنين من (الشفطم) يكونان على رأس أعلى سلطة في المدينة، ويمارسان السلطة القضائية، بالإضافة إلى تصريف مصالح المواطنين[١].

---

[١] - محمد البشير شنيتي ، المرجع نفسه، ص.١٨.

[٢] -Sallust, Bel. Jug. lxxviii.

[٣] - Merighe, A. op.cit. p. 56.

[١] - فيصل علي أسعد الجربي، المرجع السابق، ص.١٤٥.

وكان نظام الشفطم "القضاة أو الحكام"(*) في المستوطنات الفينيقية مشابه لما كان موجوداً في نظام الحكم القرطاجي(٢)، الذي لم يكن وليد مدينة قرطاجة، وإنما يبدو أنه كان متبعاً في المدن الفينيقية الأم على الساحل السوري، حيث إن هذه الكلمة كانت قد وردت في العصر القديم(٣)،فقد عثر على نقش في مالطا يذكر نظام الشفطم ومجلس الشيوخ والمجالس الشعبية(٤).

وبالإضافة إلى نظام الشفطم "القضاة" أو "سوفيت" (**)(*SUFET*)،كان يوجد في مدينة لبدة الكبرى نظام أخر من الأنظمة القضائية يعرف بنظام"المحازيم" وهو يعني نظام الحياة، الذي يعود على الأرجح إلى العصر الفينيقي، ومهمة المحازيم توكل إلى مسئولين يكون اختصاصهم تزويد الأسواق بالمعدات والأدوات، وتحصيل الضرائب ومراقبة الأسعار (٥).

كما يوجد فيها أيضا نظام أخر من القضاة يسمى"سهم" (شحم)، وهو منصب

(*)- عرف منصب الشفطم في المدن الفينيقية الأم على الساحل السوري باسم شفط ثم حرفه الإغريق إلى شافط Sofet ينظر: أنيس فريحة، ملاحم وأساطير في أوغاريت، ط.١، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص.٥١.

(٢)–Merighi, A. op. cit., p.56.

(٣) - ف. ن. برايس، القرطاجيون وإمبراطوريتهم البحرية، تاريخ العالم، تر: إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية، مكتبة النهضة، القاهرة (ب. ت.)، ص.٢٦٥.

(٤) - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية ، المرجع السابق، ص.١٢٤.

(**)- كان يضاف إلى نظام الشفطم القيادة العسكرية أو السلطة العسكرية في حكومة قرطاج، ولا نعرف ما إذا كانت هذه السلطة قد أضيفت إلى قضاة مدن إقليم المدن الثلاث، لأن أمر الدفاع عن هذه المدن كان من اختصاص الجيوش القرطاجية وحدها. ينظر: ف. ن. برايس، المرجع السابق، ص.٢٦٥.

(٥) –Elmayer, A. F. The Re-Interpretation of Latin–Punic Inscriptions from Roman Tripolitania, L. S. vol. 15,١٩٨٤ , p.93.

يكون مسئولاً عن مراقبة الاقتصاد الزراعي[1].

وكانت حكومة قرطاج ترسل مراقبين من عندها إلى المستوطنات والمراكز التجارية للإشراف على جمع الضرائب والرسوم الجمركية ومراقبة نشاط المواطنين، وخاصة فيما يتعلق بعلاقة هؤلاء المواطنين بالأجانب الموجودين في إقليم المدن الثلاث، حيث كانت حكومة قرطاج تولي اهتماماً شديداً بمراقبة نشاط الأجانب داخل الإقليم[2].

ويمكن الوصول بالقول إلى أنه في خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وخلال صراع قرطاج مع الإغريق، بدأت قرطاج في التوسع على حساب الأراضي الليبية على ساحل الشمال الأفريقي، ومد سيطرتها على المدن الفينيقية التي من ضمنها مدن إقليم المدن الثلاث، وكانت سيطرة قرطاج على هذه المدن تتباين من منطقة إلى أخرى وذلك تبعاً للظروف المحلية[3]، ويبدو أن رعايا قرطاج كانوا شديدي الوفاء والولاء لها، إلى حد أنها استطاعت أن تستغل هؤلاء أفضل استغلال، فكان ظلمها أثقل عليهم من أي ظلم آخر[4]، مما كان داعياً إلى السخط وتحين الفرصة للانتقام، والتخلص من هذا المستعمر الظالم[1] وكان من السهل على أعداء قرطاج من

---

(١) -Idem.

(٢) - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.١٢٨. ؛

Romanilli, P. Leptis Magna, Rome, 1925, p. 9.

(٣) - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص.٢٤٧.

(٤) – نفس المرجع.

(١) - أحمد صفر، المرجع السابق، ص.٢٠٣.

الخارج، أن يشعلوا روح الثورة بين الليبيين أو الليبيين الفينيقيين[*] المظلومين، والمستعمرين القرطاجيين، وأن يغروا العبيد بالانقضاض على أراضي الأغنياء[٢].

ومن الناحية الأخرى تركت قرطاج للمدن الفينيقية (سواء القديمة منها أو التي أسستها قرطاج)، حرية التصرف في شئونها الداخلية بما في ذلك التشريع والقضاء الذي كان ينحصر في أيدي قلة من الأثرياء الأرستقراطيين، على غرار النمط المتبع في العاصمة القرطاجية نفسها[٣].

الأوضاع الاقتصادية لمنطقة المدن الثلاث إبان الحكم القرطاجي:-

كان اقتصاد منطقة المدن الثلاث يعتمد على المتاجرة في السلع التي تحملها إليها القوافل من أواسط أفريقيا، وعلى الزراعة التي كان الفينيقيون القدماء لهم باع طويل فيها[٤]، فالاتصال القرطاجي الفينيقي بشعوب الصحراء خاصة تشاد وغرب بلاد جنوب الصحراء، ما كان له أن يتم إلا عن طريق مدينتي لبدة الكبرى وصبراتة

---

[*]- بعد أن وضعت الحرب البونية الأولى أوزارها بهزيمة قرطاج، قامت ثورة عرفت في تاريخ المغرب القديم بثورة المرتزقة أو المأجورين، الذين طالبوا قرطاج بدفع أجورهم، وعجزت قرطاج عن ذلك، فقام عشرون ألفاً منهم بإعلان العصيان وأشعلوا لهيب الثورة، انضم إليها الكثير من الفلاحين والصناع الليبيين والليبو فينيقيين، والنوميديين بقيادة شخص يدعى "ماتوس" بمعاونة "اسياتديوس"، و"أوثاريث"، ولم تكن هذه هي أولى الثورات في المنطقة، وإنما سبقتها ثورات، قامت الأولى عام (٣٩٠ق.م.) بعد كارثة سيراكوزا، عندما غزى إجاثوكليس الأراضي القرطاجية ، و إثر انتشار مرض الطاعون عام(٣٧٨ ق.م.) في الجيوش القرطاجية، وفي بعض المدن الفينيقية على الساحل الأفريقي الشمالي، في كل مرة يتم قمع هذه الثورات، وفي كل مرة ترجع قرطاج الأمور إلى نصابها والمياه إلى مجاريها. للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، ينظر: أحمد صفر، المرجع السابق، ص. ص.٢٠٣-٢٠٩.

[٢] - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص. ص.٢٤٧-٢٤٨.

[٣] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق، ص.١٢٥.

[٤] - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص.٣٠٩.

في منطقة تخلو من عوائق التضاريس الوعرة[١].

وأهم ما استوردته قرطاج عن طريق منطقة المدن الثلاث هو العقيق الأحمر الذي كان يعرف بالحجر القرطاجي، وكان يمثل إحدى السلع التجارية الصحراوية وكذلك تجارة الرقيق[*]،حيث يذكر "هيردوت" أن الجرمانتيين كانوا يتعقبون الأثيوبيين (الشعوب الزنجية) بعربات تجرها أربعة خيول[٢]، كذلك أستوردت قرطاج تجارة الجلود، والعاج، مع توفرها في الشمال الأفريقي[٣].

والجدير بالذكر أنه من المرجح أن القرطاجيين كانوا يرافقون القوافل التي تذهب إلى المناطق الصحراوية، لبيع تجارتهم التي تتمثل في مواد الزينة والحلي والملابس وغيرها، ومن ثم مقايضتها بالعقيق الأحمر، والجلود، والعاج، والذهب، وغيرها من السلع الصحراوية، لكن من المهم ذكره هنا أن قيادة هذه القوافل كانت تحت سيطرة السكان المحليين من الليبيين (الجرمنت)[٤].

أما فيما يتعلق بالنشاط الزراعي، فقد احتل المرتبة الثانية بعد التجارة في منطقة المدن الثلاث، فقد توسعت مدن الإقليم كغيرها من المستوطنات الفينيقية في مجال

---

[١] - ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص.٤٦٢.

[*]- إن تجارة العبيد في الصحراء الأفريقية قد استمرت حتى خلال العصور الأخيرة "القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين"، وكانت منطقة بحيرة تشاد وغرب السودان ووسط أفريقيا مصدراً مهماً لتجارة العبيد، الذين ينقلون قسراً إلى شواطئ منطقة طرابلس عن طريقي "بحيرة تشاد - مرزق- مزدة- طرابلس" و "كانو- اغاديس- غات- غدامس- طرابلس". ينظر:

جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، ط.١، مكتبة الفرجاني، طرابلس،١٩٦٧، ص.١٥٧ وما بعدها.

[٢]– Herodotus, iv,١٨٣ .

[٣] - ب. هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص.٤٦٢.

[٤] - جيمس ويللارد، المرجع السابق، ص.٧١.

الزراعة الكثيفة، حيث توسعت في زراعة النبات الواحد في المكان المناسب[١].

ومما لا شك فيه أن الزراعة كان لها أثرا بالغا مهماً في الحياة الاقتصادية في شمال أفريقيا قبل مجيء الفينيقيين إليها، وعندما وصل الفينيقيون أصبحت الزراعة تمثل المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد التجارة البحرية والتي تعد الأساس الاقتصادي الأول الذي قامت عليه المدن الفينيقية في شمال أفريقيا، بما في ذلك مدن إقليم المدن الثلاث[٢].

ويبدو أن الزراعة أصبحت في المرتبة الأولى خلال فترة الصراع القرطاجي الإغريقي في البحر المتوسط، عندما أصيبت التجارة البحرية بانكماش شديد شمل قرطاج والمستوطنات التابعة لها[٣].

يبدو أن شجرة الزيتون هي من أنسب الأشجار لمناخ إقليم المدن الثلاث المعرض للجفاف والرياح اللافحة، بالإضافة إلى ذلك وجدت أشجار الكروم والتين، وهي المنتجات الرئيسة للمدن الفينيقية في شمال أفريقيا[٤].

وقد اشتهر الفينيقيون بالأساليب العلمية لتطوير الزراعة في منطقة الشمال الأفريقي، وكذلك أدخلوا زراعة أشجار فواكه أخرى مثل التين الإغريقي والخوخ واللوز

---

[١] - عبد اللطيف البرغوثي، المرجع السابق، ص.٣٠٩.

[٢] - فيصل علي أسعد الجربي، المرجع السابق، ص.١٥٢.

[٣] ــ عبد الحقيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص. ١٦٣.

[٤] - م. روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج١، تر: زكي علي ورفيقه،=
= ط.١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧، ص.٣٨١.

والكرم والرمان الذي عرف في التاريخ القديم "بالتفاح البونيقي"[١].

كما أن المؤرخين "بليني وسترابو" يشهدان على وجود الغابات المشجرة على سواحل وجبل منطقة إقليم المدن الثلاث، وقد تحدث "بلليني" عن نوع من الزيتون المنتفخ، زيته رديء، عندما قال إن أفريقيا لم تكن ذات شهرة في إنتاج الزيت والنبيذ، بعكس شهرتها في إنتاج الحبوب[٢]، ويذكر "قزال" في إطار حديثه عن زيت الزيتون في لبدة الكبرى فيقول: "إن الشيء المؤكد هو أن سكان لبدة في منتصف القرن الأول الميلادي كانوا يمتلكون مئات الألوف من أشجار الزيتون، وإن المساحة المزروعة بالزيتون تقدر بثلاثين ألف هكتار"[٣].

ويذكر "بلليني" أن الليبيين في شمال أفريقيا عرفوا زراعة الحمص والفول والعدس والجلبان ، وكذلك زراعة الخضراوات، والبصل، والثوم رغم مكانته الثانوية، بالإضافة إلى إنتاج كميات وفيرة من التين الشوكي[٤].

وعرف الليبيون أيضاً زراعة الخردل، والبطيخ، والكوسة،والقرع ،والخيار[٥]، حيث عثر على لوحات فسيفسائية تعرف (بفسيفساء سوسة) تظهر عليها صور للقرع والخيار[١].

---

[١] – Gsell,S. H.A.A.N. T.5, 1920, p.199.

[٢] –Mattingly,D.J. op .cit. p.3.

[٣] –Gsell,S. L'huile de leptis, Inrivista De la Triplitania, 1924, 1925, p.43.

[٤] - Pliny, xix, 22.43.

[٥] -Camps ,G. Massinissa , ou les dêbuts de l'hostoire, Libyca,8,1961, p.80.

[١] - منجي النيفر، الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء، ط.١، الدار التونسية للتوزيع، تونس، ب.ت، ص.٣٧.

كما أن "تيتوس ليفيوس" يذكر أن مدينة لبدة الكبرى تقع في منطقة شرق سرت وهي منطقة ذات حقول خصبة، وكانت تدفع ضريبة نقدية قدرها ثالنتاً واحداً للقرطاجيين[٢].

وتدين مواقع مدن إقليم المدن الثلاث بوجودها وازدهارها إلى نشاطها الزراعي، نظراً لموقعها في مناطق زراعية خصبة، وخاصة مدينة لبدة التي تقع على حوض نهر كنيبس "وادي كعام"[*] الذي يقول عنه "هيردوت" إن إنتاج أرضه تعادل إنتاج منطقة بابل من الحبوب[٣].

ومن المحتمل أن الفينيقيين قد استعانوا بالسكان الأصليين"الليبيين" في إدارة المزارع، وربما أن هذه المستوطنات والمراكز في إقليم الامبوريا وباقي شمال أفريقيا، قد سكنها أصحاب أراضٍ وتجار فينيقيون مع بعض السكان الأصليين الذين تأثروا بالحضارة الفينيقية، وكوَنوا طبقة من ملاك الأراضي، إذ كانت هذه المزارع تنتج الحبوب التي تغذي تلك المستوطنات[1].

---

(٢)– Livy, T. xxiv, 62, 3.

(*)- يجدر بالملاحظة هنا أن وادي عين كعام هو مصب (نهر كينييسCinyps)، أما نهر كنيبس الذي ذكره "هيردوت" هو في اعتقادي (وادي ترغلات) الذي يجري في أرض ترهونة، والدليل على ذلك هو طبوغرافية الوادي نفسه، حيث إنه يختلف عن كل الأودية المحيطة به، فهو ليس عميقاً وإنما هو عبارة عن وادٍ منبسطٍ يصل عرضه أحياناً إلى ٢كم، و به حواف تشبه الشواطئ، ويشاهد المنشآت الأثرية من قصور ومباني سكنية واقتصادية قد شيدت على مناطق مرتفعة على جانبيه، كما أنه توجد الكثير من المزارع المحصنة التي كانت مزودة بقلاع، ومعاصر للزيت على جانبي وادي ترغلات، مما يشير إلى أن هذا الوادي كان دائم الجريان. ويصب وادي ترغلات في وادي عين كعام الذي بدوره يصب هو الأخر في البحر شرق مدينة الخمس.

(٣) -Herodotus, iv, 198.

(١) - م. رستوفتزف، المرجع السابق، ص.٣٨٢.

وفي إطار تطوير الفينيقيين للزراعة في منطقة الشمال الأفريقي، أدخلوا العديد من الأدوات الزراعية، وخاصة المعدنية، لتطوير عمليات الحرث وجني المحصول، غير أن هناك من يرى أن الليبيين بعامة كانت لهم تقنيات خاصة في المجال الزراعي، التي تعود إلى ما قبل العصر الفينيقي[٢].

وكانت آلة المحراث من أهم الآلات الزراعية، التي كان الليبيون دون شك يعرفون نوعاً منها قبل مجيء الفينيقيين إلى شمال أفريقيا، ويدل على ذلك وجود نوعين من المحاريث المستعملة في شمال أفريقيا:

النوع الأول وهو بدائي الهيئة، يتكون من جزأين فقط، المقبض الذي يشكل مع المزحف "السكة" قطعة واحدة، ينتج عنها أن يكون هذا المحراث أكثر انحناءً نحو الأرض، والقصبة التي تكون أيضاً مقوسة، وهذا النوع هو المستخدم عند الليبيين قبل مجيء الفينيقيين[٣]، وقد انتشر استعماله في(المغرب الأقصى، وشرق الجزائر وشمال تونس)، أما النوع الثاني الذي طوره الفينيقيون أو جلبوه معهم من بلادهم "ساحل فينيقيا"، فهو يتكون من السكة والقصبة واليد المستقيمة، ويتميز بعدم غوصه في الأرض كثيراً كما هو الحال في النوع الأول، وينتشر استعمال النوع الثاني في (المغرب، والجزائر، وبعض الواحات المعزولة في تونس ، وفي إقليم المدن الثلاث

---

(٢)- محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الروماني، ط.١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص.٦٤.

(٣) - حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا، جامعة الجزائر، معهد التاريخ،=

= الجزائر، ١٩٨٥"رسالة ماجستير غير منشورة"، ص.١٢٧.

بطرابلس)[1]، ويعتقد أن الفينيقيين قد طوروا هذا المحراث حيث استبدلت السكة الخشبية بأخرى حديدية، مما سهل عملية الحرث، وأدي إلى الزيادة في المساحات الصالحة للزراعة[2].

وكان كتاب" ماجو" القرطاجي من أشهر الرسائل الفينيقية القرطاجية شهرة في علم فن الزراعة والأساليب العلمية لإنشاء المزارع العملية والرأسمالية، وفي تطوير التقنيات الزراعية وخاصة تقنية زراعة الزيتون، والكروم، والبساتين[3].

أما فيما يتعلق بالصناعة والفن، فلابد أن تكون مدن إقليم المدن الثلاث قد حذت حذو المدن الفينيقية الأخرى، خاصة مدينة قرطاج[4]، وإن كان يؤمل من الحفريات الأثرية القادمة أن تؤدي إلى الكشف عن المزيد من الأدلة الأثرية التي تشير إلى النهضة الصناعية والفنية لإقليم المدن الثلاث خلال فترة الحكم القرطاجي.

أما بالنسبة إلى التجارة، فكان العاج من السلع الصحراوية المهمة التي تم التعامل بها بين الفينيقيين والجرمنت، وقد استخدم العاج في أغراض مختلفة مثل تماثيل الآلهة وأواني الشرب، وأدوات الزينة، يشير بعض الباحثين[5] إلى الدور المهم الذي لعبته التجارة الصحراوية في ازدهار مدن إقليم المدن الثلاث ونموها، هذه المدن التي تقع في نهاية الطرق الصحراوية المهمة وهي:

---

(1) ـ المرجع نفسه.

(2) ـ عبد الحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق ،ص. ١٦٦.

(3) - م. رستوفتزف، المرجع السابق، ص.٢٨١.

(4) - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص.٣١٠.

- لبدة – أبو نجيم – سوكنه – مرزق.

- طرابلس – مزدة – مرزق.

- قابس – صبراته – غدامس – غات[١].

ويذكر "هيرودوت" أن القرطاجيين كانوا يقايضون سلعهم المجلوبة من مختلف أنحاء العالم مع القبائل الليبية مقابل المعادن الثمينة مثل: الذهب، والحجر القرطاجي[2].

وقد عرف القرطاجيون كيف يسيطرون على الأسواق الاستهلاكية لصادراتهم التجارية بفضل اتباع أسلوب بيع جميع منتجات الشعوب الأخرى، ونقلها ومقايضتها بالمعادن النفيسة التي وفرت لهم أموالاً طائلة وثروة عظيمة[٣]، ويبدو أن الحظر الذي فرضته قرطاج على مدن الإقليم لم يؤثر على علاقاتها التجارية الخارجية، حيث تشير الأدلة على علاقات تجارية بين هذه المدن ومدن أخرى مثل صقلية ومدينة قورينائية خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وقبل سقوط قرطاج[٤].

---

[٥] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص .ص.١٨٧ -١٨٨ .

[١] – المرجع نفسه، ص.١٨٨.

[٢]– Herodotus, iv, 196.

[٣] - فرانسوا ديكريه، المرجع السابق، ص.١٢٨.

[٤] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.١٩١.

الحياة الاجتماعية والدينية لمنطقة المدن الثلاث خلال الحكم القرطاجي

تكتنف دراسة هذا الموضوع الكثير من الصعوبات لغموضه وقلة المعلومات المتوفرة بخصوصه، بسبب قلة المصادر التي تتناوله خاصة أن محور الدراسة عن منطقة إقليم المدن الثلاث بالذات.

ولكن يمكن استمداد المعلومات عن هذا الموضوع بمقارنة هذه المدن بمدن فينيقية أخرى على الساحل الشمالي الأفريقي، وبذلك نثبت ما يمكن إثباته.

كان عامة الشعب الفينيقي يلبسون لباساً قصيراً يغطي الجسم إلى ما فوق الركبة بقليل، وكان الأغنياء منهم يلبسون معطفاً ذا رقبة مقفلة وقميصاً له أكمام تصل إلى المرفق[١].

ويظهر هذا اللباس على تمثال صغير عثر عليه في مدينة "قرطاجة" يمثل رجلاً متعبداً، وهو يلبس معطفاً أو جبة فضفاضة، ويعد هذا التمثال حتى الآن من أجمل ما أنتجه الفن البونيقي[٢]، وقد عثر على عدد من التماثيل الحجرية في معبد صغير في مدينة لبدة الكبرى تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وأحد هذه التماثيل يمثل

---

[١] – شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ص. ١١٥ -١١٧.

[٢] - أحمد صفر، المرجع السابق، ص.١٦٣.

رجلاً يرتدي جلباباً قصيراً ذا أكمام ضيقة، وله حزام عريض من القماش[1]. وكان الفينيقيون لا يلبسون النطاق، حتى إن الفينيقي كان محط سخرية عند الإغريق، فكان الإغريقي ينادي القرطاجي "أنت ليس عندك نطاق"، أو يقول "من هذا الذي قدم إلينا في قميص، هل سرقوا منه نطاقه في الحمام"[2].

أما النساء الفينيقيات فكنَ يلبسن لباساً فضفاضاً مطرزا بصور الأزهار، وله ثنيات وخصر ويضعنَ على رؤوسهن شالات تتدلى نهاياتها فوق الكتفين على الطريقة المصرية، كما كن ينتعلن بالصنادل[3]، وتضع المرأة الفينيقية فوق رأسها قبعة لإخفاء الشعر، وكن شغوفات بالزينة واقتناء أدواتها مثل السلاسل ومشابك الشعر، والأساور، والقبعات، الصغيرة، والأقراط، والقلائد، والخواتم، وغيرها، كما أن الرجل الفينيقي كان يقتني الخواتم، والعقود، والأساور، وكان يهتم بتصفيف شعره ولحيته[4].

ولشهرة الأغنام التي يربيها الليبيون وخاصة أصوافها الجيدة فالمرجح أن لباس السكان المحليين . حتى الليبي الفينيقي في منطقة المدن الثلاث . كانت صوفية، وربما صنعت وصبغت بنفس الألوان التي عثر عليها في توفيت مدينة صبراتة التي ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد، كما تظهر على الرسوم الحائطية في مقبرة

---

[1] ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.١٣٣.

[2] ـ أحمد صفر، المرجع السابق، ص.١٦٣.

[3] ـ شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١١٧.

[4] ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.١٣٢.

صبراتة صورٌ توضح المظهر الخارجي للنساء الفينيقيات الليبيات وتظهر مدى حبهن للألوان الزاهية وضرورة استخدامها في تزيين وزخرفة الملابس[١].

وكان القرطاجيون يتكلمون لغة مشتقة عن اللغة الفينيقية الأم، التي عرفت عند الإغريق والرومان باللغة البونية[٢]، حيث كان ظهور هذه اللغة بسبب تأثر اللغة الفينيقية الأم بلهجات أخرى محلية وخارجية ؛ كالليبية واللاتينية[٣]، وتمت معرفة هذه اللغة عن طريق الكتابات المنقوشة على المعادن، والأحجار، والنقائش الموجودة على القبور، والمباني ،والفخار، والتي كان أغلبها نقائش تتناول موضوعات محددة مثل نقوش التكريس للآلهة، مما نتج عنه عدم وجود نصوص أدبية تساعد على فهم هذه اللغة، أو دراستها باستفاضة[٤].

وقد انتشرت اللغة البونية "لغة قرطاج" في ربوع شمال أفريقيا، وجزيرة صقلية، وسردينيا، ومالطا، وجزر البليار، وشبه جزيرة ايبيريا، وكانت مستعملة في منطقة إقليم المدن الثلاث، وبقيت حاضرة حتى بعد وقوع الإقليم تحت السيطرة الرومانية[٥]، وقد استعملت اللغة والكتابة البونية في الإقليم قبل عام(١٤٦ق.م.)، وزاد انتشارها في

---

(١) – المرجع نفسه، ص.١٣٤.

(٢) - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١١٧.

(٣) - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٢٥٦.

(٤) - أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، تونس، ١٩٩٣، ص.١٣٥.

(٥) - محمد حسين فنطر،"ماذا عن النقائش البونية" النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي"، المنظمة = = العربية للثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٨، ص.٦٦.

الإقليم بعد سقوط قرطاج خلال الحكم النوميدي[١].

ولم يتم انتشار اللغة والكتابة البونية بين الليبيين في المدن الساحلية لإقليم المدن الثلاث فحسب، بل انتشرت حتى في المناطق الداخلية للإقليم، فقد عثر على نقوش مكتوبة على التماثيل والحجارة والفخار[٢]، أو على جدران بعض الأضرحة وشواهد القبور وغيرها.

أما فيما يتعلق بالعادات والتقاليد في إقليم المدن الثلاث إبان الحكم القرطاجي، فقد تأثر السكان المحليون بكثير من العادات الفينيقية، فجرت العادة مثلاً على تسمية الطفل باسم الجد ، وربط اسم المولود باسم الآلهة –حيث يعتبر ولادة الطفل هي نعمة مقدسة من الآلهة–، وكانوا يكرهون من يدنس القبور ومعابد الآلهة[٣].

وقد مارس الفينيقيون عادة الختان قبل أن يتخلوا عنها بعد احتكاكهم بالإغريق[٤].

وكان الفينيقيون في منطقة المدن الثلاث يكرهون أكل لحم الخنزير، ويمنعون استخدامه أضاحي أو قرابين للآلهة، فقد دلت الاكتشافات الأثرية على أن معظم الأضاحي والقرابين الحيوانية كانت من حيوانات الماعز والضأن والبقر والغزال[1].

---

[١] - المرجع نفسه، ص.١٢.

[٢] - عثر على لوحين من الفخار المحلي " أبعادهما: ١١x١٧سم، ٧x٣x٢سم" كتب عليهما كتابة بونية بالصمغ في حفريات وادي السمار بترهونة ، ينظر: عبد الحفيظ الميار، "اكتشافات أثرية جديدة في منطقة الجبل الغربي"، مجلة تراث الشعب، السنة الثامنة، العدد الثالث والرابع، الإعلام والثقافة، ١٩٩٨، ص. ص.٩٧-١٠٢.

[٣]- عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.١٣٥.

[٤]- Herodotus, ii, 104.

[1] - عبد الحفيظ الميار، "ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية"، مجلة آثار العرب، العدد٢٢/٢١،

المعتقدات الدينية: كانت ديانة المدن الفينيقية في إقليم المدن الثلاث هي نفس ديانة قرطاج، فيرجح أن الليبيين قد عبدوا الكثير من الآلهة الفينيقية والقرطاجية، فبنوا لها المعابد خاصة في منطقة إقليم المدن الثلاث، وقدموا لها الأضاحي والقرابين.

فنجد أن هناك بعض الأسماء التي تدل على صفات عائلية وروابط عاطفية بين السكان والآلهة، فكانوا يضيفون اسم المولود إلى اسم الإله مثل (بنت بعل) "ابنة بعل"، و(خيملك) "أخ ملك"، و (أربات بعل) "حبيبة بعل"[2].

ومن أشهر المعبودات القرطاجية التي عبدت في إقليم المدن الثلاث هي "الربة تانيت"، التي يعتقد بعض الباحثين أنها آلهة ليبية[3]، بينما يرى بعض الباحثين أن الربة "تانيت" قد عبدت في الشرق أيضاً، حيث وجد دليل على عبادتها في مدينة صور في "ساريبتا" (Sarepta)، فقد ورد اسمها في نقيشة يعود تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد، وظهر مقرونا باسم الربة"عشتارت"[٤].

كما أنها عرفت عند الفينيقيين باسم "اسطرطة"، و عادلها الإغريق بالربة "هيرا"

مشروع تنظيم وإدارة المدن القديمة، مصلحة الآثار، طرابلس، ١٩٩٩، ص. ص.١٤-١٨.

(2) - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.١٩٨.

(3) - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١١٩.

(٤) - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص٢٠٤.، أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص.٩٣-٩٥، خزعلي الماجدي، المعتقدات الكنعانية، دار الشرق، عمان، ٢٠٠١، ص.١٨١.

زوجة الإله "زيوس"، وعادلها الرومان بالربة "جونوكايليستس"[١]، وقد أقيم للربة "تانيت" عددٌ من أماكن العبادة والنصب التي نقش عليها اسمها ورموزها، فقد عثر في لبدة الكبرى، تحت خشبة المسرح على عدد من الجِرار ظهرت عليها رسوم ورموز "تانيت"، وهي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، كما عثر في مكان يقع جنوب مدينة الخمس على لوح من الحجر رسم عليه رمز لهذه الآلهة مما يعتقد أن هذا الموقع يمثل معبداً لها[٢]، وفي جنوب هضبة ترهونة في منطقة العربان عثر على نصب يحمل نقشاً مكتوباً باللغة الفينيقية ورد فيه اسم "كاليستس" وهو الاسم الروماني للربة "تانيت"[٣]

كما عثر أيضاً في مدينة ترهونة على مقابر وما يعتقد أنه معبد فينيقي عثر فيه على إناء للذبح "مذبح" وتمثالين لحيوان الكبش أو الثور مقطوع الرأس ويحمل الأول وهو الأكبر تحت عضو الإخصاب رأس الإله" بعل حمون"، والثاني وهو الأصغر يحمل رأس "الربة تانيت"[٤].

كما دلت الحفريات التي أجريت بموقع(رأس المنفاخ) بصبراته عام ١٩٧٥م أن "الربة تانيت" كانت من الآلهة الرئيسة في المدينة، ومن المرجح أنها كانت كذلك

---

(١) ـ أحمد صفر، المرجع السابق، ص.١١٦.

(٢) ـ طه باقر،" أخبار أثرية"، مجلة ليبيا القديمة، العدد الثالث والرابع، ١٩٦٦-١٩٦٧، ص.١١٤.

(٣) ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٢٠١.

(٤) ـ عبد الحفيظ الميار، "اكتشافات أثرية جديدة في منطقة الجبل الغربي"، المرجع السابق، ص.٩٤.

بالنسبة لكل مدن الإقليم[1]، أما "الإله بعل حمون" فهو يحتل بلا منازع المكانة الأولى في مجمع الآلهة القرطاجية بعد "الربة تانيت"، والدليل على ذلك وجود اسمه بعد اسم "الربة تانيت" في العديد من النقائش النذرية[2].

غير أن عبادة "الإله بعل حمون" تعد من أهم العبادات وأكثرها انتشاراً في غرب العالم الفينيقي، وقد جرت مطابقته بالإلهين "زيوس الإغريقي وساتورون الروماني"[3]، وفي الفترة الأخيرة جرت مطابقته "بالإله آمون المصري"[4].

وكان" بعل حمون" إلهاً شمسياً يرمز إليه بحيوان الثور الذي يحمل بين قرنيه قرص الشمس.

وقد رأى عدد من المؤرخين أنه ثمة صلة بين الإله "بعل حمون" والإله "آمون المصري"، والدليل على ذلك وجود حيوان الكبش رمزا مشتركا بينهما[*][5]، ووجود بعض الشواهد التي عثر عليها في أماكن متفرقة في منطقة إقليم المدن الثلاث، منها

---

[1] - محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص.٢٢.

[2] - أحمد صقر، المرجع السابق، ص.١١٧.

[3] - خزعلي الماجدي، المرجع السابق، ص.١٨٠.

[4] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٢٠٨.

[*] - يبدو أن عبادة الكبش قد استمرت في المنطقة إلى فترات متأخرة، حيث يذكر أحمد بن سعيد الشماخي في كتاب السير، " إن أبي سعيد بن الحداثي هو الذي ادحض حجة عابدين الكبش بالقيروان، فقتلهم أبو جعفر بن خرز قال: وهم المشركون عابدون الكبش"، وقد ذكر هذا في معرض تعريفه بأبي سعيد الحدثي الذي كان فقيها وعالما ومفتيا بالقيروان في منتصف القرن الثاني للهجرة. ينظر: أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تحقيق:أحمد مسعود السيابي، ج.١، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان،١٩٨٧، ص.٢٢٢.

[5] - مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم،ط١، المطبعة الأهلية، بنغازي، ١٩٦٦، ص.٤٦.

وجود معبد "الإله آمون" برأس الحداجية بترهونة[١].

غير أن الرسوم التي عثر عليها في نواحي متفرقة من ليبيا والتي تمثل رؤوس كباش تحمل فوق قرونها قرص الشمس، كانت تختلف عن الرسوم ذاتها التي عثر عليها في مصر[٢].

وقد عثر في مدينة سوسة بتونس، على رسم يعتقد أنه يمثل الإله" بعل حمون" وهو جالس على كرسي ضخم كالعرش، وبجانبه" أبو الهول مجنحة، مرتدياً جبة طويلة، وذو رأس ملتح يضع عليه تاجاً إسطواني الشكل، وبيده رمح"[٣]، ويبدو أنه قد صور على هيئة الإله الفينيقي "آل"[٤]، (صورة– ٣).

ومن بين الآلهة الفينيقية الشهيرة التي عبدت في مدينة لبدة الكبرى "الإله ملك عشتارت"(*Milk Ashtart*)، ويلاحظ أن عبادته كانت في فترة متأخرة، حيث لوحظ أن جميع النقوش التي ورد فيها ذكر هذا الإله كانت تعود إلى العصور الهلينستية والرومانية[٥]، وأن أحد هذه النقوش تذكر أن "الإلهين ملك عشتارت وشادارافا "(*Shadrafe*) هما الإلهان الحاميان لمدينة لبدة الكبرى[٦].

وبقيت العبادات الفينيقية تمارس في إقليم المدن الثلاث حتى عصور متأخرة من

---

[١] ـ طه باقر،" لبدة الكبرى"، الإدارة العامة للآثار الليبية، طرابلس، ١٩٦٩، ص.٢١.

[٢] ـ رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.٢١١.

[٣] ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٢٠٨.

[٤] ـ فيليب حتي، المرجع السابق، ص.١٢٨.

[٥] ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٢١٠.

[٦] – المرجع نفسه.

العصر الروماني، وظلت الآلهة الفينيقية تحتفظ بخصوصياتها وبنفس أسمائها الفينيقية السامية وإن اختفت وراء أسماء رومانية[١].

محاولة قرطاج عزل مدن إقليم الامبوريا ومنعها من الاتصال بالقوي الاقتصادية في البحر المتوسط:

كانت قرطاج قد اعتمدت سياسة بسط الهيمنة واحتكار التجارة واستغلال الأراضي الزراعية للمستوطنات والمراكز التجارية الفينيقية الواقعة على ساحل شمال أفريقيا والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، حيث شكلت إمبراطورية تمتد من خليج سرت شرقاً إلى ما وراء جبل طارق غرباً، بالإضافة إلى أجزاء من شاطئ أسبانيا الجنوبي، وجزر البليار وكورسيكا وسردينيا، وأجزاء من جزيرة صقلية[٢]، فاحتكرت التجارة في هذه المنطقة ؛ بعقدها للمعاهدات والتحالفات حتى تضمن سيطرتها، وتحكم قبضتها على هذه المستوطنات، وكانت أول معاهدة عام (٥٠٩ق.م..) مع روما[٣]، وجددتها عام(٣٤٨ ق.م.)، حددت فيها مسار السفن الرومانية في أقاليمها[٤].

وقد اتفق الطرفان في هذه المعاهدة على أنه لا يجوز للرومان ولا لحلفائهم أن يتجاوزوا الرأس الجميل (رأس علي المكي بتونس) إلا لأسباب اضطرارية

---

[١]-Ward Perkins,J.B.” Pre-Roman Elements in the architecture of Roman Tripolitania”, L.H., University of Libya, Benghazi, 1968,p110.

[٢] - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص. ٢٤٥.

[٣] - ب.هـ.وارمجتون ، المرجع السابق ، ص.٤٦٧ .

[٤] - سيد أحمد الناصري ، تاريخ الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، ط.١، دار النهضة العربية، =

كالعواصف، أو الاحتماء من القراصنة أو الأعداء، وإن حصل ذلك لا يجوز للقادمين إلى السواحل القرطاجية الشراء أو اقتناء أي شيء إلا ما كان ضرورياً لترميم سفنهم وإصلاحها، أو لإقامة الشعائر الدينية، وعلى كل الأحوال لا يجب أن يبقوا أكثر من خمسة أيام[١]، في المقابل ضمنت روما عدم مهاجمة منطقة سهل "لاتيوم" وحرية التجارة في صقلية[٢].

ويرى بعض المؤرخين أن رضوخ الرومان لقرطاج بتوقيعهم هذه المعاهدة وتجديدها فيما بعد، ليس من قبيل الضعف السياسي أو العسكري، وإنما من قبيل عدم اهتمام الرومان بشؤون التجارة الخارجية في النصف الأول من عصر الجمهورية الرومانية، ومما يؤكد صحة ذلك عدم ظهور عملة نقدية خاصة بالرومان في ذلك الوقت، ولم تظهر العملة الرومانية التي تحمل السيادة السياسية لروما إلا في عام(٢٨٩ ق. م.)، عندما ظهرت السبائك المتنوعة التي تزن كل واحدة منها حوالي ستة أرطال، أما النقود الحقيقية فقد سكت لأول مرة في (عام ٢٦٨ ق.م.)[٣].

ثم أن قرطاج قد استطاعت استغلال أطماع الإغريق في السيطرة على غربي البحر المتوسط ؛ فنصبت نفسها وصية ومدافعة عن المستوطنات الفينيقية في هذه

= القاهرة، ١٩٧٦، ص. ١٥٦.

[١] - أحمد صقر، المرجع السابق، ص. ٩٤.

[٢] - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص. ٢١١.

[٣] - المرجع نفسه، ص.ص. ٢١١-٢١٣.

المنطقة[1]، ولذلك فإنها وقفت موقف المدافع عن هذه المستوطنات وبنجاح ضد التوسع الإغريقي، وإن كانت فيما بعد قد فشلت في الدفاع عنها ضد التوسع الروماني وذهبت ضحيته[2]، كما سيأتي في الفصول القادمة .

فقد تبع هزيمة الأسطول القرطاجي في معركة "هميرا" سبعون عاماً من السلام، تجنبت قرطاج خلالها الصراع مع الإغريق، واتجهت إلى التوسع في أراضي شمال أفريقيا كما ذكر في السابق، وكان ذلك نتيجة ازدياد عزلة قرطاج، بسبب الانتصار الإغريقي في كل مكان، سواء في حربهم ضد الفرس، أم ضد الأترورييين في ايطاليا، وكان الفينيقيون قد تكبدوا في هذه الحروب خسائر جمة، ومن المحتمل أن تجارة قرطاج قد اقتصرت مع العالم الإغريقي فقط ، ويؤكد ذلك قبور الفينيقيين التي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، والتي كانت بسيطة وفقيرة، وتعاني من قلة المواد المستوردة[3]، وخلافاً لكل العلاقات بين الغازي والسكان المحليين في العالم القديم، كانت العلاقة بين الفينيقيين القرطاجيين وهؤلاء السكان تتميز بالسلم والسلبية في أحيانٍ كثيرة، إذ إن الفينيقيين لا يهمهم سوى رعاية أمور مستعمراتهم ومراكزهم التجارية، ومزاولة نشاطهم الاقتصادي والتجاري داخل مجتمعهم، ولا شأن لهم بالسكان المحليين الليبيين[1]، ثم تطورت بعد ذلك بالاتصال الوثيق مع الليبيين في

---

[1] ـ المرجع نفسه، ص. ٢٤٥.

[2] ـ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص. ٣٠٦.

[3] ـ ب هـ ، ورامنجتون ، المرجع السابق ، ص.٤٥٧.

[1] ـ محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص.٤٧١.

كثير من مجالات الحياة الثقافية والاقتصادية والفكرية واللغوية والزراعية والصناعية[٢] .

وعلى الأرجح أن علاقة قرطاج بإقليم المدن الثلاث قد برزت عقب حادثة إنشاء المستعمرة اليونانية على نهر "كنيبس"(وادي كعام).

وهذه الحادثة كما يرويها المؤرخ "هيردوت" تتلخص في أن الابن الثاني لملك اسبرطة قد جمع فرقاً من الشباب الاسبرطي وجاء بهم إلى سواحل ليبيا الغربية، واختار مكاناً بالقرب والى الشرق من لبده الكبرى،عند مصب نهر كنيبس(كعام)، مستعيناً بإدلاء من اليونان كانوا يعرفون أن هذه المنطقة تمثل أخصب بقعة في ليبيا، وفي سنة (٥١٧ ق . م.)، استقر هذا المغامر في هذا الموقع، وشرع يبني مستوطنته، حتى طُرِدَ من قبل السكان المحليين من قبيلة المكاي بالتعاون مع القرطاجيين بعد ثلاث سنوات من وصولهم إليها في عام(٥١٤ ق.)[٣] .

ولكن من المفيد أن نعرف لماذا سمحت القبائل الليبية لهؤلاء الدخلاء من أمثال ابن ملك اسبرطة أن يضع قدمه على هذه الأرض، ويبني مدينته بسلام طيلة ثلاث سنوات ؟

يرى بعض الباحثين أن الإغريق كانوا قد توصلوا إلى عقد اتفاق للتعايش مع السكان المحليين والقبائل المجاورة، خاصة وإن هذه القبائل لم تكن من القوة والمنعة

---

(٢) ـ رشيد النا ضوري ، المرجع السابق ، ص.٢٢٥.

(٣) -Herodotus, v, 42.

لكي تعارض هؤلاء الدخلاء، ووقف غزوهم، فاضطرت إلى الاتفاق معهم[١].

ونظراً لأهمية منطقة المدن الثلاث التجارية والزراعية بالنسبة لقرطاج، أخذ القرطاجيون في تدعيم وجودهم فيها، بإحياء مراكزها التجارية القديمة، والنهوض بها وتثبيت الحدود بينها وبين (الإغريق القورينائين) عند مذبح الأخوين "فيلاني"[٢](*Arae philaenorum*)، فطرد قرطاج لابن ملك اسبرطة من نهر كنيبس سنة(٥١٤ ق.م.)، وتثبيت الحدود مع إقليم قورينيائية، لهو دليل على أن إقليم المدن الثلاث كان محمية قرطاجية لا يحق لأي طرف أخر الدخول إليه أو استغلاله أو حتى التعامل معه تجارياً[٣].

وقد خاضت مدينة قرطاجة ومدينة قوريني حروباً كثيرة للسيطرة على المنطقة الواقعة ما بين" برنيقي" (بنغازي) ومنطقة سرت الكبرى ، وهي كما يصفها "سالوست " أرض عبارة عن سهل متشابه التضاريس ليس فيه جبل أو نهر يمكن اعتباره حداً فاصلاً بين المتخاصمين" [٤].

وعندما ملت الدولتان هذه الحروب توصلتا لحل لتثبيت الحدود في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، حيث اتفق الطرفان على أن الحدود بينهما سوف تكون عند نقطة التقاء فريقي العدائين الذين سوف ينطلقان من مدينتي قوريني و قرطاجة

---

[١] – Merighi, A. op. cit. p. 29.

[٢] – Polybius, iii, 232.

[٣] ـ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق ، ص.٣٠٧.

[٤] - Sallust, Bill. Jug. Lxxix, 3.

في وقت واحد[1] .

ويبدو أن فريق العدائين القرطاجي كان أسرع من الفريق الآخر، وقد قطع مسافات أطول من تلك التي قطعها الفريق القوريناني،عندها لم يوافق الإغريق على وضع الحدود عند التقاء الفريقين حسب الاتفاق، وذلك لاتهامهم الفريق القرطاجي باستعمال طرق غير مشروعة، واشترطوا على القرطاجيين في حال إصرارهم على تثبيت الحدود عند نقطة الالتقاء، أن يقبل العداءان القرطاجيان بدفن نفسيهما أحياء[2]، وكانت دهشة الوفد الإغريقي كبيرة عندما وافق العداءان القرطاجيان على شروطهم، ودفنا أحياء، ووضع على قبريهما تلين من الرمال[3]، وأطلق عليهما (مذبح الأخوين فيلاني)[4].

ومن المرجح أن يكون لهذه القصة حظاً كبيراً من الأسطورة، كما أنها لا تخلو من جوانب يمكن تصديقها أو اعتمادها أيضاً.

فمن المعروف أن القدماء إن أجبروا في الحروب الطويلة المستنزفة للقدرات الاقتصادية والبشرية، كانوا يختارون حكماء من الطرفين المتصارعين للفصل في

---

[1] - Haynes, D.E.L. Op. cit. p. 27;

فرانسوا شامو، الإغريق في برقة "الأسطورة والتاريخ"، تر: محمد عبد الكريم الوافي، ط.٩، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٠، ص.٢٨٤ .

[2] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص. ١٢٠.

[3] - فيصل علي أسعد الجربي، المرجع السابق ، ص.١٢٦.

[4] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق ، ص١٢٠.

المنازعات، حقناً للدماء، وإحلالاً للسلام[1]، وعلى هذا الشكل تكون القصة قابلة للتصديق، وإن تضحية الأخوين فيلاني"والتي تعني محبي الشهرة"[2]، بتبرعهما بدفن نفسيهما، فهو أمر مقبول أيضاً، لأن التضحية بالنفس وبذل الروح البشرية عادة معروفة عند القرطاجيين، الذين كانوا يقدمونها لاسترضاء الآلهة[3]، ومن المحتمل أن يكون دفن البشر أحياء هي عادة ليبية الأصل أيضا[4].

لكن بعض الباحثين يرى أن القصة كانت من تأليف الإغريق أنفسهم، ليفسروا بها عجزهم عن منع قرطاج من السيطرة على الجزء الأكبر من خليج سرت، وربما كان البحارة هم السبب في نشر هذه الرواية، فكانوا عند مرورهم بالساحل يهتدون بمرتفعين يقومان بجبل عال إلى الشرق من مذبح الأخوين فيلاني[5].

و يجدر بالذكر أن اسم الأخوين فيلاني، هو اسم إغريقي وليس فينيقيا، كما أن الحفريات قد أثبتت أن الأعمدة الأربعة المقامة في ذلك الموقع تعود إلى أواخر

الفترة الرومانية[*]، حوالي أواخر القرن الثالث الميلادي[١].

---

[١] -Thrige , J.P. Res Cyrenesium, Airoldi, Italy, 1940, p.49.

[٢] - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق ، ص.٣٠٧.

[٣]- فرانسوا ديكريه، المرجع السابق ، ص.١٤٦.

[٤] - Thrige , J.P. op. cit. p. 49.

[٥] - جود تشايلد ، قورينا و أبولونيا، دليل تاريخي، تر: الإدارة العامة للآثار الليبية، إدارة البحوث الأثرية، ١٩٧٠، ص. ص.٢٧،٢٨.

[*]- عثر في عام ١٩٥١م على قلعة صغيرة عند الكيلومتر ٧٠٩ من مدينة طرابلس قرب "بئر أم الغرانيق" [إلى الشرق من مدينة سرت]، وعلى بعد أربعة كيلومترات إلى الداخل قرب أسفل الجبل العالي، عثر في هذه القلعة على قواعد واسطوانات وتيجان لأربعة أعمدة من الحجر الكورنثي طولها ٢٥ قدماً وكان

وكانت حكومة قرطاج لا تسمح للتجار الإغريق بممارسة نشاطهم التجاري غرب مذبح الأخوين فيلاني، الذي يعد أقصى نقطة للتوسع البوني شرقاً، وقد أصبحت هذه المذابح مختفية عن الأنظار مثلما كانت أيام سترابو[٢].

إن عدم سماح حكومة قرطاج للتجار الإغريق بالتجارة إلى غرب مذابح الأخوين فيلاني كان سينهي خوفها من امتداد السيطرة اليونانية على مناطق إقليم المدن الثلاث.

ويرجح أن البطالمة قد احتلوا جزءاً كبيراً من المنطقة بالقرب من"ماكومادس– يوفرانتا"(سرت القديمة)[٣].

وقد حدد الجغرافي الروماني سترابو (Strabo)منطقة الحدود بالقلعة بالقرب من مذبح الأخوين فيلاني[*]، وتعتبر منطقة السلفيوم هي الحدود الشرقية لإقليم المدن الخمس اليونانية، وخاصة أيام الحكم البطلمي.

يعلو كل عمود تمثال، وقد اكتشف نقش على أحد هذه الاسطوانات يحمل اسم الإمبراطور "ديوقلتيان" (Diocletian)، وهذا يشير إلى أن الأباطرة الأربعة الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية في عهودها المتأخرة قد أقيم لهم أربعة تماثيل لتكريمهم في نفس هذا المكان، وذلك لاعتماد نفس الحدود اليونانية القرطاجية السابقة فيما بين قورينائية والمدن الثلاث من جديد. ينظر: جود تشايلد ، دراسات ليبية ، تر: عبد الحفيظ الميار ورفيقه، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ط.١، طرابلس، ١٩٩٩. ص.٠٢٥.

(١) –Haynes, D.E.L. op. cit. p. 27.

(2) – جود تشايلد، دراسات ليبية ، المرجع السابق ، ص.٢٥١.

(٣) -Haynes , D.E.L. op.cit. p.28.

(*)- بقوله:"بعد ذلك يكون برج إيفرانتاس (ايوفرانتاس) هو الحد بين الأرض الكارخيدونية (القرطاجية) السابقة والأرض الكيريتية"، Strabo ,Geog.,20.

وكانت الحدود بين قرطاج وقوريني قد حددت بطريقة سلمية في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، عندما كانت قرطاج تسعى إلى مهادنة الإغريق أينما كانوا، وليس من مصلحتها إكثار أعدائها، وذلك في سبيل التفرغ إلى فتح إقليم جزيرة صقلية، الذي يعد ذا أهمية أكبر من إقليم المدن الثلاث بالنسبة لقرطاج(١).

وبعد هذه الأحداث شددت قرطاج من قبضتها على منطقة المدن الثلاث، وعملت على الحيلولة دون تسرب النفوذ اليوناني إلى المنطقة، كما منعت الرومان من ممارسة نشاطهم التجاري إلا تحت إشراف حكومة قرطاج وشروطها(٢)، رغبة منها في السيطرة على تجارة المدن الثلاث مع وسط أفريقيا، فسعت إلى عدم السماح بوجود أي منافس تجاري لها في أفريقيا(٣).

ويرى هذا واضحاً في الركود الذي أصاب المستوطنات الفينيقية في ليبيا، حيث دلت الحفريات الأثرية على أن توسع مدينة صبراته الفينيقية مثلاً لم يتم بشكل كبير إلا في القرن الثالث قبل الميلاد(١).

وباحتكار قرطاج للتجارة الخارجية أضرت بمصالح المدن الفينيقية في إقليم المدن الثلاث، وذلك بحرمانها من مصدر دخل مهم، ومنعها من إقامة أية علاقات اقتصادية، ومعاملات تجارية مع شعوب غرب البحر المتوسط، التي كانت واقعة

---

(١) ـ عبد اللطيف محمود البرغوثي ، المرجع السابق ، ص.٣٠٨.

(٢) -Gerham, A. Roman Africa, Press Freeport, New York, pp.68؛ Merighi,A. op.cit, p.31.

(٣) ـ أحمد محمد إنديشة، المرجع السابق، ص.٣٩.

تحت السيطرة الرومانية[٢]، فأصبحت واردات وصادرات المدن الفينيقية في إقليم المدن الثلاث احتكاراً لقرطاج على حساب المصلحة الذاتية لتلك المدن.

وكان للأحداث السياسية والعسكرية التي تدور في الحوض الغربي للبحر المتوسط، (والذي يعرف "بالصراع القرطاجي اليوناني)،أثرا كبيرا على منطقة المدن الثلاث، وعلاقة مدينة قرطاجة بها.

ومن المهم أن نعرف أن الصراع اليوناني القرطاجي هو بمثابة نتيجة طبيعية لعاملين رئيسيين:

الأول هو السيطرة القرطاجية على ثلث الحوض الغربي للبحر المتوسط، واعتباره مجالاً حيوياً اقتصادياً مهماً بالنسبة للدولة القرطاجية ،

أما العامل الثاني فهو التوسع الاستيطاني اليوناني في غرب البحر المتوسط، والذي ابتدأ في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد، ووصل إلى أقصاه في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد، فانتشرت المدن الإغريقية عبر هذه الفترة على شواطئ القسم الجنوبي من جزيرة صقلية، باستثناء شواطئها الغربية، وبما أن الاستيطان الإغريقي قد اكتسب الصفة السياسية والاقتصادية كما هو الحال عند القرطاجيين، فقد كان لابد من وجود الصدام بينهما، ووقوع حروب طويلة ودامية[١]،

---

[١] - عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص.٣٠٨.

[٢] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق، ص.١٢٠.

[1] - لطفي عبد الوهاب يحي، اليونان "مقدمة في التاريخ الحضاري"، ط.١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب.و.ث، ص..ص.١٥٢-١٥٣.

فالصراع الذي دار بين قرطاج وحاكم مدينة (سيراكوزا الإغريقية) " الطاغية اجاثوكليس"[*] (*Agathoclese*) عام(٣١٠ ق.م.) هزم فيه الأخير، ووقعت سيراكوزا تحت وطأة الحصار القرطاجي ، لكن هذا الطاغية استطاع فك الحصار عنه، بل استطاع أن يصل إلى الساحل الشمالي الأفريقي وينزل بقواته هناك[٢]، وحقق الكثير من الانتصارات على حكومة قرطاج[٣].

ومن المرجح أن المراكز التجارية في إقليم المدن الثلاث قد تعرضت إلى نكسة اقتصادية واجتماعية عند زحف "اوفيلاس"حاكم مدينة قورينائية بجيشه ليلحق "بإجاثوكليس" طاغية سيراكوزا في الأراضي القرطاجية، وعلى الرغم من سكوت المصادر القديمة عن هذا الموضوع، واهتمامهم فقط بحلف "إجاثوكليس" مع حاكم مدينة قورينائية، إلا أنه من المرجح أن مدن الإقليم قد ضاقت الأمرين عند زحف جيشٍ عدوٍ، وصفه أحد المؤرخين بأنه يشكل مستعمرة متحركة، لكثرة وجود النساء

---

[*]- ينتمي" إجاثوكليس" إلى أسرة تعد من أحط أسر طبقات المجتمع السيراكوزي، يعمل والده في صناعة الخزف، وقد نشأ "إجاثوكليس" على حياة قاسية امتازت بالفقر والشر والفظاعة في جميع مراحلها، مع ذلك كان يمتاز بالحيوية والنشاط العقلي والجسمي، تمكن بعد انضمامه إلى المتطوعين من الارتقاء في مراتبها حتى وصل إلى درجة قاضي القضاة "بريتور" ، وهو منصب رفيع في النظام السياسي السيراكوزي، وقد وصل إلى سدة الحكم عن طريق حبك المؤامرات والعنف والقتل دون الحاجة إلى عون الآخرين، بسبب ما منحه إياه الدستور السيراكوزي من سلطات، وعند هزيمته للقائد القرطاجي "حملكار"، دعى مجلس الشيوخ السيراكوزي للاجتماع، وقام بذبحهم جميعاً وأعلن نفسه حاكماً لمدينة سيراكوزا، ينظر، نيقولو ميكيافيللي، الأمير "تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده"، تر: خيري حماد، ط.١٢، منشورات الآفاق الحديدية، بيروت، ١٩٨٥، ص..ص.٩٦-٩٧.

[٢]– Diodorus, xx, 40.

[٣] - فيصل على أسعد الجربى، المرجع السابق، ص. ١٣٠.

والأطفال فيه[١]، خاصة إذا عرفنا أن هذا الجيش كان خائفاً، ومرهقاً، ومشبعاً برغبات النهب والسلب، فربما أن هذا الجيش قد استباح مزارع المدن الثلاث، وأتلف المحاصيل والمزروعات بدوابه، واغتصب المؤن، والسلع المختلفة المعروضة في أسواق ومتاجر مدن الإقليم، مما يؤدي وبلا شك إلى توقف التجارة إلى حين من الزمن، كما يبدو أن هذا الجيش قد استعمل العنف بالضرب أو القتل مع كل من حاول مقاومته ومنعه من أعمال السلب والنهب[٢].

ومن المرجح أن مدن الإقليم الطرابلسي تعرضت أيضاً إلى السلب والنهب من قبل الأسطول الروماني خلال الحروب البونية التي دارت رحاها بين قرطاج وروما[*]، باعتبارها إحدى القواعد الاقتصادية القرطاجية المهمة، وليس لدينا معلومات عن كيفية تعرض مدن الإقليم لعدوان هذا الأسطول، أو عن موقف المدن الثلاث من الحروب البونية، ولكن من المرجح أنها دعمت حكومة قرطاج بالمؤن، وسفن النقل، والرجال، بسبب خضوع هذه المدن سياسيا واقتصاديا للعاصمة القرطاجية، حيث

---

[١] – Haynes, D.E.L. o p. cit. p. 28.

[٢] – ينظر: فيصل علي أسعد الجربي، المرجع السابق، ص.١٣٤.

[*] - دارت بين قرطاج وروما عدد من الحروب المريرة، سميت بالحروب البونية، قسمها المؤرخون إلى ثلاثة حروب، الحرب البونية الأولى، والثانية، والثالثة، وكانت بداية هذه الحروب في عام(٢٦٤ ق. م.)، وانتهت بسقوط الدولة القرطاجية وتسويتها بالأرض ورشها بالملح عام(١٤٦ق. م.)، تخلل تلك الفترة الزمنية الطويلة فترات سلام وترقب. للمزيد من المعلومات عن الحروب البونية ، ينظر، سيد أحمد الناصري، المرجع السابق، ص. ص.١٦٧،١٢٦؛ علي عكاشة وآخرون ، اليونان والرومان ، ط.١، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد ،١٩٩١ ، ص..ص..١٦٩-١٨٢ ؛ شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ص.96- ١٠٧؛ محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص. ص.٢٨٧،٢٥٧؛ رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص. ص. ٢٤١ -٢٨٣.

زودت المستوطنات الفينيقية ومنها مدن إقليم المدن الثلاث جيش حنبعل بحوالي (٤٥٠) جنديا أثناء الحرب البونية الثانية [١].

وتشير المصادر القديمة إلى موقعة حربية حدثت بين الرومان والقرطاجيين بالقرب من مدينة صبراتة [٢].

كما يرجح أحد الباحثين أن الرومان قد هاجموا بأسطولهم البحري شواطئ المدن الثلاث في عام (٢٥٣ ق. م.) [٣].

وما انفكت حكومة قرطاج تنهي حربا حتى تدخل أخري، دفاعا عن تجارتها، وما تبقى لها من مدن ومراكز لا زالت تدين لها بالولاء، بعد الحربين البونية الأولي والثانية، وقد استماتت في الدفاع عن إقليم المدن الثلاث ضد أطماع الملك النوميدي المندفع بقوة لتكوين مملكة ليبية وعلى أرض ليبية ، حتى وإن كانت من أملاك قرطاج، وهذا ما سوف يتم تناوله في الفصل القادم.

---

[١]-Merighi, A. op. cit. p. 60.

[٢] -Silluis Italicus, Punic, xiv, ٤٣٧.

[٣]–Cary,M. and Scullard,H.H. A History of Rome,3 Edition,1975, p.119.

.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

ظهور مملكة نوميديا وسيطرتها على إقليم المدن الثلاث

١ – المبحث الأول– ظهور مملكة نوميديا، (مشكلة تولي العرش في نوميديا الشرقية، وسيطرة سيفاكس عليها) .

٢– المبحث الثاني– معركة"زاما" وانقلاب ميزان القوى في المنطقة .

٣– المبحث الثالث– أحوال إقليم المدن الثلاث تحت السيطرة النوميدية.

(الأوضاع السياسية والاقتصادية لإقليم المدن الثلاث في العهد النوميدي)

المبحث الأول :ظهور مملكة نوميديا

ذكرت "نوميديا" "واالنوميديين" عند الكثير من المؤرخين الكلاسيكيين، وخاصة عند الحديث عن الحرب البونية، وحرب الرومان في شمال أفريقيا، والتي انتهت بانتصار الرومان على النوميديين وضم ممتلكاتهم إلى الجمهورية الرومانية، بعد موقعة " ثابسوس"(*Thapsus*)عام (٤٦ ق.م.)(*).

غير أنه من المؤكد أن "نوميديا" لم تولد عشية الحروب البونية، فعندما جاء الفينيقيون إلى شمال أفريقيا وجدوا بها قبائل كثيرة كان لمعظمها نظمها السياسية والدينية والثقافية، فقد ورد اسم ملك ليبي يدعى "حيرباص أو إيرباص"(Iorbas) عاش في القرن التاسع قبل الميلاد، الذي وافق على بيع قطعة أرض للمهاجرين الفينيقيين القادمين من جزيرة قبرص بقيادة الأميرة الصورية(عليسة أو ديدون)(**).

وورد خبر عن ملك آخر صمتت المصادر عن ذكر اسمه عاش في حوالي القرن

(*)- دارت معارك طويلة على أرض الشمال الأفريقي بين جيوش "يوليوس قيصر "، وفلول جيش "بومبيوس" الفارة من الشرق إثر انهزامهم أمام" قيصر" في الحرب الأهلية الرومانية الأولى، وقد تحالف النوميديون بقيادة "جوبا الأول" مع فلول جيش "بومبيوس"، فزحف إليهم "قيصر" ونزل بقواته على ساحل الشمال الأفريقي، ودارت بينهما معارك ضارية، انتهت بهزيمة المتحالفين في معركة "ثابسوس" عام(٤٦ ق.م..). وكان من نتائجها إنشاء(ولاية أفريقيا الجديدة) التي ضمت قسما كبيرا من" مملكة نوميديا وإقليم المدن الثلاث" وقد تم تنصبب المؤرخ اللاتيني " سالوست " كأول حاكم لها، حول أحداث هذه المعركة ينظر: عبد اللطيف أحمد على، التاريخ الروماني " عصر الثورة " دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٧، ص.٢٧٦ وما بعدها –عبدا لحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق، ص.٣٥٨..

(**) - تروي أسطورة عليسه "ديدون " قصة تأسيس مدينة "قرطاجة"، طعن في صحتها كثير من المؤرخين المحدثين أمثال شارل اندريه جوليان ينظر: شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.٢٦.

الرابع قبل الميلاد[١]، كما أن هناك ملك يدعى "إيلماص" (*Aelymas*) تحالف مع "أجاثوكليس" (*Aghathoclese*) في حملته الشهيرة على أفريقيا [٢].

ولم تشر المصادر إلى أي تكوين سياسي في شمال أفريقيا إلا منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، غير أنه يفهم من إشارات المؤرخين القدامي أنه وبالرغم مما توفر لحكومة قرطاج من قوة وسيطرة أتاحت لها التوسع في مناطق شاسعة شرق وغرب مدينة قرطاجة، مع إحكام القبضة على الكثير من المحطات التجارية مثل إقليم "الأمبوري" وغيره، فإن هناك كثيراً من القبائل كانت خارج السيطرة القرطاجية وخاصة تلك القبائل التي تعيش في المناطق الداخلية من حدود الدولة القرطاجية[٣].

غير أن هذه القبائل لم تستطيع الوصول إلى الوحدة السياسية أثناء العصر القرطاجي، ويعلل ذلك بسبب طبيعتها الاقتصادية والاجتماعية، التي كانت تعتمد على الرعي والترحال من مكان إلى آخر، الذي سبب بدوره عدم الاستقرار وإشعال العصبية القبلية بينها[٤].

وقد عاشت هذه القبائل مع القرطاجيين فترة من الزمن يسودها السلام، وتبادل العلاقات والصلات الاقتصادية والحضارية والاجتماعية، فقد أمد الفينيقيون العناصر

---

[١] – محمد حسين فنطر، بوغرطة من ملوك شمال أفريقيا وأبطالها، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٠، ص. ص. ٢٩-٣٢.

[٢] - Diodorus, xx, xvii.

[٣]- مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، ص. ١٣٤.

[٤] - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص. ٢٢١.

المحلية بالكثير من التقنيات الحضارية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، التي كان لها الدور المهم في نقلهم النقلة الفعلية من العصر الحجري الحديث إلى العصور التاريخية[١].

كما أن الليبيين زودوا قرطاج بالأيدي العاملة التي عملت في المزارع والبساتين، وكذلك في مجال البحرية في الأساطيل القرطاجية التجارية، وبالجيوش التي حاربت تحت إمرة القادة القرطاجيين في مواقع كثيرة من الحوض الغربي للبحر المتوسط على مدى قرون طويلة، كما جلب العديد من الملوك والأمراء النوميدون مهندسين ورسامين قرطاجيين للإشراف على بناء المنازل والقصور والقلاع، كما أشرف هؤلاء على بناء الأضرحة الضخمة التي كان كبار ملوك نوميديا يشيدونها بجوار المدن الملكية مثل(سيجا ودوقة وكرتا)[٢].

١. ومع تمسك الليبيين بآلهتهم المحلية (بعل حمون ، قرزل، آمون)، فقد أدخلوا كثيرا من الآلهة الفينيقية القرطاجية في عبادتهم ومزجوها مع آلهتهم المحلية، أو عبدت جنباً إلى جنب معها، مثل:("تانيت"و"عشترت" و"بعل")، وأخذت الأبجدية الليبية بعض حروفها من الأبجدية الفينيقية، وتشبع الليبيون

---

[١] - جون هامرتن، تاريخ العالم، ج.٣، تر: وزارة المعارف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ن.ت)، ص.٢٥٩.

[٢] - روسلر ، المرجع السابق، ص.١٨٧؛

Camps,G. (Archeoloqie-Epigraphie) , A.B.M.H.L , T.8, pp. 178.179.

بالحضارة والثقافة البونية تشبعاً استطاع أن يبقى لمدة طويلة حتى بعد السيطرة الرومانية على المنطقة[١].

٢. وقد نشأت في نوميديا مملكتان قويتان في القرن الثالث قبل الميلاد، تشكلتا من تحالف قبيلتين مهمتين، هما:" قبيلة المسازيلين" التي كانت تحكم مملكة نوميديا الغربية وكانت عاصمتها "سيجا"[٢]، وقبيلة"الماسيلين"التي حكمت نوميديا الشرقية، وعاصمتها "كرتا" (قسنطينة الحالية)[٣].

٣. ولم تكن الحدود السياسية ثابتة في كل الأوقات، بل كانت تتغير من وقت إلى آخر بسبب الظروف المختلفة، كالحروب التي مرت بها المنطقة، أو بسبب الهجرات التي كانت تتدفق على المنطقة من حين إلى آخر[٤].

وأهم المتغيرات هو ما كان عند نشوب الحروب البونية بين قرطاج وروما، التي انتهت بتدمير مدينة قرطاجة عام(146ق.م.) وتوسع مملكة نوميديا الشرقية على حساب أراضي قرطاج وحليفتها نوميديا الغربية[١]

مشكلة تولى العرش في نوميديا الشرقية وسيطرة سيفاكس عليها:

---

[١] - اندريه ايمار وجانين اوبواويه ، روما وأمبراطوريتها، تاريخ الحضارات العام، مج. ٢، تر: داغرم.فريد، ط.٢، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٦ ،ص.١٩٤ ؛ محمد الميلي، المرجع السابق ،ص.١٦٤-١٦٥.

[٢] - قرنسوا ديكبريه، المرجع السابق، ص.-٢٠١.

[٣] - رشيد الناضوري ، المرجع السابق ، ص. ص.٢٢٢-٢٢٣ ; . Strabo , Gug., xvii,iii

[٤] - محمد المبلي، "فجر التاريخ في المغرب"، مجلة الأصالة، العدد ٢، السنة الأولى، مايو، الجزائر، ١٩٧١، ص.١١٤ وما بعدها.

كان العرف السائد عند النوميديين . وخاصة في مملكة نوميديا الشرقية. يوصي بانتقال العرش إلى من هو أكبر سناً في الأسرة الحاكمة[٢].

وقد ذكرت المصادر القديمة أن الحكم في نوميديا الشرقية ((قبائل الماسيلي)) كان في يد الملك "غايا" [٣]، وقد دام حكمة من(٢١٨ إلى ٢١٣ ق.م.)[٤].

ويحتمل أن غايا هذا لم يكن وريث أبيه على العرش[*]، وإنما كان قاضياً[٥]. وكانت علاقة الملك "غايا" بحكومة قرطاج تتذبذب بين الصداقة والتحالف وبين العداوة والحروب، فقد كان حليفا لقرطاج أيام ثورة المرتزقة [**]، وقد مدَّ "غايا" يده لمساعدة القائد القرطاجي "حملكار برقه"[*] لإخماد هذه الثورة، بعد أن عقد معه اتفاقا

---

[١] - شارل اندريه جوليان ، المرجع السابق، ص.ص.١٤٢- ١٤٦.
[٢] - محمد فنطر، ١٩٧٠، المرجع السابق، ص. ٣٦. .

[٣] -Livy,T.xxix.6.7,xxx.1; Appianus.viii ; Siliust Italicus.xvi.125. ; Duo.Cassus.xvii.
[٤] - Camps. G. , Massinissa,op.cit, p.175.

[*] - يذكر " محمد فنطر " في كتابة " يوغرطة من ملوك شمال أفريقيا وأبطالها " أن والد "غايا" كان اسمه " زيلالسان" (Zelalsan) وكان شفطاً " قاضي " وأنه لا يتمتع بالحقوق التي تجعله ملكا وصاحب تاج، ينظر: محمد فنطر ، 1970 ، المرجع السابق، ص.٣٥ ، غير أن الميلي يذكر في كتابه تاريخ الجزائر، أن والد الملك غايا كان اسمة" نار افاس" الذي حاول أن يستعين به " حملكار برقه" في إخماد ثورة المرتزقة عام(٢٤٠ ق.م..)- ينظر:مبارك محمد الميلي ، المرجع السابق، ص. ١٦٣ .

[٥] - محمد فنطر1970، المرجع السابق، ص. ٣٥.

[**]--سميت بثورة المرتزقة، لأن الجنود الذين قاموا بهذه الثورة ضد قرطاج كانوا من المرتزقة الذين قاتلوا مع قرطاج مقابل أموال تدفعها الحكومة القرطاجية لهم، وقد تمردوا عليها غداة الحرب البونيقية الأولى،عام(٢٠٠ق.م.).ضع مرجع هنا

[*]-حملكار برقه" هو والد" حنبعل" الشهير، الذي استطاع غزو إيطاليا ومحاصرة مدينة روما نفسها، وقد أسهم" حملكار برقه" في الحروب البونية الأولى، و استطاع إخماد ثورة المرتزقة، و أن يوسع إمبراطورية قرطاج في الأراضي الإسبانية، وقد تولى قيادة جيوش قرطاج وهو شاب وكان يلقب

مقابل ذلك[١].

وبعد هزيمة الثوار في حرب المرتزقة، وصلت العلاقة بين نوميديا الشرقية وقرطاج إلى أعلى مستوي من التوتر، حيث عاملت قرطاج النوميديين كرعايا لها وليس كحلفاء، ففرضت عليهم الضرائب والمكوس، مما أثار حفيظة النوميديين، ونقمة ملكهم "غايا"، فاصطدم مع قرطاج في عدد من الحروب التي كانت نتائجها تدمير بعض المدن القرطاجية[٢].

وفي نفس الوقت الذي كان فيه الملك "غايا" ملك نوميديا الشرقية حليفاً لقرطاج، كان "الملك سيفاكس" ملك نوميديا الغربية ((الماسازيلي)) عدوا لدودا لها، حيث أخذ يسبب المتاعب لقرطاج مند عام(٢١٥ ق.م.)[٣].

وكانت هذه العداوة بسبب استمالة القائدين الرومانيين " بوبليوس وجنايوس سكيبيو(*publius – Gnaeus Scipio*)"لسيفاكس" للتحالف معه ضد قرطاج بعد "معركة كناي" (*Cannae*) عام(٢١٦ ق.م.) [١].

فوافق "سيفاكس" على عرض "الأخوين سكيبيو"، الذي تمثل في وقوف"سيفاكس" إلى جانب روما مقابل تعهد روما بحماية "سيفاكس" من انتقام قرطاج، وتدريب

" بالصاعقة "، وذلك لمفاجأته أعداءه بضربات صاعقة فور التحامه بهم ينظر: أحمد صفر، المرجع السابق ، ص.٢٠٦.

[١]-Gsell,S.H.A.A.N.op.cit,T.3,p.178;Walsh.P.G.Massinissa,vol.4,J.R.S.1965,p.150.

[٢] -Livy,T.xix, 3.

[3] - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص. ٢٨٥ ؛ أحمد صقر، المرجع السابق، ص.-١٧٥.

[١] - Walsh , P.G. op.cit, p.996.

الجيش النوميدي الغربي على فنون القتال حسب القواعد الرومانية، فأعلن "سيفاكس" الحرب على قرطاج، وأجبرها على الاعتراف به ملكا عام(٢١٢ ق.م.)(٢).

ونتيجة لتحالف المملكة النوميدية الشرقية مع قرطاج، وتحالف المملكة الغربية مع روما، حاولت كل من قرطاج وروما إذكاء الخلاف بين النوميداتين، فوقعت حروب بين المملكتين، انتصرت فيها جيوش الملك "غايا" بقيادة ابنه "ماسنسن" ذو السبعة عشر ربيعا، وطرد "سيفاكس" من عاصمته "سيجا"(٣) .

وبعد وفاة "الملك "غايا"،لم ينتقل الحكم إلى إبنه "ماسنسن" مباشرة (وذلك حسب العرف النوميدي كما ذكرنا آنفاً) ويذكر المؤرخ "تيتوس ليفوس"(٤):"أن العرش النوميدي في نوميديا الشرقية قد أنتقل إلى الملك"غايا"(اوزاليس)(*oezales*)، وهو رجل طاعن في السن ،ولم يدم حكمة إلا ثلاث سنوات فقط، حيث توفي في عام (٢٠٦ ق.م.)".

وقد خلفه ابنه الأكبر" كابوسا" (*Capussa*)، الذي كان عديماً للجاه وغير محبوب للقبائل التي تنضوي تحت سلطان" الماسيليين"(١)، مما ساعد أحد النبلاء ويدعى "مازيتول" (*Mazaetullus*) أن ينتهز الفرصة، ويطيح به، ويستولي على العرش لأنه ليس من الأسرة الحاكمة، وأسند الحكم إلى شقيق الملك كابوسا ويدعى

---

(٢)- Livy,T. xxtv.

(٣) - مبارك محمد الميلي، المرجع السابق ص.-١٧٦ – إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص.-٢٨٥.

(٤) - Livy, T. xxix.6-13; Camps, A.B.M.H.L.op.cit.p.177.

(١) - محمد قنطر، ١٩٧٠، ص.- ٤٤.

"لاكومـاز"(*Lacumez*)(*) واحتفظ لنفسه بمقاليد الحكم(٢).

وبما أن "لاكوماز" كان أصغر سنا من "ماسنسن". وبما أن العرف الماسيلى يعطي أحقية العرش" لماسنسن" بدلاً من" لاكوماز "بحكم أنه أكبر أفراد العائلة الحاكمة في "ماسيليا". فقد عمل "لاكوماز" بتحريض من "مازيتول"على التقرب من قرطاج، لتكون لهم سنداً قوياً ضد"ماسنسن بن غايا"، الذي كان في ذلك الوقت على رأس قومه في الجيش القرطاجي في اسبانيا(٣).

غير أن ظروف قرطاج الصعبة، لا تسمح لها بالنظر في شرعية "لاكوماز"،أو مجابهته، بالإضافة إلى تقرب روما من الملك "سيفاكس"، فسارعت قرطاج إلى استمالته إلى جانبها ولو اضطرت في ذلك إلى التضحية بحليفها الوفي "ماسنسن"(١)، أدرك"ماسنسن"ما تدبره قرطاج ضده وإمكانية الغدر به، فكافأها بنفس المعاملة، فحاول الاتصال بأعدائها و إظهار رغبته بالتحالف معهم، واستطاع أن يقابل القائد الروماني"سكيبيو الأميلي" في اسبانيا، وتبادلا الرجلان عبارات القسم بينهما(٢) .

وكان الرومان يعدون من بداية الحرب البونية الثانية خططا تمكنهم من إيجاد

(*)- كانت شخصية "مازيتول" مجهولة لدي المصادر التاريخية، كما إن هذه المصادر قد سكتت عن دوافعه التي جعلته يستولى على الحكم – ينظر: Gsell,S. H.A.A.N. T.3,PP.182.190. :

(٢) - مبارك محمد الميلي ، المرجع السابق، ص.- ١٧٩. ;٦ -Livy,T.xxix.6-13

(٣)- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق ، ص. ١٧٤.

(١) - محمد فنطر، 1970ا، المرجع السابق، ص.٤٧.، إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ص. ٢٨٦.

(٢) - مبارك محمد الميلي ، المرجع السابق، ص.١٧٤. ; Livy, T. xxvi i, xxxv, 4-2.

موضع قدم على الشمال الأفريقي، حتى يستطيعوا من خلالها تهديد مدينة قرطاجة، وقد أوكلت هذه المهمة إلى القنصل"سيرفيللوس"(*Seruillus*)غير أن هذه الخطة قد تم تأجيلها بوصول القائد القرطاجي"حنبعل"[*]إلى إيطاليا[٣].

يبدو أن "ماسنسن"هو الذي شجع"سكيبيو"على إحياء فكرة النزول على أرض الشمال الأفريقي، وذلك باقتراحه نقل ميدان الحرب إلى أفريقيا حتى يضطر"حنبعل" مغادرة"إيطاليا"[٤].

وطلب "ماسنسن" من "سكيبيو" أن يبقي هذا الأمر طي الكتمان إلى حين تنفيذه، مما يدل على أن "ماسنسن" كانت له استراتيجية وبعد نظر عسكريٍ وسياسيٍ[١].

وكان طلب" ماسنسن" قد جاء بعد رفض مجلس الشيوخ الروماني والتخلي عن فكرة النزول على أرض أفريقيا، خوفاً من خفض القوات المدافعة عن إيطاليا في وجود "حنبعل" بها[٢].

ولما علم "ماسنسن" بمقتل ابن عمه "كابوسا" عاد من "قادس" باسبانيا إلى نوميديا

---

[*]- "حنبعل" (١٤٧-١٨٣ق.م.) هو أكبر أبناء القائد القرطاجي" حملكار برقه "، ويعتبر من أشهر قادة الحرب في التاريخ، خاض حروبا ضد روما وغزا إيطاليا لأكثر من خمسة عشر عاما، وقد ذُكر عند مؤرخين عدة مثل: Florus, Cornelius Nepos, xxiii. ; Appianus, Romman History, vii..—
Toynbee, Hannibal, Oxford, (Vol. 2), 1965. ; Picard.B, Hannibal, Paris,1967.

[٣]- Picard.B, Hannibal, Paris,1967., pp.394-395.

[٤]- Saliust Italicus, Punica, xvi, 150-15.

[١] - محمد البشير شنيتي ، سياسة الرومنة ، المرجع السابق، ص. ٢١.; جايمس هنري بريستد ، العصور القديمة ، تر: داود قربان ، دار عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ص. ص. ٥٢١- ٥٢٧.

[٢] - إبراهيم نصحي، المرجع السابق،ص. ٢٨٦.

الشرقية ماراً بأرض"الماوري "، حيث أمده ملكها الذي يدعى " بوكار "[٣] بأربعة ألاف جندي لمرافقته إلى أرض وطنه[٤]،ويذكر المؤرخ" ابيانوس"أن حكومة قرطاج كانت على علم بتحرك "ماسنسن" بقواته حينما تحرك من اسبانيا متجها إلى أفريقيا، وأرسلت خلفه من يغتاله بغتة، غير أن ذلك الأمر قد باء بالفشل[٥] .

وقد يتساءل المرء عن الدوافع التي دفعت الملك "بوكار" ملك "الماورين" بموريتانيا إلى الوقوف هذا الموقف الجريء إلى جانب "ماسنسن"، أيكون ذلك بدافع العداوة " لسيفاكس"؟، أم إنه بدافع سوء النية نحو قرطاج؟.

إن ما فعله ملك الماورين يشير إلى تورطه في الأحداث الدائرة في المنطقة، سواء في الصراع الدائر بين قرطاج وروما، أو في الصراع الدائر بين النوميديتين الشرقية والغربية.

وهناك ما يدل على ذلك وهو أن فتوحات"ماسنسن" بعد سقوط "سيفاكس" عام (٢٠٣ق.م.)، لم تطل أرض وأملاك الملك " بوكار"، بل وقف عندها، وكأن هناك اتفاقاً مسبقا بين الرجلين على مستقبل المنطقة السياسي وحدود الدولتين، حتى قبل سقوط "سيفاكس" في الحرب البونية الثانية[١].

وما إن وصل "ماسنسن" إلى أرض وطنه حتى التحم به عدد يقترب من (٥٠٠)

---

[٣] - مبارك محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص. ٧٩.

[٤] - محمد فنطر ، 1970، المرجع السابق ، ص..٥٢.

[٥]- Appianus, vii, ii, 10.

[١] - محمد البشير شنيني، سياسة الرومنة، المرجع السابق، ص.٢٧.

مقاتل من النوميديين من أصدقاء والده والموالين له، واجتهد في جمع عدد آخر يستطيع أن يدحر به عدوه ومغتصب عرشه"لاكوماز"[٢]، الذي كان في تلك الأثناء عائدا من زيارة قام بها إلى مملكة "سيفاكس"، ففاجأه " ماسنسن" بحملة خاطفة، قتل فيها جنود "لاكوماز"[*] وفر هو عائدا إلى " سيفاكس"[٣].

كان "ماسنسن" يخشى "سيفاكس" حتى بعد أن استرد عرشه، وقدرته على غزوه، فقرر أن يقطع عليه وعلى قرطاج التدخل في الشؤون الداخلية لمملكته، فأمر بجلب ابن عمه "لاكوماز" وأشركه في الحكم معه، واتفق الاثنان على تناسي الماضي بما فيه من أحقاد وتمرد[١].

ويذكر أن "سيفاكس" كان غير مهتم باتفاق أبناء العمومة، وأنه لا فرق عنده بأن يكون الحكم بيد "لاكوماز" أو"ماسنسن"، ولكن قرطاج كانت تحرضه على غزو "ماسنسن" والقضاء عليه، بداعي أن أطماع "ماسنسن" لن تقف على حدود مملكة نوميديا الشرقية، بل سوف تمتد إلى أراضي مملكته، والممالك المجاورة[٢].

وقرر "سيفاكس" أن يأخذ بنصيحة أصدقائه[*]، فقام على الفور باجتياح الأراضي

---

[٢] - مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ص.٧٩؛ Livy.T., xxix, 1-6.

[*] - يذكر" تيتوس ليفوس" أن "لاكوماز" استطاع أن يجمع قوات أخرى بمساعدة"سيفاكس" تزيد عن (٢٥٠٠) جندي من المشاة والفرسان، كانت هذه القوة تفوق قوات "ماسنسن" بكثير، غير أن "ماسنسن" استطاع ببراعته العسكرية أن يهزم " لاكوماز "وأن يستعيد عرشه. Livy.T., xxx,8-13.

[٣] - محمد فنطر، 1970، المرجع السابق، ص.٥٢.

[١]– Wallsh op.cit.p.150 .

[٢]- مبارك محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص .١٧٩ ; Livy,T. xxix, xxxi, 1-6.

[*] - كان الزعيم القرطاجي "أزدروبعل" هو من كان يحرض" سيفاكس " على التخلص.من "ماسنسن"

الماسيلية عام(٢٠٥ق.م.)، واستطاع أن يهزم "ماسنسن"ومن معه، وقد لاذ "ماسنسن" بالفرار مع بعض أصحابه وتحصنوا بجبل "بيللوس"(Bellus)[**]، وظلوا يغيرون منه على الأراضي القرطاجية، مما دعا حكومة قرطاج أن ترسل إلى "سيفاكس" تطلب منه القضاء على هذا المتمرد[٣].

أرسل "سيفاكس" جيشا إلى جبل "بيللوس"، حيث تحصن "ماسنسن" و أتباعه، فوقعت هناك موقعة كبيرة، كانت الهزيمة فيها "لماسنسن"، ولم ينج من جيشه إلا هو وأربعة آخرون استطاعوا أن يقفزوا إلى النهر المجاور، حيث جرفتهم المياه، مما جعل" سيفاكس" يعتقد أنهم قد لقوا حتفهم غرقا، وقد شاع قتل "ماسنسن" في كل من النوميدتين، ووصل النبأ إلى حكومة قرطاج التي استبشرت به كثيرا[١].

لكن "ماسنسن" استطاع أن يسترد أنفاسه، وأن يجمع من "الماسيليين" عدد يقدر بعشرة آلاف جندي وأربعة آلاف فارس، وأن يهاجم "سيفاكس" وأراضي قرطاج وأن

Livy,T.xxxi

(**)- جبل "بيللوس" هو جبل يشرف على مدينة" هيبون القديمة(Hippon) " عنابة الحالية" ــ محمد البشير شنيتي،" هيبون القديمة"، مجلة الأصالة، العدد٣٤،٣٥، السنة ٥، يوليو ، ١٩٧٦، ص. ٦٢، على أن هناك من يرى أن الجبل الذي تحصن به "ماسنسن " والذي سماه المؤرخ "ليفوس" " بيللوس" (Bellus)، كان قريبا من الحدود القرطاجية، وعلى مقربة من البحر، ويشرف على سهول فسيحة، ويشقه نهر كبير– ربما يكون نهر مجردة أو الوادي الكبير- وقد سمي هذا الجبل بجبل الأربعين، لوجود أربعين قبرا على سفحه، ربما تكون لأتباع"ماسنسن" الذين قتلوا معه في حملة" بوكار" للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، ينظر: Lacroix ,L. Historié de la Numidie et de la Maurtanie, Paris 1944, p. 17.

(٣) - مبارك محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص.١٨٠ ; Livy,T. xxix, xxxi, 7-12

(١) - محمد فنطر، 1970، المرجع السابق، ص.ص.٥٤-٥٥.

يسترد أرضه ومملكته[٢]، ما دعا "بسيفاكس " أن يعاود هجومه على نوميديا الشرقية بكل قوته، وأن يهزم "ماسنسن" هزيمة نكراء جعلته يفر من جديد[٣].

واختلف المؤرخون حول مكان اختباء "ماسنسن" بصحبة ستين فارسا من فرسانه، فمنهم من يرى أنه اختبأ بمنطقة"السرت الصغرى"(قابس)[٤]، ومنهم من يرى أنه قد لاذ بالفرار إلى "منطقة المدن الثلاث"،حيث اختفى في منطقة الجبل الغربي لعدة سنوات،ما جعله على دراية تامة بأحوال الإقليم الاقتصادية والاجتماعية[٥].

وبقى "ماسنسن" في ملجأه يلتقط أخبار القائد الروماني "سكيبيو"[*] وجيوشه والتي كان من المفترض أنها قد نزلت على ساحل الشمال الأفريقي.

واستطاع "سكيبيو الأفريقي"(*Scipio African*) أن يقنع مجلس الشيوخ الروماني بخطته التي كانت تدور حول نقل الحرب من اسبانيا إلى أفريقيا، وقد شجعه على ذلك التحالف الذي تم بينه وبين الملك النوميدي "ماسنسن"[١].

وهناك من يرى أن هذا التحالف كان له الدور الكبير والمهم في تنفيذ خطة

---

[٢] - Livy,T. xxix, xxxii,3-14.

[٣] - محمد فنطر، 1970، المرجع السابق، ص.٤٩.

[٤] - مبارك محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص.١٧٦.

[٥] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص. ٣٠٩ ; محمد فنطر، 1970، المرجع السابق، ص .ص.٥٤-٥٥.; Livy.T,xxix,xxxiii ; Polybius, 6-12

[*]- هو "سكيبيو اميليانوس" ، قائد الجيوش الرومانية في اسبانيا، وقد لقب بالأفريقي بعد انتصاره على قرطاج في الحرب البونية الثانية عام (٢٠٢ق.م.).

[1] - Polybius,xv, 15-16.; Fentress ,.E.W.R. Numidia and Roman Army, B.A.R. International Series, 53, Bonbury Road Oxford , England , 1979,p.13.

مجلس الشيوخ الروماني بفرض حصار سياسي واقتصادي على الدولة القرطاجية[٢].

أرسل" سكيبيو" أحد قواده يدعى " جايوس ليليوس"(*Gaius Laelius*) على رأس أسطول بحري إلى ساحل الشمال الأفريقي، فنزل على ساحل مدينة"هيبون" شرق نوميديا[٣].

كان هدف روما من إنزال قوات رومانية على الساحل القرطاجي هو إشغال قرطاج وإرهابها، ومحاولة إنقاذ روما من براثن"حنبعل" الذي ضل يدمر المدن اللاتينية ويحرقها في إيطاليا طيلة خمسة عشر عاما [1]، فكان على روما أن تبحث عن حليف لها في أفريقيا، لتحقيق هدفها الأسمى، وهو ضرب قرطاج في عقر دارها، ومهاجمة عاصمتها، حتى يضطر "حنبعل" إلى الانسحاب من إيطاليا والعودة إلى أفريقيا للدفاع عن وطنه وإنقاذ عاصمته من الدمار[٢]، وكان للقائد الروماني هدفان مؤجلان لهذه الحملة [٣]:

الأول: الحيلولة دون وحدة نوميديا بطرفيها الغربي والشرقي، والتي بدأت تظهر تباشيرها على يد الملك " سيفاكس" حليف قرطاج .

والثاني: تحقيق أطماع الرومان ذات الطابع الاقتصادي، والهيمنة الاستعمارية،

---

(2) – Gsell, S. H.A.A.N.T.3, p.290.

(3) – Livy, T. xxix, iv, 1-7.

(1) ـ فرنسوا ديكيريه، المرجع السابق، ص. ٢١٠.

(٢) ـ علي عكاشة وآخرون، المرجع السابق، ص. ١٧٨.

(٣) ـ محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البوبية، ط.١، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٩٨، ص.٨٠.

لاحتواء البحر المتوسط وجعله بحيرة رومانية، بعد إقصاء قرطاج التي يعتبرونها اقوى المنافسين فيه.

وجدت روما في "ماسنسن" الحليف الجيد الذي تبحث عنه، والذي رغب في التحالف مع روما بدلا من التحالف مع قرطاج، وذلك لأسباب سياسية(*)، وبنظرة ثاقبة رأى "ماسنسن"أن قرطاج قد بدأ انهيارها، بعد هزائم عديدة أمام الرومان، وهو شاهد أو مشاركٌ في هذه الهزائم التي أخذت تسري بسرعة مدهشة، وقد فكر" ماسنسن "في أن يكون في صف الغالب عندما تحين المعركة الفاصلة بدلا من أن يكون في صف المهزوم(١).

وعندما علم " ماسنسن" بوصول قائد الأسطول الروماني " ليليوس" اتصل به على الفور، عارضا عليه نصائحه وإمكانياته العسكرية، راغبا في الانضمام بمن معه في صفوف الجيش الروماني(٢).

وقد طلب " ماسنسن" استعجال قدوم القائد الروماني " سكيبيو" خاصة وأن الظروف في تلك الأثناء في صالح الرومان، بسبب انشغال الملك " سيفاكس" في

(*) - يرى بعض الباحثين أن انقلاب "ماسنسن" على حكومة قرطاج كان بسبب قضية عاطفية وهي زواج "سيفاكس"من الأميرة القرطاجية "صيفونيسبة" ابنة "عزروبعل جاكسون"،التي كانت خطيبة " ماسنسن" قبل أن تقنع حكومة قرطاج "سيقاكس" بالتحالف معها بدلا من التحالف مع روما. ينظر: محمد فنطر،1970، المرجع السابق، ص.١٠٤؛ محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة، المرجع السابق، ص. ٢٤؛ Livy,T.xix ;Dio Cassius ,Roman History,xxxvi,21 ; Diodorus Siculus ,Library of History, xxvii,20.

(١) محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص. ٨٤.

(٢) -Livy,T. xxix,iv,8-9.

محاربة القبائل المجاورة لمملكته.

رجع " ماسنسن " بعد ذلك إلى معسكره، والأسطول الروماني إلى صقلية بعد أن نهب مدينة " هيبون"(٣).

٢- معركة "زاما" وانقلاب ميزان القوى في المنطقة

تم الإشارة فيما سبق إلى التحالف السري بين الأمير النوميدي" ماسنسن" و القائد الروماني " سكيبيو الأفريقي"، وذلك قبل عودة "ماسنسن"إلى أفريقيا، وسعيه في استرداد عرشه المغتصب.

كان التحالف يتضمن خطة العمل العسكري المشترك بين الرومان والأمير النوميدي، وتشمل كل أراضي شمال أفريقيا بعامة، والأراضي القرطاجية بخاصة(١)، وكانت الخطة تبدأ بنزول الفرق الرومانية على سواحل نوميديا الشرقية(*)، حيث يكون "ماسنسن" بانتظارها، ثم يقومان معا بالتحرش بالقوات القرطاجية وحليفها " سيفاكس"(٢).

وتنفيذا لتلك الخطوة قضي " سكيبيو" عام (٢٠٥ق.م.) بعد انتخابه قنصلا لنفس

---

(٣) -Idem .

(١) -محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص. ٢٦.

(*)- يرى المؤرخ " ليفوسوس" ان اليوم الذي اتصل فيه " ماسنسن باسكيبيو" على رأس فرقة متواضعة من فرسانه، كان أسعد أيام الرومان منذ دخولهم لأفريقيا، والذي كان له الأثر الطيب. Livy,T. xxx, 29-4.

- كما أن المؤرخ " سالوست" يذكر أنه أثناء الحرب البونية الثانية حينما كان " حنبعل "يسدد أشد ما تحتمله روما من ضربات منذ قيام السيادة الرومانية، كان "ماسنسن" ملك النوميديين قد دخل في صداقتنا على يد " سكيبيو" الذي عرف من بعد باسم "سكيبيو الأفريقي"، لشجاعته، Sallustus, Bell.Jug .v ,29

(٢) - Livy.T.,xxviii.

العام، في تجهيز قواته للنزول بالسواحل الأفريقية الشمالية [٣].

ولم يكن الحلف الذي عقده "سيفاكس" مع الحكومة القرطاجية عائقا لتنفيذ المخطط الروماني، حيث نزل "سكيبيو" بقوات يقدر عددها بحوالى (٣٥٠٠٠)جندي[٤]،محملين على (أربعين سفينة حربية وأربعمائة ناقلة حربية) [٥]، ونزل بهم بالقرب من مدينة"عتيقة" حيث عسكر بجوارها[٦].

وقد اجتمع " سكيبيو" بالأمير النوميدي " ماسنسن" الذي أقبل عليه في عدد من المشاة والفرسان، اختلف الباحثون في تحديد عددهم[١].

ومن المحتمل أن "سكيبيو" قد اتبع سياسة خاصة ليضلل بها جواسيس قرطاج، وذلك عندما أعلن إن مسيره سوف يكون إلى سواحل سرت الصغرى، في حين أنه اتجه بأسطوله إلى مدينة "عتيقة"، ورست سفنه عند منطقة تعرف باسم " رأس أبوللون " [٢] (رأس فارينا حاليا) ، وقام وجنوده باحتلال مدينة[*] بالقرب من ذلك المكان، (لم يذكر المؤرخ " ليفي" اسمها) ، وقام بنهبها، وأرسلت غنائمها إلى جزيرة

---

[٣] - محمد فنطر، 1970، المرجع السابق، ص.٥٦.

[4] – Livy,T. xxix, xxv,3.

[5] - محمد فنطر، 1970، المرجع السابق، ص.٦٠.

[6] - أحمد صفر، المرجع السابق، ص. ٢٢٩.

[١] -:محمد فنطر، 1970، المرجع السابق، ص.٦٠.

[٢] – Livy, T.xxix, xxvii, 12-14.; Polybius, iii, xxii,5.; Zonaras , Annuals,ix,12.

[*]- لم يذكر المؤرخ " ليفوس" اسم هذه المدينة، ولم يقع إجماع المؤرخين على اسم معين، غير أن"محمد فنطر" يرى أنها مدينة " العالية" حاليا، ينظر: محمد فنطر،1970 المرجع السابق، ص.٦٠.

صقلية مع (٨٠٠٠) من رجالها الذين تم أسرهم[٣].

ووضع "ماسنسن" نفسه وما تبقي من أتباعه في خدمة القائد الروماني [**]، وقد استطاع " سكيبيو" بهذا الدعم أن ينتصر على التحالف القرطاجي النوميدي الغربي بقيادة " سيفاكس" في المعارك التي دارت في سهل مجردة [٤]،وقد كان " لماسنسن" دور فعال ومهم في انتصار الرومان في هذه المعارك[١]، حتى إنه قد شارك في وضع خطط هذه الهجمات[٢].

استطاعت الجيوش القرطاجية و النوميدية الغربية أن تعاود اتصالها بعد هذه الهزائم، وأن تدعم قواتها بعدد (٤٠٠) من المرتزقة " الكلتين"[*] (*Celtiberian*)[٣]، كما أنها قد تلقت مساعدات من مقدونيا[٤]، والتقت بالجيوش الرومانية في وادي

---

[٣] - Appianus, v, ii, 13-;- Livy, T., xxix, 2-4.

[**] - يرى "ليفوس" إن "ماسنسن" قد و صل مع ما يزيد على ألفين من فرسانه؛ Livy,T. xxix,29-4.

[٤] - أحمد سليماني،" ماسينسا"، مجلة التاريخ، عدد ٢١، الجزائر، ١٩٨٦، ص.٢٩، ويذكر " ليفوس أن " الجنود القرطاجيين والنوميديين الذين سقطوا في أحد هذه المعارك قد تجاوز عددهم" ٥٠٠٠" أسيرا، عندما أضرم جنود الرومان النار في المعسكر القرطاجي، وقد قتل عدد كبير منهم ذبحا أو حرقا بالنار"، ينظر: فرانسوا ديكريه، المرجع السابق، ص.. ٢٠٧ .

[١] - للمزيد من المعلومات حول دور "ماسنسن" ينظر: Livy,T. xx, v, 1-6. ; Appianus, viii, 14.; Dio Cassus,Roman History,xvii,67-68.;

جورج مصروعة ، هنيبعل ، ج٢، ط٢، مطابع سميا، بيروت، ١٩٥٩، ص.ص. ٣٠-٣١.

[٢] - محمد فنطر، ١٩٧٠، المرجع السابق، ص.٦٣.

[*] - أطلق اسم الكلتين علي فريق من سكان بلاد الغال ، وهؤلاء حسب قول "قيصر"يدعون كلتيين بلغتهم، أما الرومان فقد عرفوهم باسم الغاليين، ينظر: عبد الله حسن المسلمي، الحضارة الرومانية ، ط.١، ب.ت.ن. بنغازي، ١٩٩٨،ص. ٤٨.

[٣]- Polybius, xiv, iv

[٤] - Hallward.B.L.” Scipio and Victory”, C.A.H. 1th edt, Cambridge University Press, London,1932 p.101.

نهر مجردة الأوسط، ودارت بينهما معركة عظيمة، كان النصر فيها حليف الرومان[٥]، وهرب "سيفاكس" إلى عاصمة مملكته، فالتحق به "ماسنسن" بفرسانه وبعض فرق الجيش الروماني بقيادة القائد الروماني " ك. لايليوس" عبر الأراضي النوميدية الشرقية[٦]، فدارت معركة عند مدينة "كرتا" عاصمة"سيفاكس" انتهت بسقوط سيفاكس أسيرا في يد الرومان [٧]، حيث سجن في مكان بجوار عاصمته إلى حين نقله إلى روما، ليسير في موكب النصر مع باقي الأسرى.

دخل "ماسنسن" قصر "سيفاكس" وقابل الجميلة القرطاجية "صفونيسبة"[*] زوجة " سيفاكس" التي اقترحت عليه الزواج منها[١]، قبل أن تقتل نفسها عندما رفض "سكيبيو"هذا الزواج وأصرَ على أن تكون الأميرة القرطاجية من ضمن الأسرى[٢].

كان " سكيبو" يخشى على حليفه من تلك السيدة الجميلة، ومن تأثيرها القوي على النفوس، أن توغر صدره ضد الرومان، إن تزوجها ، فينقلب ضدهم، ويفسد خططهم

---

[٥] - فرنسوا ديكريه ، المرجع السابق ،ص.٢٠٧.

[٦] - محمد فنطر، 1970، المرجع السابق، ص.٦٨؛

Livy.T.,xxx, 91; Hallward.B.L., C.A.H. op. cit., p.102.

[٧] - ل. هارلود، حنى بعل، تر: رشيد السيسى، دار الفكر العربي، بيروت ، ١٩٦٢، ص. ٢٤٥.

[*]- أورد بعض المؤرخين مثل: Livy,T.xxx; Appianus,vii,v,27; Diodorus,xxvii,vi; Zonaras,ix,13 ; وكذلك : ل. هارلود، المرجع السابق ص.٢٤٧." إن الملك "سيفاكس " القي باللوم على زوجته القرطاجية على تحريضها المستمر له لمحاربة روما " ، وكما يذكر :(Sil.Ital,xvii,70-75) أن "سيفاكس " قد ضحي بمملكته من اجل حب امرأة بهرته بجمالها ، فتخلي عن حلفه مع الرومان ،وقدم قواته مهرا لها ، ولم يأبه للنصح و الإرشاد والتحذير عندما نصحه " سكيبيو" بان سياسته الجديدة قد يكون لها عواقب وخيمة عليه وعلى مملكته".

[1] - محمد فنطر، 1970، المرجع السابق، ص.٧١.

[2] - Livy ,T. xxx,xii,11-12 ; Diodorus,xxvii,vi,1

العسكرية في أفريقيا[٣].

كانت هزيمة "سيفاكس" ووقوعه في الأسر هي بمثابة ضربة موجعة لقرطاج، ما دعا بحكومتها إلى أن تسارع في مفاوضة العدو، راغبة في هدنة ووضع حد للحرب[٤].

ويرى " فرنسوا ديكريه " أن موقف القرطاجيين بعد هذه الهزيمة واضمحلال قوة حليفهم، قد توزع بين مطالبين بالهدنة، وآخرين يرون مواصلة الحرب، بيد أن الفئة المعادية لأسرة " آل برقه " كانت قد سيطرت على القرار السياسي، وفرضت على الحكومة القرطاجية قبول الهدنة، والسعي إلى الدخول في مفاوضات مع الرومان، أما الفريق الذي يرى مواصلة الحرب فكان يرى استدعاء القائد القرطاجي " حنبعل" من إيطاليا، فقد كانوا يرونه الأمل الوحيد لإيقاف الزحف الروماني الذي بات يهدد مدينة قرطاجة نفسها"[١] .

واغتنم " ماسنسن" فرصة وجود الهدنة بين قرطاج والرومان، فعاد إلى مملكته ليوطد حكمه فيها، بعد أن أصبحت الطريق مفتوحة أمامه[٢].

ويرى البعض أن "سكيبيو " قد أرسل معه بعضاً من قواته ليؤكد أن الفضل في سيطرة "ماسنسن" على نوميديا، وتتويجه ملكاً عليها كان للرومان، وليس لشجاعته، أو أنه كان بسبب مكافأته على خدماته للجمهورية الرومانية؛ حتى يتحصل الرومان

---

[3] ـمحمد البشير شنيتي ،" قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة" ، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الخامس ، جامعة الجزائر ، ١٩٨٨،ص. ٣٨.

[4] - Zonaras, Annuals, ix, 13.

[1] ـفرنسوا ديكريه، المرجع السابق، ص.٢٠٩.

على شرعية التدخل في أفريقيا في أي وقت يشاءون[٣] .

كما أن اعتراف روما "بماسنسن" ملكا على نوميديا ما هو إلا طريق للهيمنة الرومانية على نوميديا، وإعلان بأنه لا حق " لماسنسن" أو لغيره في العرش إلا برضا الشعب الروماني، " فكأنها أرادت السيطرة على نوميديا من خلاله"[١].

أرسلت حكومة قرطاج وفدا يتكون من"ثلاثين"رجلا من وجهائها للتفاوض مع القائد الروماني المنتصر[٢]،ووفدا آخر لاستدعاء"حنبعل"وأخيه "ماجو" بقواتهما من إيطاليا، وأمرهما باسم مجلس الشيوخ القرطاجي بالرجوع لإنقاذ العاصمة القرطاجية[٣]، حيث فاوض الرومان قرطاج على صلح كان أهم شروطه[٤]:

١. أن تسحب قرطاج كل جنودها من إيطاليا.

٢. وأن تعترف بسلطات روما على ممتلكاتها السابقة في (صقلية وسردينيا واسبانيا).

٣. وأن تسلم قرطاج إلى روما مقادير كبيرة من الحبوب.

---

(2) – Hallward, B.L. C.A.H., op. cit, p.102.

(3) - Gsell, S. H.A.A.N. T.3, op.cit. p.252.

(١) - محمد فنطر، 1970، ص٧٥.

(٢) - وليم لانجر، موسوعة تاريخ العالم، تر:محمد مصطفي زيادة، ج.١، ط.٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٥٢، ص.٢٣٠.

(٣) - ب.هـ. ليدل هارت، (حنى بعل)، موسوعة تاريخ العالم، تر:دار المعارف بوزارة التعليم، ج.١، ط.١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص.٢٩٩.

(٤) – شارل أندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١٠٦.

٤. وأن تعيد إليها جميع الأسرى الرومان والفارين من الخدمة العسكرية.

٥. وأن تقوم قرطاج بتقليص أسطولها البحري.

٦. وأن تعترف قرطاج " بماسنسن" ملكا على نوميديا.

٧. وأن تدفع غرامة مالية تقدر بخمسة ألاف(٥٠٠٠) تالنت ذهبي (*).

ويرى البعض أن الطرفين قد وافقا على شروط الصلح كسبا للوقت[١]، فكانت حكومة قرطاج على علم بالفترة الزمنية الطويلة التي سوف تمر قبل أن تكون شروط هذا الصلح موضع التنفيذ، وفيها يقوم فريق من سادة قرطاج باستدعاء القائد القرطاجي "حنبعل" وأخيه " ماجو"[٢]، أما القائد الروماني فكانت موافقته على هذه الشروط–التي أملاها بنفسه– كسبا للوقت حتى يزيد من استعداداته العسكرية ليسد الطريق على مدينة قرطاجة، وكشف استعداد العدو وقدراته العسكرية إلى أن يحين الوقت المناسب للضربة القاضية[3].

وصل " حنبعل " في بداية خريف عام (٢٠٣ق.م.) إلى سواحل شمال أفريقيا،

(*)- تالنت(Talent) وحدة وزن تساوي (٦٠ ميناي Minae) "، والميناي" يساوي (١٠٠ دراخمة يونانية)، عن : ب.ل. هـ. ايدرسن ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، تر: عبد اللطيف أحمد علي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٥، ص. ٧٣ .

(1) -رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.٢٧٢.

(2) - فرنسوا ديكيريه، المرجع السابق، ص.٢١٠.

(٣) – Livy, T. xxx, xvi, 9-11.

(٤) Hallward, B.L. C.A.H. op, cit, 105.

وقلبه يغلي حقدا لاستجابته لطلب حكومته بمغادرة إيطاليا، التي ظل يحارب فيها طيلة خمسة عشر عاما، راغبا في تحقيق حلمه بتدمير مدينة روما[4].

وبعد أن وصل " حنبعل" إلى مدينة " لبدة الصغرى" (*Leptis Minor*) سارع إلى مدينة " حضرموت" (*Hadramentum*)(سوسة– تونس)، ليجمع الخيول والمؤن، وليستميل أكبر عدد من المقاتلين النوميديين[1]، ثم ذهب إلى مدينة قرطاجة للحصول على المزيد من الصلاحيات، حيث منحه مجلس الشيوخ القرطاجي لقب " ديكتاتور" لعله يستطيع فعل أي شيء، ولا يسأل أو يحاسب عن أي شيء[2].

وكان على "حنبعل" أن يفرض على عدوه واقعا مكانيا وتكتيكيا يمكنه من كسب معركة سريعة، تزيد من ثقته وثقة جنوده في النصر وخاصة أنه قد جلب معه"خمسة عشر ألفا " من الجنود المحنكين، وانضم إليه حوالي (٤٠٠٠) فارس من فرسان القائد " ارياسيداي" (*Areacidae*) ، و(١٠٠٠) فارس من فرسان الأمير النوميدي "مازايتول" (*Mazatullus*)[*]، والملك "فيرمينا" ابن "سيفاكس"،الذي كان في ذلك الوقت يدافع عن أراضي مملكته التي تعرضت لهجوم شرس من قبل "ماسنسن"[3]، (خريطة-٤).

---

[1] – Livy, T. xxix, 1-3.

[2] - أحمد صفر، المرجع السابق، ص. ٢٣٠.

[*]- يبدو أن الأمير" مازاتيول " هو من أسرة "ماسنسن " وانشق عنه نتيجة لخلاف معه : المرجع نفسه .

[3] - Polybius, xv, iii, 5-7, Appianus, viii.

وكان "حنبعل "قد وضع خطة يبدو أنها تركزت على ثلاث نقاط رئيسة هي:

١. الالتحاق بالقوات التي كان قد وعد بها " فرمينا".

٢. السير لقتال " ماسنسن" الذي كان في ذلك الوقت في قتال مع "فيرمينا".

٣. الدوران حول القوات الرومانية والإيقاع بها بعد عزلهم عن حليفهم"ماسنسن"[1].

ويبدو أن "سكيبيو" عرف كيف يحبط خطة " حنبعل" هذه، بعد أن استطاع أن يقرأ أفكاره، فأرسل إلى " ماسنسن" يحثه على الإسراع بالالتحاق به[2]، واتجه إلى الجهة الجنوبية الغربية ليفاجئ الجيش القرطاجي، ويوقع به قبل وصول نجدة "فيرمينا"إليه[3].

وكان "لسكيبيو" ما أراد، فقد وجد"حنبعل" الجيش الروماني في ملاقاته عندما كان يجتاز " جبال الظهرية الكبرى"التي كانت تفصل بين الساحل ودواخل المنطقة[4]، وكان مندهشا عندما علم أن " ماسنسن" قد التحق بحلفائه الرومان ومعه (٤٠٠٠) فارس و(٦٠٠٠) من المشاة [5].

وقد دارت بين الطرفين معركة عنيفة، تعرف بمعركة "زاما"،عام (٢٠٢ ق.م.)،

---

[1] - أحمد صفر، المرجع السابق، ص.. ٢٣٠; Hallward, B.L. C.A.H. op, cit. 102.

[2] – Livy, T. xxx. ; Polybius, xv, 4; Appianus, viii.

[3] – Livy, T. xxx ; Appianus, viii.

[4] - أحمد صفر، المرجع السابق، ص. ٢٣٠.

[5] - Polybius, xv, v, 12.

التقي فيها أشهر وأحنك قائدين في التاريخ(*)،والتي انتهت بانكسار القوات القرطاجية وحلفائها، ورضوخ الحكومة القرطاجية بتحريض من "حنبعل" (*) لتوقيع معاهدة قاسيه ضمنها القائد الروماني المنتصر بعض الشروط، واستطاع أن يكبل بها قرطاج وينهي سيطرتها على ممتلكاتها حتى في المستقبل (١)، (خريطة-٥).

وما يهم من شروط هذه المعاهدة، شرطان مهمان، الأول: ليس لقرطاج الحق في أن تخوض أي حرب داخل أفريقيا أو خارجها إلا بإذن مسبق من الحكومة الرومانية، والشرط الثاني:"على قرطاج إرجاع جميع ممتلكات " ماسنسن" وممتلكات أسلافه التي استولى عليها القرطاجيون في السابق"(٢).

ويبدو أن الرومان بهذين الشرطين قد قرروا إضعاف القرطاجيين، فبادروا بالاستفادة من خلاف الملك النوميدي مع الحكومة القرطاجية، فشجعوا أطماعه، وأطلقوا يده في الاستيلاء على أملاك قرطاج، وذلك بغض النظر عما يفعله "ماسنسن" من نشاط توسعي يهدف إلى تكوين مملكة نوميدية شاسعة مترامية الأطراف على أرض آبائه وأسلافه الليبيين كما يزعم، وكان الرومان يهدفون من وراء

(*)- للمزيد من المعلومات حول هذه المعركة الشهيرة يراجع :ب. هـ .ليدل هارت، المرجع السابق، ص.ص. ٢٩٩-٣٠٢.

(*)- اعترف " سكيبيو" بشجاعة " حنبعل" في معركة " زاما"، وانه قد بذل كل ما يمكن أن يبذله بشر في الحرب، وكل قائد يسعى إلى نصر حاسم ، ينظر:شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٠٦.

(١) - فرنسوا ديكيريه، المرجع السابق، ص. ٢١٤.

(٢) - Ploybius, xv, 1-18.

(3) - El Mayer, A.F.T.R.E. op.cit. p.14.

ذلك إلى دفع قرطاج إلى خرق" معاهدة زاما" لعام(٢٠٢ق.م)[3]،(صورة–٦).

وبعد أن سيطر"ماسنسن"على كامل نوميديا الشرقية والغربية "مملكة سيفاكس"[*]، بدأ يوجه أنظاره شرقا حيث الأراضي القرطاجية الخصبة والمزارع المنتجة، واستغلالا لشروط معاهدة "زاما"، كان خيال "ماسنسن" يصور له حقوقا لأسلافه قد جهلها أسلافه أنفسهم[١]، لذلك بدأ في شن اعتداءات منظمة على الأراضي المملوكة لقرطاج، وفي المقابل عجزت قرطاج عن الدفاع عنها، وذلك بحكم شروط معاهدة "زاما "التي تمنع قرطاج من خوض أي حرب داخل أفريقيا أو خارجها إلا بأذن من روما[٢]، وإنما كانت تناشد مجلس الشيوخ الروماني عقب كل اجتياح نوميدي بالتدخل ضد هذه الاعتداءات، غير أن روما لم تشأ أن تتدخل ضد حليفها"ماسنسن"[٣]، فربما تجد دائما ما تبرر به اعتداءات حليفها ضد قرطاج، وأن " ماسنسن "

(*)- عاش "ماسنسن"ردحا من الزمان في سلام في الفترة التي أعقبت الحرب البونية الثانية، هذه الفترة منحت الملك النوميدي فرصة لتحقيق طموحاته، وتكوين مملكة قوية سياسيا واقتصاديا، مستعينا بذلك بالأساليب الفينيقية في النشاط الزراعي التي انتشرت في مملكته، واعتماد نظام الحكم الفينيقي في إدارة دفة الحكم، ونجاحه في تطوير القبائل الليبية و النوميدية البدوية ،وحملها على الاستقرار، والتشبع بثقافات الدول المتحضرة خاصة الثقافة الفينيقية، وهو بالفعل كما يقال " رجل الحرب والسياسة معا".
للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: اندريه ايمار ورفيقه،المرجع السابق، ص.٦٤.، وقد أصبحت نوميديا أحد المناطق المهمة المصدرة للقمح والحبوب بعد ما كانت تعاني من نقص.الغلال – عماد حاتم،" حفنة من تراب التاريخ القديم"، الفصول الأربعة، عدد١٤، السنة ٤، يوليو، رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، طرابلس، ١٩٨١، ص. ١٠١ ؛ عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص.ص. ٧٢-٧٣.

(١) - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٤٠.

(٢) - جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تر: عبد الحفيظ الميار ورفيقه، ط.١، دار الفرجاني، طرابلس، ١٩٧٢ ، ص.

(٣) - El Mayer, A.F.T.R.E.op.cit.p.15..٣٩

بدوره قد استطاع أن يبطل مفعول شكاوى قرطاج إلى مجلس الشيوخ الروماني، وذلك بمحاولته تسريب معلومات تفيد تطورات سياسية خطيرة أو تحضيرات عسكرية تقوم بها قرطاج[1].

وهناك منطقتان سعى " ماسنسن " للحصول عليهما وحرمان قرطاج منهما، الأولى " حوض مجردة [2]، التي كانت تمتاز بالخصوبة وكثرة أشجارها، وعامرة بالقرى السكنية[3].

والثانية : منطقة الامبوريا(المدن الثلاث)، التي لها أهمية تجارية قصوى، وكانت بمثابة شريان حيوي بالنسبة لقرطاج، خاصة فيما يتعلق بالتجارة الصحراوية، بالإضافة إلى أراضيها الغنية بأشجار الزيتون[4].

إن محاولة " ماسنسن" السيطرة على هذين الإقليمين (إقليم نهر مجردة وإقليم الأمبوريا) يعني حرمان قرطاج من أخصب أقاليمها، الأوفر إنتاجا بالمنطقة، وفي نفس الوقت فإن "ماسنسن" قد يتحصل على مكاسب اقتصادية مهمة تدعمه في مواجهة ضراوة وشراسة حربه مع قرطاج[٥].

وخشية حدوث هذا الأمر حاولت قرطاج جاهدة الحيلولة دون وقوع هذه المناطق

---

[1] - مفتاح أحمد الحداد، التاريخ السياسي والاقتصادي لولاية أفريقيا البروقنصلية، جامعة الفاتح، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٢، (رسالة ماجستير غير منشورة)، ص. ١٦.

[2] - El Mayer, A.F. T.R.E. op.cit. p.15.

[3] - Polybius, xxxi, 21.

[4] - Mattingly , D.J. op.cit. pp.50-51.

[٥] – مفتاح أحمد الحداد، المرجع السابق،ص.٣٢١.

في قبضة الملك النوميدي، فبذلت جهودا دبلوماسية مضاعفة، فأرسلت الوفود إلى روما لمقابلة مجلس الشيوخ الروماني لتوضيح موقفها والشكوى من "ماسنسن" وأعماله العدائية ضدها.

ويذكر أن إقليم المدن الثلاث كان محل نزاع بين قرطاج والنوميديين في الفترة الواقعة بين الحربين البونيتين الثانية والثالثة، نظرا لثرائها وأهميتها الإستراتيجية، وأن مدن الامبوري لم يكن بمقدورها – في وجود حكومة قرطاج الضعيفة– أن تقاوم الضغط النوميدي[١]،وللتحقق من تلك الشكاوى، أرسلت روما عدداً من اللجان، وكان قرارها في معظم المناسبات يأتي في صالح حليفها " ماسنسن"[٢].

عجز القرطاجيون على صد هجمات "ماسنسن"[*] ،ففي الستينيات من القرن الثاني قبل الميلاد اعتقد "ماسنسن" أنه بوسعه ضم إقليم المدن الثلاث "الامبوريا"إلى ملكه[3]، فطلب من الحكومة القرطاجية السماح له بالمرور عبر إقليم"الامبوري"لمطاردة أحد الثائرين المناهضين لحكمه، يدعى "أفطير"، والذي فر إلى" إقليم سيرينايكا"عبر أراضي هذا الإقليم "[٤].

---

(١) – Romanalli , P. Leptis Magna, op.cit.p.10

(٢) -عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص. ٣٩.

(*) - لان شروط السلام لموقعة "زاما" لم تكن تسمح لهم بشن حرب ضده إلا بموافقة روما، التي كانت تؤيد سلب الأراضي من القرطاجيين. ينظر: جون رايت، المرجع السابق، ص. ٣٩٠..

(3) - Polybius, xxx, 21.

(٤) - Saumagne, Pretextes, Jurdiques de la 3eme Guerre Punique Revue Historique,=
= T.167,Paris,1931,p.238.

ولم تكن نوايا الملك النوميدي خافية على الحكومة القرطاجية، التي قررت رفض طلبه رفضا قاطعا، لكن "ماسنسن" لم يأبه لرد قرطاج وبادر باجتياح أراضي"الأمبوريا"عام (١٦٣ق.م.)، واستولى على المنطقة الممتدة من "خليج قابس" حتى مدينة "ويات"، وربما فرض غرامة على بعض المدن، بعد أن ضم جزءاً من إقليم "الامبوريا" في حملته هذه، ونهب البعض الآخر[1].

غير أن البعض الآخر يرى أن "ماسنسن " احتل "سهل جفارة" فقط، لأن قرطاج استطاعت بالرغم من ضعفها التصدي لأطماعه ورده خائبا [2]، أو أن مدن الإقليم قد دافعت عن نفسها دون مساعدة قرطاج[3].

ويرى بعض الباحثين أن هذه العملية كانت بمثابة جس النبض لمعرفة رد فعل الحكومة القرطاجية [4]، ومجلس الشيوخ الروماني معاً، الذي غض النظر عما يفعله " ماسنسن" رغم وضوح مطلب قرطاج العادل [5]، وقد استند الوفد القرطاجى الذي ذهب إلى روما لإبلاغ شكوى الحكومة القرطاجية إلى مجلس الشيوخ ضد اعتداءات "ماسنسن" على أراضيهم، على طلب الملك النوميدي في اجتياز أراضي إقليم الأمبوريا، لإثبات حق قرطاج في هذا الإقليم، غير أن وفد"ماسنسن" فند إدعاء

---

(1) -Idem.

(2) - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص.٢٣٧.

(3) -عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص. ٣١٠.

(4) - Camps,G. Massinissa,op.cit .p. 193.

(5) - محمد إبراهيم الميلي، الجزائر في ضوء التاريخ، دار البعث، قسنطينة، ١٩٨٠، ص. ٧٣.

القرطاجيين، وأكد أن لا أرض للقرطاجيين في أفريقيا[6].

ولقد راود "ماسنسن" الحلم بإنشاء إمبراطورية ليبية تضم ممتلكاته وممتلكات قرطاج من (السرت الكبرى حتى وادي ملوية)، وتكون مدينة " قرطاجة" عاصمة لها، لكن بقاء حكومة قرطاج دولة ذات سيادة وإن كانت ضعيفة ومحدودة النشاط، هو بمثابة عائق دون تحقيق هذه الغاية[1].

ولتحقيق هذا الحلم بادر " ماسنسن" بزرع بذور الشك وعدم التقارب بين روما وقرطاج، ببث الفتن بين الدولتين، وبذر الشك في قلوب الرومان، مدعياً أنه في عام(١٨٢ ق.م.) قام القرطاجيون بتجهيز أسطول حربي لمساعدة المقدونيين في حربهم ضد روما، غير أن هذا الادعاء لم يجد عند الرومان ما يبرره[2].

اضطرت روما لحل النزاع بين قرطاج والملك النوميدي، فبادرت بإرسال عدد من اللجان للفصل في الشكاوى التي تقدمها قرطاج ضد اعتداءات " ماسنسن" بين كل فترة وأخري، فأرسلت بين أعوام (١٦٠ق.م و ١٥٠ق.م.) عدداً من اللجان معظمها كانت تصدر أحكاما لصالح " ماسنسن"، أو تغض الطرف عن أعماله العدائية، وأهم اللجان التي أرسلت إلى المنطقة كانت لجنة عام(١٥٣ق.م.)، التي كان يتزعمها أحد

---

[6] - شارل صومان،" الذرائع الشرعية للحرب البونية الثالثة"، المجلة التاريخية،عدد١٦٧، الجزائر،١٩٣١، ص.٢٣٩.

[1] - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص. ٣٣٦.

[2] - ب هـ. وارمنجتون، المرجع السابق، ص.ص. ٤٧. ;

Livy,T.xxii,2,5. ; Walsh , op.cit. p.158.

أعضاء مجلس الشيوخ الأكثر عداءً لقرطاج المدعو(كاتو *Cato*)[3].

ويبدو أن المسألة ظلت دون حل، فأرسلت بعثة أخرى عام (١٥٠ ق.م.)، أمرت بتخلي قرطاج عن إقليم الامبوري لصالح "ماسنسن"مع دفع غرامة قدرها(٥٠٠) "تالنت" نظير احتفاظها غير المشروع بالإقليم[1].

ويرى بعض الباحثين استنادا إلى المصادر الأدبية، أنه إلى عام(1٥١ق.م.) كان إقليم الامبوري تحت السيطرة القرطاجية، وأن "ماسنسن"لم يتمكن من السيطرة إلا على مناطق ثانوية، أما المدن الرئيسة مثل (لبدة الكبرى، وويات، وصبراته) فكانت صامدة في وجهه، واستطاعت أن تصد جيوشه عند أبوابها، ولم ينجح"ماسنسن" في الاستيلاء على كل إقليم الأمبوريا إلا بعد أن أرغمت روما قرطاج بتسليم الإقليم له عام (١٥٠ق.م.) [2].

ومنذ ذلك الوقت أصبح إقليم المدن الثلاث تابعا لنوميديا[3]، التي أصبحت تمتد من"السرت الكبير"شرقا، حتى مملكة"الماوري"غربا، واستطاع"ماسنسن" أن يمد حدوده إلى مدينة قرطاجة بحوالي ستين ميلا فقط[4]، وقد اهتم" ماسنسن" بمنطقة "الامبوري"ورعى شؤونها إسوة بباقي أقاليم مملكته[5].

---

(3) - Polybius,xxx.

(1) ـ مفتاح أحمد الحداد، المرجع السابق، ص.١٦.

(2) ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٣١١.

(3) – المرجع نفسه والصفحة.

(4) ـ أحمد سليماني، المرجع السابق، ص. ص. ١٢-١٣.

(5) ـ هانس فايس، الصحراء الكبرى، تر: ميكائيل محرز، مركز الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي،

والمتتبع للأحداث التي دارت قبيل الحروب البونية، وظهور"ماسنسن" والدور الذي قام به في أحداث تلك الفترة، وتجرؤه أمام مجلس الشيوخ الروماني، قد يرى أن هذا الإقليد العظيم كان يثير مخاوف روما ومجلس شيوخها، من اتساع رقعة مملكة نوميديا، خاصة إذا ما نجح " ماسنسن" في الاستيلاء على مدينة قرطاجة نفسها، فهو سوف يشكل في حد ذاته خطرا عليهم لا يقل خطورة عن قرطاج، فسارعت روما إلى وضع حد لهذا الخطر بالتدخل فورا لتحول دون أن يجني "ماسنسن" ثمار انتصاراته[١] ، (خريطة – ٧).

وأخيرا وجد مجلس الشيوخ الروماني الحجة المقنعة لإعلان الحرب على حكومة قرطاج ، ليحقق بذلك عدة أهداف منها: الأول – القضاء على قرطاج ومدينتها التي تسير نحو الازدهار والانتعاش الاقتصادي، حيث باتت تشكل تهديدا لروما للمرة الثانية، خاصة لو علمنا أن قرطاج قد تحررت من الغرامة المالية التي فرضت عليها عام(٢٠١ق. م).

والثاني– أن الرومان كانوا ينتظرون الذريعة لإعلان الحرب بسبب موقف بعض أعضاء مجلس الشيوخ الروماني المعادي لقرطاج، وبسبب رغبتهم في امتلاك أرضٍ زراعية في أفريقيا[٢]، وهذه الرغبة قد لاقت معارضين من فريق آخر يرى أن

طرابلس،١٩٧٩، ص. ١٦٩.

[1]– رجب عبدا لحميد الأثرم ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم،الطبعة الأولى ، دار أماني للطباعة والنشر، سوريا ، ١٩٨٩، ص . ٢٠٣.

[٢] ـب .هـ . وارمنجتون ، المرجع السابق ،ص.٤٧١.

بقاء قرطاج كان ضرورة من ضروريات استمرار النظام الروماني الذي كان يسير نحو التراخي [3].

وثالث الأهداف– هو الوقوف في وجه توسع " ماسنسن"، واتخاذ التدابير لوقفه عند حده، ويستدل على ذلك ما أورده "إبيانوس"[1]عندما قال:" إن أحد أصدقاء "سكيبيو الاميلي" قال: حقيقة إن "ماسنسن " هو صديق الشعب الروماني، ولكن يجب أن لا نغالي في تقويته "، وبذلك كانت روما تتخوف من ازدياد نفوذ مملكة نوميديا، وظهورها قوة جديدة في شمال أفريقيا تحل محل القرطاجيين، وتهدد مصالح الجمهورية الرومانية من جديد[2].

اتهمت روما قرطاج بانتهاك شروط معاهدة " زاما" عام (٢٠٢ق.م.)، وذلك لتصديها للجيش النوميدي عندما هاجم قرطاج محاولا إرغامها إرجاع الحزب الذي كان مناصرا له في الحكومة القرطاجية، والذي طردته قرطاج من حكومتها وفر إلى نوميديا ،وعندها صممت قرطاج على مواجهة الملك النوميدي، والتحمت معه بجيش غير كامل التدريب، في موقعة كان النصر فيها مؤكدا للجيش النوميدي[3].

وفي هذه الأثناء بدأت تساور روما مخاوف من هذا الملك، إذا ما استطاع السيطرة على مدينة" قرطاجة" بعد سيطرته على منطقة إقليم المدن الثلاث، ومن هنا

---

(4) - Plutarch, Marcus Cato, 16.

(1) - Appianus, vii, ix, 61.

(2) - رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص. ١٧٦.

(3)- Scullard,H .H. A history of the Roman world from (753-146.B.C.),3rd ed.,

طرأ التبدل في الموقف الروماني تجاه كل من قرطاج وحليفها " ماسنسن"[4].

عند ذلك أرسلت روما وفداً من مجلس الشيوخ لفض النزاع بين قرطاج و"ماسنسن"، حيث وجه هذا الوفد اتهام مجلس الشيوخ الروماني إلى قرطاج بانتهاك شروط معاهدة "زاما" عام (٢٠٢ق.م.)، وفي نفس الوقت لاحظت أن قوة "ماسنسن " قد زادت إلى الحد الذي يجب ردعها، حيث لم يكن هناك أمام روما سوى إعلان الحرب على قرطاج[1].

وكان اتهام قرطاج بانتهاك شروط معاهدة عام (٢٠٢ ق.م.)، يمثل مبررا شرعيا سعت إليه روما، لكي تعلن الحرب على حكومة قرطاج، وفي هذا الوقت سارع سكان وأهالي مدينة (عتيقة) بتسليم مدينتهم إلى الرومان،حيث يعد هذا التصرف هو بداية انفراط عقد المدن الفينيقية على ساحل شمال أفريقيا[2]، ماعدا بعض المدن التي بقيت على ولائها للحكومة القرطاجية تؤيدها وتشد من أزرها مثل مدينة"بنزرت"، التي تزعمت المدن الفينيقية المؤيدة لقرطاج في حربها مع روما[3].

وحاولت قرطاج تدارك ما حدث عندما وجدت نفسها ستخوض حربا لم تكن قد استعدت لها، فحاولت جاهدة دون قيام هذه الحرب، فأرسلت بعثة إلى روما تتأسف

London,1961,p.300

(4) - Geddeda,R.A, the Defense system in Libya During, iv, Century A.D., Portland Stat University, 1970, p.12.

(1) - Polybius, xxxvi, 21.

(2)- Appianus ,viii,74 ; Polybius,xxvi,3.

(3) - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص. ٢٨٤.

عما حدث[4]، لكن جميع هذه المحاولات قد باءت بالفشل، لتصميم الرومان على تدمير مدينة قرطاجة نفسها، وإنهاء السيادة القرطاجية على شمال أفريقيا بأسره.

فقام الرومان بمحاصرة مدينة قرطاجة لمدة ثلاث سنوات (١٤٩ق.م.-١٤٦ ق.م.)، انتهت بسقوط وتدمير مدينة" قرطاجة، و تسويتها بالأرض ، وزوالها مدينةً وشعباً، حيث قامت روما بتحويل أراضيها إلى ولاية رومانية سميت " ولاية شمال أفريقيا "، اتخذت من مدينة "عتيقة " عاصمة لها، حتى تحول دون استفحال خطر " ماسنسن" ، فيما لو استولى على كامل ساحل الشمالي لأفريقيا[1].

وقد حفر الرومان خندقا يفصل بين ولاية أفريقيا ومملكة نوميديا، ليكون حدا سياسيا بين أملاك الدولتين، عرف باسم " خندق سكيبيو"(*FOSSA SCIPIO*)، وهو يأخذ شكل هلال مفتوح أكثر في نهايته، يمر بالحدود الغربية للولاية[2].

وعندما كانت الحرب البونية الثالثة-(التي سقطت فيها مدينة قرطاجة) . على أشدها عام (١٤٨ق.م.)، توفي الملك " ماسنسن"، حيث لم يمنح الموت هذا الملك فسحة من الوقت حتى يشهد تدمير مدينة قرطاجة عام (١٤٦ ق.م)، المدينة التي سعى إلى امتلاكها لجعلها عاصمةً لملكه[3]،وترك عرشه مقسما بين أولاده الثلاثة

---

[4] - Diodorus, xxxii, 6.

[1] - عبد اللطيف محمد البرغوثي، المرجع السابق، ص.٣٤١.

[2] - اندريه ايمار ورفيقه، المرجع السابق، ص. ٦٥.

[3]- Gsell,S. H.A.A.N. T.3, op.cit. p .363.

"مكاوسن"(*Macipsa*) ، وغلوسة(Gulussa) ، ومستنابل(*Mastnabal*)[4].

وبموت " ماسنسن " فقدت أفريقيا و نوميديا معا زعيما أفريقيا وإقليدا عظيما، وسع أراضيه، وأنشأ مملكة تمتد من سرت الكبرى(إقليم المدن الثلاث) شرقا،إلى موريتانيا غربا، ونشر الزراعة، وطور الحياة المدنية والدينية، وكون جيوشا قوية مدربة[1].

٣-أحوال إقليم المدن الثلاث تحت السيطرة النوميدية:

مر في المبحث السابق كيف أن " ماسنسن" ملك نوميديا كرس حياته لتحقيق حلمه بتكوين دولة ليبية موحدة و قوية تكون عاصمتها مدينة " قرطاجة"، وكيف أنه قام بتشجيع من روما نفسها، بهجمات متكررة على الأراضي القرطاجية، واقتطاع أقاليمها إقليماً بعد إقليم ، وأصبحت المدن الفينيقية تسقط في قبضته مدينة تلو مدينة، واستطاع أن يجعل إقليم المدن الثلاث جزءاً من مملكته.

بيد أن الرومان رأوا كيف أن قوة حليفهم تزداد يوما بعد يوم، وخافوا أن تصبح نوميديا قوة تهدد روما مثل قرطاج، إن هم تركوا الأمور كما هي عليه؛ فإن مدينة قرطاجة لا محالة سوف تسقط في يد هذا الملك الطموح، عندها قرر الرومان دخول

---

(4) - Appianus , Bell. Civ.,lii, 105.; Sallustus, Bell .Jugh., v, 86.

(1) - م. رستوفتزوف، المرجع السابق، ص. ٣٨٢ -؛ محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية ، ط.١، دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس،١٩٦٩، ص.١٨٣

اللعبة، ووضع يدهم على مدينة قرطاجة، وتحويل أراضيها إلى ولاية رومانية تابعة لمجلس الشيوخ الروماني، حتى لا يجني "ماسنسن " ثمار انتصاراته.

ويبدو أن الملك النوميدي عندما أوصى بتقسيم مملكته بين أولاده الثلاثة، كان يخشى الفتنة الداخلية في مملكته إن حدث صراع حول العرش بين أولاده(*)، فتذكر المصادر أن "ماسنسن" قد أرسل إلى صديقه القائد الروماني "سكيبيو اميليانوس" (*Scipio Aemilianus*)، وأسند إليه أمر مملكته بعد وفاته[١].

وربما كان قصد الملك " ماسنسن" بهذا التصرف مكافأة الرومان والاعتراف لهم بالجميل على دعمهم اللا محدود حتى وصلت مملكته إلى هذا المستوى الرفيع في المنطقة[٢]، أو أنه راعى بتصرفه هذا أنه سوف يضمن مستقبلا جيدا بين خلفائه على العرش النوميدي، وبين حلفائه الرومان، وقطع الطريق على أي خلاف أو صدام يمكن أن يحدث بينهما[٣].

ومن الباحثين من يرى أن روما هي التي أملت هذا التقسيم على " ماسنسن" قبل

(*)- هناك من يرى أن وصية " ماسنسن" بتقسيم مملكته بين أبنائه الثلاثة كان بسبب تأثره بالنظام المبني على ثلاثية الحكم في المدن الإغريقية ، خاصة في الفترة الهلينستية:، حول هذا الموضوع :ينظر: لويس ممفورد، المدينة على مر العصور، اشرف على الترجمة إبراهيم نصحي ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،١٩٦٤ ، ص. ٣٤٣.

(١) - Gsell.S. H.A.A.N. T.3. op.cit, p 123.

(٢) ـ محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة، المرجع السابق، ص. ٣٠.

(٣) ـ محمد البشير شنيتي،" قضية السيادة الرومانية"، المرجع السابق، ص.ص. ٣٩-٤١.

وفاته، وهو ضد رغبته[4]، حتى تضمن خضوع مملكة نوميديا لها من جهة، وتمزق الوحدة الوطنية للنوميدين التي صنعها "ماسنسن" من جهة أخرى، ويمكن أن تحقق ذلك على يد أحد أحفاده أو ورثة عرشه[1].

لكنه لم يمر وقت طويل، حتى أصبحت مملكة نوميديا بيد أكبر أبنائه "ماكاوسن"(مكبسا) بعد وفاة أخويه[*]، وقد تخلى عن أطماع أبيه التوسعية، وثابر على النهوض بمرافق البلاد الاقتصادية، ونشر الحضارة الفينيقية وشجع أساليب الاستقرار بين القبائل النوميدية[2]، (شكل-٨).

وقد تمتع إقليم المدن الثلاث (الامبوريا) بحظ كبير من الحرية، حيث إن النوميديين قد سمحوا لأهل هذا الإقليم أن يحكموا أنفسهم طبقا لتقاليدهم وأنظمة حكمهم التي كانت فينيقية[3]، ومع كل ذلك أخذت مدن الإقليم في دفع الجزية إلى حكام المملكة النوميدية بدلا من قرطاج[4]. ويرى المؤرخ "سالوست"[5] أن هذا التساهل كان مبعثه بُعد مدن إقليم "الامبوريا" عن عاصمة المملكة النوميدية

---

(4) - Sallustus,Bell . Jug. vi, 2-3.

(1) - اندريه ايمار ورفيقه، المرجع السابق، ص.٦٥.

(*)- توفي اخوي " مكاوسن" وشريكيه في الحكم (مستنابل وغلوسة) بعد وفاة والدهما " ماسنسن" بفترة وجيزة لا تزيد على السنتين ، (على ما يبدو بسبب المرض) أو ربما بمكيدة دبرها" مكاوسن" للتخلص منهما، بسبب معارضتهما لسياسته الموالية لأسياده الرومان ينظر: محمد الصغير غانم ، المرجع السابق، ص. ص.٢٩،٩٣ Sallustus,Bill.Jug.v,8;

(2) - إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص. ٣٤١.

(3) – Haynes, D.E.L. op.cit., p.32.

(4) - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٣١١.

(5) - Sallustus,Beel .Jugh. , lxxviii.

"كرتـا"(Cirta) (**)، كمـا أن بـاحثين آخـرين يـرون أن سـبب هـذا التسـاهل هـو سياسـة مقصـودة مـن الملـك " مكاوسـن" قصـد مـن ورائهـا عـدم إثـارة الفتن والاضـطرابات فـي مراكز بعيدة عن عاصمة ملكه[1].

وقـد أصـبح لمـدن إقلـيم "الامبوريـا "ـ بعـد خروجهـا مـن العزلـة التـي كانـت قرطـاج قـد فرضـتها عليهـا، وحصـولها علـى انفـراج وحريـات أوسـع . فرصـة ثمينـة لإنشـاء علاقـات تجاريـة نشـطة مـع المـدن الإيطاليـة، وبـاقي مراكـز ومـدن البحـر الأبـيض المتوسـط[2]، خاصـة مدينـة رومـا، مـا أدى إلـى نمـو تجـارة المـدن الـثلاث معهـا، وقـوع هـذه المـدن تحت النفوذ الروماني وسيطرتهم المباشرة[3].

ويـرى بعـض البـاحثين أن سـقوط وتـدمير مدينـة " قرطاجـة " كـان بمثابـة المنطلـق الأول باتجـاه ازدهـار تجـارة مـدن الإقلـيم وحريـة اتصـالها بمنـاطق البحـر المتوسـط، باعتبـار أن قرطاجـة هـي المنـافس الرئيسـي للأمبوريـا فـي أسـواق بلـدان حـوض البحـر الأبـيض المتوسـط، وأن انتهـاء المنافسـة قـد عـاد علـى هـذه المـدن بفوائـد اقتصـادية

(**)ـ عرفت منذ العصر الروماني باسم " سرتا" ، وقد وردت كتابتها على وجه أحد النقود المعروضة بمتحف = =" سرتا" هكذا (ك ر ت ن)، والذي يبدو أنه لفظ ليبي يعني المدينة القلعة أو المحصنة، حول هذا الموضوع ينظر: محمد الصغير غانم ، "نقيشة مسيسبا الأثرية"، مجلة سرتا ، العدد الرابع ، قسنطينة، ١٩٨٠، ص.٤ وما يليها.

[1] ـ أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، ص.٤٧.

[2] ـ إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص. ٣٤١.

[3] ـ جون رايت، المرجع السابق ، ص.٤٠.

[4] ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٣١١.

عظيمة[4].

وإن صَمت المصادر الأدبية عن ذكر إقليم المدن الثلاث في مرحلة الصراع القرطاجي الروماني، والصراع القرطاجي النوميدي . إلا في بعض الإشارات . جعل المعلومات في حكم الغائبة.

وإذا تم ربط سيطرة نوميديا على الإقليم بالتطورات التي شهدتها المنطقة، فإن الآثار لا تقدم لنا أية معلومات يمكن أن تدل على السيطرة النوميدية على إقليم "الامبوري"، حيث يبدو أن سيطرة نوميديا على الإقليم كانت سيطرة اسمية ؛ وذلك ربما بسبب بُعد الإقليم عن عاصمة المملكة، أو عدم محاولة ملكها إثارة المشاكل والمتاعب في الأقاليم التابعة له[1]، حتى يضمن ولاءها وسيطرته عليها.

ولم تكن العلاقة بين الإقليم ومملكة نوميديا (فيما يبدو) إلا في إطار تحصيل الضرائب ودفع الإتاوات، وصيانة هيبة الملك والمملكة بعدم الخروج عليها، حتى إن تأسيس أول ولاية رومانية في أفريقيا عام (١٤٦ق.م.) لم يؤثر على تبعية إقليم المدن الثلاث لمملكة نوميديا [2]، وفي نفس الوقت فإن المصادر لم تشر إلى أي سلطان سياسي أو عسكري حقيقي للنوميديين على مدن الإقليم.

كما أن صمت المصادر الأدبية والأثرية يدعو إلى التأمل في الوضع الداخلي للإقليم، حيث إنه من المرجح أنه قد سادته فترة من الاستقرار الداخلي، وتطلعت

---

[1] ـ أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق ، ص.٤٧، (عبارة قد أشير لها سابقا).

مدنه إلى تنظيم نفسها ومجتمعاتها، وأخذ جانب الحياد في الصراع القائم حول إقليمها، ومما يدل على ذلك فيما يبدو أن دخول الرومان وتجارتهم إلى الإقليم كان أمرا مرحبا به من قبل سكان مدنه، حيث كان التجار وأصحاب البنوك والأموال القادمون من الجنوب الإيطالي يترددون على مدن الإقليم والمدن النوميدية، ويزورون أسواقها، ما ساعد على استقرار عدد منهم في الموانئ الرئيسة بالإقليم[1].

وكان من أبرز أصحاب رؤوس الأموال من الرومان "هيرنيوس"(*Herenius*)، أحد التجار الرومان الذين استقروا في لبدة الكبرى قبيل الاحتلال الروماني في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد[2].

وكان خروج إقليم المدن الثلاث من العزلة السياسية والاقتصادية التي فرضتها عليها الحكومات القرطاجية المتعاقبة، يعد من أهم ما استفاده الإقليم خلال العصر النوميدي، وبسقوط مدينة "قرطاجة" بيد الرومان، استطاعت مدن الإقليم أن تكون علاقات تجارية واسعة مع روما وباقي مدن ومناطق البحر الأبيض المتوسط[3]، حتى أصبحت مدن الإقليم أكثر ازدهارا وتقدما من بعض المدن النوميدية، ويبدو أن هذا الازدهار قد بدأ في مدينة صبراتة أولاً[4].

وبما أن مدن إقليم " الامبوريا" وغيرها من المدن التي كانت واقعة تحت النفوذ

---

[2] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٣١١.

[1] - عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص. ٧٣.

[2] -Cicero, iiv.1.1, 4,5-155.

[3] - أحمد محمد أنديشة، المرجع السابق، ص.٤٧.

القرطاجي، كانت قد تشبعت بالثقافة والحضارة الفينيقية، وأن معظم السكان الذين كانوا يعيشون في الإقليم يمثلون العنصر الليبو. بونيقي(*)، فقد كانوا بدورهم على علم تام ودراية كافية بالأساليب البونية في ممارسة وتطوير الأعمال الزراعية، وذلك مقارنة بمناطق ومدن المملكة النوميدية، التي كانت تحث نفسها منذ عهد الملك "ماسنسن" على أن تستفيد من التقنيات الزراعية الفينيقية والقرطاجية.

وبناء على ذلك يبدو أن النوميديين لم يحدثوا في الإقليم أي تطور مهم في مجال الزراعة وتقنياتها، عما جاء به القرطاجيون، وما مارسوه على أرض الواقع بأنفسهم في أراضي مدن الإقليم، وإلى جانب ذلك فقد استمرت النظم الاجتماعية والسياسية والدينية في مدن الإقليم في العهد النوميدي على النمط القرطاجي، مع وجود فارق واحد هو إبطال عادة الأضحية البشرية التي كانت تقدم للآلهة إبان الحكم القرطاجي، خاصة عند حدوث حوادث خطيرة وملمات تلزم تقديم التضحيات لإرضاء الآلهة (**).

---

(4) -Haynes, D.E.L. op.cit. p.33.

(*)- العنصر الليبو بونيقي هو عنصر ناتج من اختلاط السكان الليبيين المحليين بالفينيقيين ؛ وكانوا متساوين مع القرطاجيين في الحقوق والواجبات، لمزيد من المعلومات حول الليبو فينيقي راجع: ، ينظر: عبد الحفيظ الميار، الحضارة القينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص160؛ جمعة البشير الحراري، الحياة الاجتماعية والدينية في ولاية أفريقيا البروقنصلية، كلية الآداب، جامعة الفاتح،٢٠٠٤، "رسالة ماجستير غير منشورة"،ص.ص.٦٤-٦٦.

(**) - ومن أهم الحوادث التي ذكرها التاريخ التي جعلت سكان "قرطاجة" يقدمون الأضاحي البشرية للآلهة،هي حملة "اجاثوكليس" الذي غزا الأراضي القرطاجية في شمال أفريقيا عام (٣١٠ق.م..)، حيث نسب القرطاجيون هذا الاجتياح إلى عصيانهم للإله" بعل حمون" (كرونوس)، فقاموا على الفور بتقديم حوالي (مائتي طفل من أبناء أشراف المدينة) أضاحي على شرف هذا الإله حتى يرضى عنهم،

وكما أن المدن في إقليم "الامبوري" بحكم تبعيتها السياسية لمملكة نوميديا قد استعملت النقد النوميدي، فقد تم الكشف عن الكثير من القطع النقدية البرونزية في منطقة المدن الثلاث، وخاصة في "هضبة ترهونة، حيث عثر على عدد (١٨٠) قطعة من العملة البرونزية في موقع يسمي " الحبيبية" شمال شرق مدينة ترهونة، ظهر عليها وجه الملك النوميدي "ماسنسن"، يبدو أنها ضربت في عهد ابنه الملك" مكاوسن"(١٤٨– ١١٨ق .م)[1].

أعاد هذا الملك توحيد مملكته، واحتفظ بعلاقات الود والتعاون مع مملكة "موريتانيا" في الغرب، ومع روما في الشرق، حتى إن البعض يرى أنه من حسن حظ روما أن "ماكاوسن" قد حكم في سن تجاوز فيها حب التوسع والأماني العريضة، فكان لا يطالب إلا بالحياة في سلام وان تحيا مملكته في سلام واستقرار، متخليا عن السياسة التوسعية التي كان ينتهجها والده في سبيل إرضاء حلفائه الرومان[2]، وبذلك كرس سياسته الداخلية في توطيد الاستقرار في نوميديا والأقاليم التي تسيطر عليها، فلم تحدث في عهده ثورات داخلية ولا صراعات

للمزيد حول هذا

الموضوع، ينظر: فرا نسوا ديكريه المرجع السابق، ص. ١٤٧ ؛Diodorus Siculus,14,4

[1].- مفتاح أحمد الحداد، المرجع السابق، ص. ١٧ .

[2]-إبراهيم نصحي، ج١ ،المرجع السابق، ص٣٤٠.

[3] - مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ص. ١٨٧.

خارجية، ما ساعده على النهوض بالمرافق الاقتصادية للملكة[3].

وكـان" مكاوسـن" رجـلا محبـا للعلـم والفنـون والفلسـفة، فقـد قـام باسـتقطاب الأدبـاء والفنانين من بلاد الإغريق[1]، وحرص على تجميل عاصمته "كرتا" بكل ما هو ل[4] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٣١١. [4] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٣١١.ازم لعاصمة مملكة قوية، حيث وصفت بأنها مدينة محصنة وثرية، ولا ينقصها شيء،واستطاعت تجنيد (عشرة ألاف فارس،وضعف هذا العدد من المشاة)[3] .

كما أنه شجع الأهالي على ممارسة الزراعة، وعلى الاستقرار بدلا من حياة البدو والترحال، فشيد عدداً من القرى، وتوسع في زراعة الأشجار[4].

وبعد وفاة "ماكاوسن" عام (١١٨ق.م.) قسم مملكته بين ثلاثة من ورثته ، اثنين من أبنائه، والثالث كان ابن أخيه غير شرعي يدعى " يوغرطة "(*Jughurth*).

وقد حدث صراع دامي بين ورثة العرش النوميدي انتهى بسيطرة " يوغرطة" على جميع المملكة وجعلها موحدة تحت سلطانه، وهو الذي كان له نفس طموح جده " ماسنسن" من حيث حبه للتوسع وحلمه بتكوين مملكة أفريقية قوية ومستقلة.

وقد خاض ضد روما. التي تدخلت في الصراع الدائر حول العرش النوميدي .

.

[1] - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٥٥

[2] - أحمد صفر، المرجع السابق، ص. ٢٧٥.؛Strabo, Gug. Xviii, iii,13;

[3] - محمد الصغير غانم،"نقيشة شرشال"، مجلة سرتا، عدد ٤، الجزائر، ديسمبر، ١٩٨٠، ص.١٣٣ .

[4] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص. ٣١٢.

عدداً من المعارك عرفت باسم"الحرب اليوغرطية"[5].

وكتب المؤرخ اللاتيني "سالوست" (*Sallustus*)عن هذه الحرب في كتاب سماه"الحرب اليوغرطية" (*Bellum Jughurthium*)، وصف فيه مراحل هذه الحرب حتى سقوط " يوغرطة " بيد الرومان، وقد تطرق من خلال سرده لوقائع هذه الحرب إلى موقف وسلوك مدينة لبدة الكبرى تجاه الأمير النوميدي و روما.

فمن المرجح أنه عندما دخلت الجيوش الرومانية إلى أفريقيا لمقاتلة "يوغرطة"، كانت مدينة لبدة الكبرى تتوقع بعض العنف من قبل الجيش الروماني، فأرسلت إلى القائد الروماني " بستيا " (*Bestia*) الذي كان يقود الجيش الروماني تطلب منه الصداقة والتحالف مع الشعب الروماني[1].

ومن المحتمل أيضا أن باقي مدن إقليم المدن الثلاث الأخرى (ويات وصبراتة) كانت قد سلكت نفس السلوك الذي سلكته مدينة لبدة بسعيها إلى الحصول على معاهدة صداقة وتحالف مع روما (*Amicitiam Societatemque*) .

وبهذه المعاهدات استطاعت مدن الإقليم أن تكوَن علاقات خارجية بعيدة عن المملكة النوميدية وحكامها، ما سبب (على ما يبدو) في عدم العثور على أدلة مادية {منشئات معمارية أو اقتصادية أو دينية} يمكن نسبتها إلى الحضارة النوميدية في إقليم المدن الثلاث .

---

(1) -Romanelli,P.Lipces Magna, op.cit. p.12.

ولعل العملة النوميدية التي تم الكشف عنها في مناطق مختلفة من إقليم الامبوري،هي الدليل المادي الوحيد الذي يؤكد السيطرة النوميدية(ولو كانت غير كاملة) على هذا الإقليم، وهذه العملة يمكن نسبتها إلى ملوك عدة وفي فترات مختلفة من التاريخ النوميدي.

العملة النوميدية في إقليم الامبوري:-

هناك عدد من العلماء المتخصصين في دراسة المسكوكات النوميدية(*) يرون أن للملك " ماسنسن" عدداً من العملات المصنوعة من الفضة والبرونز، تحمل وجها غير ملتح مع شعر حليق، وفي الوجه الآخر من العملة يوجد حصان أو رأس حصان منفرد، أو مع ملحقات أخرى مثل النخلة، أو الصولجان، أو الربة " تانيت"، أو أحد شعاراتها وغيرها، وكان لابنه " مكاوسن" وإخوته، مسكوكات مختلفة وكثيرة، منها عملات تسمى"استاتير"(**) (Astatere) وهي من الذهب،وعدة عملات من الفضة، ومجموعة كبيرة من البرونز.

وقد عُثر على الكثير من العملات تنوعت فيها الوجوه، يعتقد أن جٌلَها يتعلق بالملوك " مكاوسن، غلوسة، مستتعبل"، ويبدو أن هذا التنوع يشير إلى فكرة كون

(*)– هناك العديد من العلماء الفرنسيين الذين درسوا العملات النوميدية نذكر منهم:. Mazard , J .Corpus Nummorum Numidia Mauretaniaeque , Arts et Metiers , Graphiques, Paris , 1955; Troussel , M. Le Trésor Monéaire de,Tiddis,Rec. Cons.,lxvi,1949.;Muller,L. Numismatique de l’Ancienne Afrique, Copenhague.

(**)– الاستاتير: هي عملة من الذهب يعادل وزنها دينارا ذهبيا أو عشرين درهما من الفضة.

الأمر يتعلق بملامح شخصية ليس إلا، حيث إن الرأس المكلل بإكليل الغار والملتح الـذي يظهـر فـي كامـل مجموعـات العملـة لا يمكنـه أن يمثـل إلا الملـوك والأمـراء، بالإضافة إلى رؤساء القبائل الذين لم يحفظ لنا التاريخ أسماءهم، وهذه الملامح التي تكون أحيانا متباينـة، وذات طـابع أفريقـي، توضـح حجم اللحيـة وشـكل الأنـف والعين والفم، والملامح العامة للوجه توضح الأصل المحلي للصورة[١].

ويبـدو أن كثرة العمـلات التـي يعتقد أنهـا تعـود إلـى المملكـة النوميديـة، لا يمكـن نسبة إصدارها إلـى عهد مملكـة واحدة، أو فترة زمنيـة محدودة ؛ وذلك اعتمـادا علـى اختلاف دور السك التـي سُكت فيهـا هذه العمـلات، كمـا أن اختـلاف ملامـح الوجـوه المرسومة على هده العملة راجع إلى تعدد الملوك والأمراء ورؤساء القبائل[٢].

ويبـدو أن العملـة النوميديـة التـي صـنعت مـن مـواد(النحـاس والقصـدير) تسـمح ببقائها فترة طويلة من الزمن، ما يوحي بأن الملوك النوميديين كانوا راغبين في إطالـة عمر النقد واستمرار استعماله وهذا أفضل عندهم من إصدار نقد جديد، وذلك زيادة في هيبة الملك ورفعته[٣].

أمـا الوجـه الآخـر مـن المسكوكات النوميديـة، فغالبـا مـا كانـت صـور الحصـان هـي الصـورة المحتكرة، والأكثر ظهورا علـى جميـع القطـع التـي سكت فـي عهـد "

[1] – Troussel , M. op.cit., p.55.

[٢] - Mazard, J. op.cit. p .24.

[٣] – Idem.

ماسنسن" وخلفائه الأوائل[1]، كما عثر على صور لخيول على عملات تعود إلى عصري "همبيسال الثاني وجوبا الأول"[2].

وظهور الخيل على أغلب النقد والمسكوكات النوميدية يبين مدى المكانة التي يحتلها هذا الحيوان في نفوس النوميديين، وقد أيد ذلك عدد من المؤرخين القدامى، حيث يرى " استرابو"[3]، أن الملوك النوميديين كانوا قد أولوا تربية الخيول أهمية كبرى، ويبدو أن اهتمام ملوك نوميديا بتربية الخيول كان بسبب حاجتهم المستمرة إلى امتلاك خيالة وفرسان شجعان للحفاظ على سيادتهم[4]، إضافة إلى ولع النوميديين وملوكهم بركوب الخيل في السلم والحرب[5]، ومما يميز مكانة الخيل عند النوميديين ارتفاع عدد الفرسان في الجيش النوميدي بالمقارنة مع عدد المشاة[6].

ويرى بعض العلماء أن العملة النوميدية في عهد "ماسنسن ومكاوسن" قد استمر سكها واستعمالها في عهد الملوك " جوبا الأول وجوبا الثاني وبطليموس"، والدليل على ذلك اكتشاف نسخ عديدة في حفريات " تمودا" (تطوان) في المغرب ، في حين أنه يبدو من المشكوك فيه قيام علاقات اقتصادية بين مدينة " تمودا: ومملكة نوميديا في عهد " ماسنسن" وخلفائه، هذا لو استثنينا: عام (٩٠ق.م.) حيث كانت

---

(1)-Muller, L .op.cit. pp.13-19.

(2) – حارش محمد الهادي ، المرجع السابق، المرجع السابق ، ص. ١٥٧.

(3) -Strabo, xviii, 3, 19.

(4) -Gsell, S., H.A.A.N.T 5, op.cit. p.20.

(5) - Livy ,T.xxix , 34,5.

(6) - Livy, T. xxix, 9, 30- 13, 32. ; Polybius, xv, 5, 12.

العملات من هذا النوع متداولة في مناطق بعيدة عن مكان إصدارها(١).

ولو عدنا إلى منطقة المدن الثلاث ، فإنه قد تم اكتشاف عددٍ كبيرٍ من العملات التي يعتقد أنها تعود إلى المملكة النوميدية، وهي تمثل (ربما) العلاقة المادية الوحيدة (إن صح التعبير) التي تشير إلى السيطرة النوميدية على هذه المنطقة.

ففي منطقة ترهونة (إلى الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس ، وأحد دواخل مدينة لبدة الكبرى)عثر على حوالي (١٨٠) قطعة برونزية(*)، يعتقد أنها تعود إلى العهد النوميدي في منطقة المدن الثلاث.

وفي حفرية "وادي السري" – إلى الغرب من مدينة ترهونة– عثر على أربع قطع نوميدية ، ثلاث منها عثر عليها بجوار الصهريج (إلى الشرق من الموقع) ، والرابعة في وسط الموقع وهي كالأتي:

عملة رقم (١):– عملة من البرونز متوسطة الحجم ، صور على الوجه الأول منها رأس ذو شعر مجعد ومكلل بإكليل الغار(**)، وذو رقبة عارية وذقن مذيب ،وهو متجه إلى اليسار، أما الوجه الثاني من العملة فتظهر حصاناً متحرراً في حالة ركض ومتجهاً إلى اليسار أيضا،(القطر–26.2 ملم، السمك–3.8 ملم،الوزن–

---

(١) - Mazard, J. op.cit. p.24.

(*)ـ تم اكتشاف هذه القطع عام (١٩٩٢م) عن طريق الصدفة، عندما كان أحد الموطنين في منطقة " القومن" إلى الشرق من مدينة ترهونة، يقوم بحرث أرضه، فعثر على هذه الكمية في جرة فخارية متوسطة الحجم، وقام بتسليمها إلى مصلحة الآثار، ينظر: مراقبة ثار لبدة ، تقرير اكتشاف عملة بترهونة ١٩٩٢، تقرير غير منشور.

(**)ـ إكليل الغار، هو إفريز من المعدن أو من الذهب، يصنع غالبا على شكل وريقات من الشجر يتم وضعه

12.75 غرام). (الشكل-٩).

عملة رقم (٢):- عملة من البرونز متوسطة الحجم، صور على الوجه الأول منها رأس مجعد ومكلل بإكليل الغار له رباط من الخلف، ورقبة عارية وذقن مكنز(غير مذبب) ومتجه إلى اليسار،الوجه الثاني من العملة: صورة حصان يقفز إلى أعلى(في حالة جري سريع) ، ومتجه إلى اليسار. (القطر-27ملم، السمك-3.5ملم ، الوزن-13.56 غرام) ، (شكل ١٠).

عملة رقم (٣):- عملة من البرونز متوسطة الحجم، وأثقل وزنا من باقي القطع الأخرى، عليها رأس ذو شعر مجعد ومكلل بإكليل الغار، وله رباط من الخلف، ولحية كثيفة وذقن مذبب، ورقبة عارية وعينان جاحظتان، وينظر إلى اليسار، الوجه الثاني من العملة:- صورة حصان في حالة عدو متجه إلى اليسار، ويوجد تحت بطنه نتوء يعتقد أنه يمثل ختما[1]، (القطر- ٢٦,٢ ملم ، السمك-٣,٨ ملم ، الوزن - ١٨,١٥غرام)، ينظر: (الشكل-١١)

عملة رقم (٤):- من البرونز أيضا، عليها رأس ذو شعر مجعد ينتهي برباط، ومكلل بإكليل الغار، وأنف وذقن مذببين، ووجه حليق، ومتجه إلى اليسار، أما الوجه الثاني من العملة:- فيظهر عليه حصان له ذيل طويل، ومتجه إلى اليسار. (القطر- 26.2 ملم،السمك-3.8 ملم،الوزن- 12.75غرام) ، (شكل-١٢).

على رأس الملك أو الأمير عند تتويجه.

[1] –Mazard, J. op.cit. p .27.

ومــن دراســة القطــع الســابقة، وبالاســتناد إلــى دراســة الأســتاذ الفرنســي "مازارد"(Mazard)، الذي قام بدراسة مجموعة كبيرة من العملات النوميدية، والتي يعتقد أن دور سكها كانت في مدن المملكة، وقد عثر عليها في الجزائر، ويمكن إرجــاع تــاريخ القطــع النقديــة الأربعــة ســالفة الــذكر إلــى عصري"ماسنســن"وابنه "ماكاوسن"، ويعتقد"مازارد"[١] أن الوجه الموجود على هذه القطع يعود إلى" ماسنسن"، ولكنها سكت في عهد ابنه الملك "ماكاوسن"[٢].

ومن البديهي وبعد سقوط مدينة" قرطاجة"، واستيلاء العاهل النوميدي على جزء كبير من أملاكها، ومنها إقليم المدن الثلاث، أصبح هذا الإقليم يدفع الضرائب للنوميديين بدلاً من القرطاجيين، وبما أن النوميديين لم يحدثوا تغيرات مهمة في الأنظمة السياسية والثقافية (كما تناولنا في هذا الفصل)، فانه من المفترض أن نظام جباية الضرائب والمكوس بقيت كما هو عليه في العهد القرطاجي التي كانت تفرض على المدن الفينيقية والليبية ضرائب باهظة تصل إلى ربع المحصول في السلم، وتصل إلى النصف في الحرب، كما أنها كانت تفرض على مدينة لبدة الكبرى مثلا "تالنت" واحد سنويا.

إن وجود عدد غير قليل من العملة تم الكشف عنها في مناطق مختلفة من

---

(١) –Idim.

(٢) – ينظر :(.Mazard, J. op.cit) الأشكال رقم :- (٤٢) ص.٣٦ ، (٤٥) ص.٣٧ ، (٤٩-٥٠) ص.٣٨ ، والصور رقم :- (٤٢-٤٥-٤٩) ص.٢٣٨ ، (٥٠) ص. ٢٣٩.

مناطق إقليم المدن الثلاث، لهو دليل يدعم المصادر الأدبية التي أشارت إلى سيطرة النوميديين على إقليم المدن الثلاث، حتى ولو كانت هذه السيطرة اسمية (كما سبق التنويه عنه) .

ويبدو أن إقليم المدن الثلاث بقي تحت السيطرة النوميدية، حتى دخوله تحت وطأة الاحتلال الروماني، الذين توغلوا في مدنه وقراه، واحكموا السيطرة على الإقليم سياسيا وعسكريا واقتصاديا وحضاريا ودينيا.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

إقليم المدن الثلاث في ظل السيطرة الرومانية:

١) المبحث الأول: جوبا الأول ملك على نوميديا.

٢) المبحث الثاني: الحرب الأهلية الأولى في روما وامتدادها إلى شمال أفريقيا وأثرهاعلى المدن الثلاث، و تداعيات معركة "ثابسوس" على الشمال الأفريقي وإقليم الامبوريا.

3) المبحث الثالث: الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لمنطقة المدن الثلاث في العصر الروماني.

١-"جوبا الأول" ملك على نوميديا :-

بعد القضاء على "يوغرطة" وموته في سجون "بلانتيوم" بروما عام (١٠٤ق.م.)[١]، نصب الرومان على القسم الشرقي من نوميديا، ملكا نوميديا ضعيفا يدعى "غودا" (*Gouda*) ومن المرجح أن يكون أخا" ليوغرطة" من أبيه، وربما كان صغير السن عند تقسيم المملكة بين ابني مكاوسن "ادر بعل"(*Adherball*) و"هيمبسال" (*Hiempsal*)[٢].

ويبدو ان" يوغرطة" كان أكبر من ابني عمه، ذلك : " أن مكاوسن طلب من يوغرطة إحاطة ابنيه ادر بعل وهيمبسال بالعطف والرعاية وأن لا يحاول إقصاءهما عن العرش"[٣].

كما منح الرومان القسم الغربي من مملكة نوميديا للملك " بخوس" ملك موريتانيا مكافأة على مساعدته القائد الروماني في القبض على "يوغرطة" [٤].

وبعد موت " غودا " عام (٨٨ ق. م) خلفه "هيمبسال الثاني"(*Hiempsal II*)على عرش نوميديا، غير أنه قد تم خلعه من قبل أحد منافسيه ويدعى " حيرباص " (*Hirbas*)، الذي استغل القلاقل التي حدثت في روما بسبب الخلاف والصراع بين "الحزب الديمقراطي، والحزب الشعبي "(السيلاتيين) حول مقاطعة أفريقيا عام

---

[١] شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١٦٢.
[٢] عبد العزيز عبد الفتاح عمر ، المرجع السابق ، ص.٧٢.
[٣] محمد فنطر، ١٩٧٠، المرجع السابق، ص. ١٢٢.

(٨٤ق.م.)[١]، وقد وصل هذا الصراع في أفريقيا إلى حد كبير من الفضاعة، حيث قام عدد من أنصار " صولا "عام (٨٢ق.م.) بحرق واليا من "حزب ماريوس " في مقر حكمه بمدينة " عتيقة" وذلك بسبب استغلاله لرعاياه [٢].

وقد ناصر " حيرباص " جماعة " ماريوس"، الذين دعموا صفوفهم بقيادة " دوميتيوس احينو بوروس" (*Domitius Ahenoborus*) [٣].

لكن"حيرباص" لم يستمر طويلا على عرش نوميديا، حيث تم عزله بعد مجيء "بومبي"[*]، وانتصاره على أنصار " ماريوس " وإعادة الحكم إلى "هيمبسال الثاني وماسنسن الثاني" [٤].

كان"هيمبسال الثاني" مولعا بالثقافة الفينيقية لدرجة أنه ألف كتاباعنها، تحدث فيه عن سكان المغرب القديم[٥]، ومن المرجح أنه استمر بنفس الخط الحضاري الذي بدأته أسرته، وبقي في الحكم حتى عام (٦٠ق.م.) [٦].

وتجدر الإشارة إلى أن إقليم المدن الثلاث، سيما مدينة لبدة الكبرى بقى على تحالفه

---

[٤]- إبراهيم نصحي ، ج.٢، المرجع السابق ، ص.١٩١.

[1]- مفتاح الحداد، المرجع السابق، ص.٢٩.

[2] - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١٦٣.

[3] - إبراهيم نصحي ،ج.٢، المرجع السابق،ص.٣٣٣ ;.Gsell,S.T.7, op.cit.,p.281

[*]- يرى رشيد الناضوري إن الدكتاتور(صولا) هو من قضى على حكم " حيرباص" وإعادة العرش إلى كل من " ماسنن الثاني وهامبيسال الثاني"، وكان ذلك في إطار محاولاته القضاء على ماريوس وأنصاره في منطقة الشمال الإفريقي، للمزيد حول الموضوع ينظر: رشيد الناضوري ، المرجع السابق، ص.٣١١.

[4] - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١٦٨.

[5] - محمد الصغير غانم ،ا لمملكة النوميدية والحضارة البونية، المرجع السابق، ص. ١٢٤ .

[٦] -ب.هـ.وارمنجتون، المرجع السابق، ص.٤٢٢.

مع الرومان طوال عهدي " يوغرطة "، والملكيين " غودا وهيمبسال الثاني"، وذلك بناء على موافقة الرومان، حيث فسر هذا التحالف بأنه لا يقلل من سيادة نوميديا[١].

كما أن مدينة لبدة تمتعت بأنظمة حرة من الفترة السابقة على تحالفها مع الرومان، وتحديدا عقب سقوط قرطاج، وسيطرة نوميديا عليها، حيث كان لمدينة لبدة الكبرى علاقات اقتصادية مع روما، وأنها أصبحت قاعدة اقتصادية مهمة في أفريقيا للكثير من أصحاب رؤوس الأموال الرومان لإدارة أعمالهم التجارية في البحر المتوسط خلال النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد [٢].

على أية حال ما إن تولى " جوبا الأول " (*Juba I*) حكم نوميديا بعد وفاة والده "هيمبسال الثاني"عام (٦٠ق.م.)، حتى فضل الوقوف بجانب أنصار "بومبي"، بقيادة "أتيوس فاروس " (Attius *Varus*) قائد قوات " بومبي" في ولاية أفريقيا الرومانية، ضد " يوليوس قيصر"وأنصاره، عندما وصلت حمى الصراع الروماني على السلطة في روما إلى شمال أفريقيا أثناء اندلاع الحرب الأهلية الأولى.

ويرد بعض الباحثين سبب وقوف "جوبا الأول" هذا الموقف إلى أن والده" هيمبسال الثاني" كان يدين " لبومبي " بحصوله على مملكته التي طرده منها " حيرباص"[٣].

وبخلاف ذلك يرى البعض الآخر، أنه كان بسبب حقد شخصي يكنه "جوبا الأول" تجاه "قيصر" وقائد جنده في أفريقيا " كوريون"(*Curion*)، لأن الأول كان قد قدم

---

(1)- عبد الحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق، ص. ٣١٣.

(2)- المرجع نفسه، ص. ٣١٥.

الحماية لأحد الخارجين عليه[١]، ولأن الثاني كان قد اقترح تجريده من مملكته، وذلك عندما كان تريبونا للعامة عام (٥٠ق.م.)[٢].

غير أنه هناك من يرى أن " جوبا الأول" قد تلقى وعدا من معسكر أنصار " بومبى" أنه سوف يكون له حكم شمال أفريقيا عند انتصارهم على " قيصر"[٣]، فضلا على وجود علاقة قديمة تربط بين الأرستقراطية الرومانية والملوك النوميديين، هذه العلاقة التي جسدها التجار ورجال الأعمال الرومان الذين كانوا يمارسون نشاطهم في مملكة نوميديا بحرية تامة، كذلك كان توجه الحزب الأرستقراطي في روما معارضا على التدخل في شؤون مملكة نوميديا، والوقوف ضد مخططات الحزب الشعبي الذي كان يتزعمه" قيصر" بخصوص التوسع العسكري و الاستيطاني في نوميديا[٤].

وفيما يتعلق بمنطقة المدن الثلاث في عهد الملك " جوبا الأول"، فمن المرجح أن مدينتي "ويات وصبراته" كانتا بمثابة مدينتين تابعتين لمدينة لبدة الكبرى، أو أنهما كانتا في منزلة أدنى منها من حيث الأهمية، وتدل بعض القرائن في المصادر القديمة على ذلك، ومنها أن هذه المدينة قد طلبت من حلفائها الرومان في منتصف القرن الأول قبل الميلاد إقناع الملك النوميدي"جوبا الأول" بأن يرد لها جزءاً من أراضيها التي كان الملك

---

[3]- إبراهيم نصحي.ج.٢، المرجع السابق، ص.٦٢٨.

[1]- المرجع نفسه، ص. ٦٢٩.

[2]- شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١٦٤

[3]- ب.هـ.وارمنجتون، المرجع السابق، ص.٤٧٢.

[4]- محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة، المرجع السابق، ص. ص. ٦١-٦٢.

قد قام باحتلالها، فلبّت روما طلب مدينة لبدة [1].

وطلب مدينة " لبدة الكبرى" هذا يشير إلى أمرين مهمين: الأول أن إقليم المدن الثلاث كان خارج سلطة ملك نوميديا، فلو كان الإقليم من ضمن الأقاليم التابعة لنوميديا لما عُد احتلال الملك لأرض من هذا الإقليم بمثابة اغتصاب، ولما تجرأت مدينة لبدة على طلب مساعدة حلفائها في استرجاع أراضيها التي اعتبرتها أراضي مغتصبة، والأمر الثاني: يشير بجلاء إلى أن مدينتي صبراته وويات مدينتان تابعتان إلى مدينة لبدة الكبرى، فالدارس لمنطقة المدن الثلاث يعرف تمام المعرفة أن أملاك مدينة لبدة الكبرى لم تكن متاخمة لأراضي المملكة النوميدية، وإنما تفصل بينهما أملاك مدينتي ويات وصبراته، وأن أراضي الأخيرة هي التي تحد مع نوميديا من جهة الغرب، ولم تكن من أراضيها، وإنما من أراضي مدينة صبراته، والتي من المفترض أن تكون مع مدينة ويات موالية وتابعة لها.

وفي هذا السياق يرى الميار [2]، أن مدن إقليم الأمبوري كانت تتمتع باستقلال داخلي على أنها مدن حرة، وأن لكل منها سياستها الاقتصادية، وأراضيها الخاصة، وحدودها المرسومة، والدليل على ذلك عدم ورود اسم مدينتي ويات وصبراته فيما بين المدن التي عاقبها" قيصر"بعد معركة ثابسوس (رأس الديماس) عام (٤٦ق.م.) بسبب معاونتها لأنصار "بومبي وجوبا الأول "، في الوقت الذي فرض على مدينة لبدة الكبرى ضريبة

(1)- محمد علي عيسي، المرجع السابق، ص. ٢٥.

(2)-عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٣١٦.

باهظة تدفع سنويا إلى روما مقدارها(١٠٠٠طن من الزيت)، ولم تشر المصادر إلى أن مدينتي ويات وصبراته كانتا قد تعاونتا مع مدينة لبدة في دفع هذه الضريبة، بل على العكس دلت الأحداث على أن لكل مدينة أراضيها وحدودها الخاصة، ويدل على ذلك النزاع الذي حدث بين ويات ولبدة الكبرى على الحدود عام(٧٠م.)[١].

٢- الحرب الأهلية الرومانية الاولى وتداعياتها على شمال أفريقيا والمدن الثلاث:

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هو موقف المدن الثلاث من الحرب الأهلية الرومانية، وما هي تداعياتها على مستقبل تلك المدن في المنطقة ؟.

قبل الإجابة عن هذا السؤال، سيتم وبإيجاز عرض بعض المعطيات المتعلقة بأسباب نشوب هذه الحرب ومراحلها، للوقوف على دور المدن الثلاث والوصول إلى تحليل أشمل وأعم لتداعياتها عليها.

إن الدارس للحرب الأهلية الرومانية، يلاحظ أنه ثمة أسباب عديدة أسهمت في اندلاعها، ومنها الأسباب السياسية، متمثلة في الصراع على السلطة بين قادة روما العظماء، الذين كانوا ينتمون إلى عائلات نبيلة، ويتمتعون داخل المجتمع الروماني بوضع اقتصادي متميز، ولا ينقصهم سوى النفوذ السياسي.

فبعد موت "صولا" وانتهاء دكتاتوريته عام (٧٨ق.م.) أصبحت روما تتخبط في فساد

---

[١] - Tactus, Hist. 50.

سياسي وقانوني، وفقدان مجلس الشيوخ للعديد من صلاحياته الدستورية التي وضعها "صولا" في يده[1]، وأضحى الموقف يتجه إلى سيطرة الحاكم الذي استطاع بوسيلة ما أن يفرض سيطرته، وكان القادة العسكريون هم أبرز الحكام الذين استطاعوا إملاء شروطهم وقوانينهم على مجلس الشيوخ والقناصلة المنتخبين، وفقا لأهوائهم ومصالحهم الشخصية، وأصبح السيف هو مصدر القوة في روما بدلا من القانون والدستور[2]، وكان لابد لهذا الأمر من أن ينتهي بيد بعض الشخصيات الفذة ليسيروا به نحو نهاية الجمهورية وانبلاج عصر الحاكم الأوحد.

وقد برز على الساحة السياسية بروما بعد وفاة الدكتاتور " صولا" بنحو عشر سنوات، شخصيات متسلطة عدة، أهمها ثلاثة رجال تحالفوا ضد مجلس الشيوخ الروماني، لتمرير خططهم التي تخدم بالدرجة الأولى مصالحهم الشخصية.

فأول هؤلاء الثلاثة كان "جايوس بومبي"(*Gaius Pompius*) الذي لمع اسمه فعلا أثناء حكم "صولا" الذي خلع عليه لقب" العظيم"، وكان ذا موهبة وذكاء، واجه الكثير من المسؤوليات الجسام بكل شجاعة، والثاني هو " كراسوس"(*Crassus*)، كان ثراؤه الفاحش هو الأساس الذي أقام عليه نجاحه السياسي، حيث يعد أكبر رأس مالي روماني في أيامه[1].

---

[1] - إبراهيم نصحي ، المرجع السابق، ج. ٢، ص ٣٨٣.

[2] - نفسه.

[1] - دونا لدر.د.دلي، حضارة روما،تر: فاروق فريد وزميله، ط.١،دار نهضة مصر للطبع والنشر،القاهرة،١٩٦٤، ص.١٣٢.

أما الثالث فكان أصغرهم سنا ويدعى "يوليوس قيصر"(*Julius Caesar*)، كان ذا شخصية مرموقة، وله مكانة مهمة بين أفراد الشعب، بسبب الحفلات الساهرة التي أقامها عند توليه منصب " الأيدلية"[*]، والتي خرج منها مديونا.

كون هؤلاء الثلاثة حلفا قويا ضد مجلس السناتو، يدعمه التحالف الشعبي الذي يمثله "قيصر"، والمال الذي يديره " كراسوس"، والقوة العسكرية التي يقودها"بومبي"، فلا غرابة عندما يُسمي الباحثون هذا التحالف باسم (تحالف القوة، أو الوحش الثلاثي الرؤوس) .[٢]

لكن هذا التحالف وبسبب تضارب مصالح مؤسسيه لم يستمر طويلا، حيث انهار أمام الأطماع السياسية والاقتصادية، والرغبة في الانفراد بمقاليد الحكم، ويبدو أن أسباب هذه الحرب تعود إلى سعي " بومبي" إلى السيطرة السياسية في روما، ورغبته في تجريد حليفه " قيصر "من القيادة العسكرية، وذلك بحصوله على قرار من مجلس الشيوخ الروماني يعتبر فيه "قيصر"عدوا للجمهورية الرومانية[1] .

وعلى الرغم من أن " يوليوس قيصر" حاول قدر جهده أن يوقف هذا الصراع ويبعد شبح

---

[*]- الأيدلية (*Aediles*) هي وظيفة عامة، نشأت من حاجة ترابنة العامة إلى موظفين لمساعدتهم في أداء مهامهم، وكانت اختصاصات موظف الأيديلة " حفظ سجلات العامة في معبد " كيريس" (*Cerss*)، وكذلك حفظ سجلات السناتو، وبعد عام (٣٦٧ق.م..) تقرر أن تنتخب جمعية القبائل سنويا " أيديليين" واحد من السناتو والآخر من العامة، وان يكون تولي هذا المنصب بالتناوب بين العامة والبطارقة"، للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: إبراهيم نصحي، ج.١، المرجع السابق، ص. ١٧٥ ، وكذلك: الجزء ٢ ، ص.٤٩٨.

[٢] - إبراهيم نصحي، المرجع نفسه، ج٢، ص. ٤٩٩.

[1]- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص. ص. ٣٠٧-٣٠٨.

الحرب، الذي لاح في الأفق بينه وبين " بومبي" فأنه فشل في ذلك [2]، ولم يكن من بد لزحف "قيصر " بقواته من بلاد الغال، ليدخل إيطاليا ويسيطر على معظم أراضيها، ما أجبر " بومبي" على الرحيل إلى بلاد اليونان لينظم جيشه هناك، استعدادا لمعركة فاصلة مع من اعتبره عدوه وعدو الجمهورية [3].

وقد قرر " قيصر" بعد أن أمن سيطرته على روما وباقي أقاليم إيطاليا، أن يتعقب " بومبي" وأنصاره، فنزل بقوته في بلاد اليونان، واشتبك مع " بومبي" في موقعة قرب فرسالوس"[*](*Pharsalus*)، عام (٤٨ق.م.)[4]، وانتهت بانتصار حاسم " ليوليوس قيصر"، فر على إثره " بومبي" إلى مصر، حيث اغتيل بمجرد وصوله ساحل الإسكندرية عام (٤٨ق.م.)، على يد"بيتنوس" أحد أعوان ملك مصر، وبإيعاز من حكومة البطالمة [5]، وقد فر بعض أنصاره إلى أفريقيا لينضموا إلى"فاروس" الذي كان حاكما لولاية أفريقيا باسم "بومبي"[6].

وقد لحق بهم بعض أنصارهم في إيطاليا، ورحل البعض الآخر إلى البلقان وإسبانيا، حيث الولايات والمدن الموالية " لبومبي"، وذلك استعدادا للتصدي " لقيصر"

---

[2] – Elmayer, A.F. T.R.E. op. cit.p. 30.

[3] – دونالدر. د.د لي، المرجع السابق، ص. ١٥٦

[*] - فرسالوس (Pharsalus) تقع في إقليم تساليا في بلاد اليونان .

[4] - Caesar, Bell.Civ. Liii, 1,4.

[5] - مجموعة مؤلفين، امتداد سلطات روما وقوادها المتنافسون، تاريخ العالم، تر: محمد أنور الحفاوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص. ٤٤٦.

[6] - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ص.١٦٤-١٦٥; لمزيد من المعلزمات حول حياة " بومبي" يرجي= = مراجعة: Greenhalgh,P.A.L.Pompey:The Republicall Prince;Weidenfield & Nicolson, London,1981.

الذي أصبح سيد روما الأوحد[١].

كان على رأس قوات " بومبي" في أفريقيا كل من " ميتلوس سكيبيو"(*M.Scipio*)، "وماركوس كاتو"(*M.Cato*)[٢]، وقد اتخذ" سكيبيو"إجراءات قاسية ضد المدن النوميدية، ومدن الولاية الرومانية، وابتز الأموال من السكان بحجة تمويل العمليات والاستعدادات الحربية لمجابهة قوات "قيصر"[٣].

وأدت هذه الاستعدادات إلى إجبار العديد من المدن في شمال أفريقيا، على تقديم المساعدة والدعم للجيوش المحتشدة في أراضيها، ومنها مدينة لبدة الكبرى التي ربما قدمت دعما ماديا وسلاحا للملك النوميدي " جوبا الأول " عندما اختار الوقوف إلى جانب أنصار " بومبي"[٤]، بالإضافة إلى استضافتها لجنود " بومبي " القادمين من إيطاليا، بقيادة " كاتو"، الذين نزلوا في إقليم " قوريبائية"(Cyrineca) [*]، وزحفوا غربا حتى مدينة لبدة، ومنها انطلقوا حتى وصلوا إلى مدينة "عتيقة" حيث احتشدت باقي جيوش "بومبي"[١].

وقد عبر" كاتو" المسافة مابين قوريني ولبدة الكبرى مع عشرة آلاف جندي، بعد أن

---

[١] – Elmayer,A.F. T.R.E. op.cit. pp.33-34.

[٢] – Gsell,S. op.cit.T.7,pp.23-33.

[٣] - عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص. ٨٧.

[٤] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص. ٣١٥.

[*] - إقليم قوريبائية يقع إلى الشرق من منطقة المدن الثلاث، وهو يضم المدن الخمس التي أنشأها الإغريق في المنطقة كان أهمها مدينة فورينا (شحات الحالية)، ينظر : فرنسوا شامو، المرجع السابق، ص.٢١.

[1] - عمار المحجوبي،المرجع السابق، ص.٨٦.

[2] - Ad Cock, F. the Cvil War, C.A.H.Vol ix (The Roman Republic. 133- -44 B.C.),

قسمهم إلى عدة مجموعات، لندرة المياه، واستقر في مدينة لبدة الكبرى ليقضي فيها فصل الشتاء، قبل أن ينضم إلى جيوش "بومبي".

جاء "جوبا الأول" في حشدٍ كبيرٍ من النوميديين وانضم إلى الحشود التي تجمعت حول "عتيقة" (2).

أكمل أنصار "بومبي" حشدهم، وإنهاء تحصيناتهم في أفريقيا بسرعة، وقد ساعدهم على ذلك انشغال " قيصر" في مصر، حيث بقي بعض الوقت في الإسكندرية لإنهاء مشكلة الوراثة على العرش البطلمي(3).

وفي حوالي منتصف عام(٤٩ق.م.) أمر" قيصر" مساعده" كوريون"(*Courion*) أن يتجه بقواته من صقلية إلى أفريقيا لانتزاعها من أعدائه الذين كانوا مستعدين للقائه(4)، نزل "كوريون" على رأس كتيبتين بشواطئ الوطن القبلي، قبيل الالتحام بالنوميديين، الذين استدرجوه إلى فخ أعدوه له في سهل ضيق في الشمال الشرقي من منطقة (الجديدة)، وكادوا أن يبيدوا جيشه عن آخره، حيث قتل "كوريون" ونقل رأسه إلى "جوبا الأول" (1).

ومع أن " قيصر" ومجلس الشيوخ الموالى له قد اعتبروا "جوبا الأول" عدوا للجمهورية الرومانية، فقد اعترف "ببغود" (*Bogud*)، و"بخوس الثاني" (*Bochus II*) ملكين على

Cambridge University press, London,1932,p.684.

(3) ـ رشيد الناضوري ، المرجع السابق ، ص. ٣٠٨ .

(4) ـ إبراهيم نصحي، ج٢، المرجع السابق، ص. ٣٠٨.

(1) ـ شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٦٤.

موريتانيا، ووعدهما بأن يمنح لهما مملكة"جوبا الأول"[2]، وعلى الرغم من ذلك فإن مجلس الشيوخ الروماني الموالى"لبومبي" منح "جوبا الأول" لقب صديق الشعب الروماني، نظير مساعدته لأنصارهم في أفريقيا عام(٤٩ق.م.) [3].

وفي عام (٤٧ق.م.) نزل "قيصر" بجزء من قواته في أفريقيا، ليفتكها من أعدائه، وليضمن تدفق الحبوب، وخاصة القمح الذي انقطع عن روما مدة تزيد عن العامين والنصف ، بسبب سيطرة أنصار " بومبي" عليها.

أقام "قيصر" معسكره بجوار مدينة "روسبينا" (*Russpina*)(المنستير الحالية)[4]، لكنه فوجئ بمهاجمة خصومه من رومان ونوميديين، بقيادة "لابينوس"(*Labienus*) [5].

وبفضل عبقريته العسكرية تمكن " قيصر" من أن يصد الهجوم، ويرغم " لابينوس" على التراجع إلى الوراء[6]، حتى التحق به" سكيبيو وجوبا الأول"على رأس ثمانية فرق من الجيش الروماني، وعدد كبير من الفرسان النوميدين[1].

وقبل إعادة الهجوم على قوات " قيصر" انسحب"جوبا الأول "بقسم كبير من جيشه وفيلته، وقفل راجعا للدفاع عن عاصمته التي هاجمها في هذا الوقت، حليفا" قيصر" " بوغود وبخوس الثاني" ملكا موريتانيا، بمساعدة أحد أصدقاء " قيصر" يدعى "

---

(2) - Dio Cassius, xl, i, 42, 7.

(3) - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١٦٤.

(4) - Ad Cock, F. op.cit. p. 684.

(5) - Caeser, Bell.Civ. xiii.

(6) - حارش محمد الهادي، ، المرجع السابق، ص.٩٥.

(1) - Caeser, Bell.Civ. xxv.

سيتيوس" (*)(*Sittius*)، كما أن قبائل الجيتوليين قامت بمهاجمة المملكة النوميدية من جهة الجنوب، فاضطر " جوبا الأول " إلى سحب عدد كبير من قواته من مواقعها المحاصرة " لقيصر" والرجوع إلى مملكته لحمايتها وتحصينها(2)، وفي أواخر عام (٤٧ ق.م.) وصلت الإمدادات إلى " قيصر" ففكر في الرحيل إلى موقع غرب روسبينا لاستدراج "لابينوس" للدخول معه في معركة فاصلة، لكنه فشل في ذلك، فقرر الرحيل إلى"ثابسوس"(*Thapsus*) (**)(رأس الديماس)،وعسكر هناك(3).

يبدو أن اختيار " قيصر" لموقع ثابسوس كان اختيارا موفقا، يشير إلى حكمته وحنكته العسكرية، حيث تعتبر ثابسوس موقعا استراتيجيا وخطيرا، لأنه لا يفصله عن البحر سوى برزخين لا يتعدى طولاهما ميلا واحدا، ونصف الميل عرضا، فقام "قيصر" بتحصين موقعه وقطع أي اتصال بين " سكيبيو" وبين أهالي ثابسوس(1)، وكان في مقدور " سكيبيو" سد البرزخ الذي يصل ثابسوس بالبحر(2).

أمر "قيصر" أسطوله بأن يقوم بعملية التفاف خلف خطوط العدو، عندها شن هجوما

(*) - بوبليوس سيتيوس (Publius Sittius)، هو مغامر إيطالي كان قد فر من العدالة الرومانية في إيطاليا بعد إفلاسه، فاغتنم الحرب الأهلية بين " قيصر وبومبي "، وجند جيشا من المرتزقة الكمبانيين، وسخره لخدمة ملك موريتانيا، التي لجأ إليها ، ينظر: عمار المحجوبي ، المرجع السابق ، ص. ٨٧.

(2)– محمد الميلي، المرجع السابق، ص. ٢١٦.

(**)-" ثابسوس" Thapsus هي مدينة رأس الديماس الحالية بتونس، تقع إلى الجنوب الشرقي من منطقة الحمامات، ويذكر أنها تقع على البحر، ولا يمكن الوصول إليها برا إلا عبر برزخين يؤديان إليها من الجنوب والغرب، ويفصل بينهما مستنقع كبير، فيقع البرزخ الجنوبي شرق المستنقع، والبرزخ الغربي إلى الشمال منه، إبراهيم نصحي، ج.٢، المرجع السابق، ص. ٦٦٠.

(3) – Elmayer, A.F. T.R.E. op.cit. p.35.

(1) - مفتاح الحداد، المرجع السابق، ص. ٣٣.

خاطفا ومفاجئاً، أدى إلى تقهقر قوات أنصار "بومبي"وحلفائهم من النوميديين[3]، كما لاحق فلول هؤلاء وألحق بهم هزيمة أخرى جنوب ثابسوس، كادت تقضي عليهم قضاء مبرما عام (٤٦ق.م.) [4]،انتهت معركة ثابسوس بهزيمة المتحالفين من النوميديين والبومبيين، وانتحار قادتهم، فقد هلك " سكيبيو" على ظهر قارب في عرض البحر، وانتحر "كاتو" أمام أسوار مدينة عتيقة، وفر"جوبا الأول" برفقة صديقه "بيتريوس"(*Petreius*) إلى عاصمته الثانية " زاما ريجا"(*Zama Reja*)، التي ومنعته من دخولها، سيما وأن سكانها كانوا يعلمون أن الملك قد أعد خططا لحرق مدينتهم، وحرق نفسه وأهله وكنوزه، في حالة خسارته لحربه مع "قيصر"، عندئذ قرر "جوبا وبيتريوس" انتحارهما بقتل أحدهما الآخر [*][5] .

تداعيات معركة ثابسوس على شمال أفريقيا وإقليم المدن الثلاث:

يعد انتصار " قيصر" على أعدائه عقب معركة ثابسوس من الأحداث التاريخية الحاسمة لمنطقة الشمال الإفريقي بصفة عامة، ومنطقة المدن الثلاث بصفة خاصة، حيث ترتب على هذه المعركة نتائج كان لها الأثر الكبير على المظاهر السياسية والاقتصادية بوجه

---

[2] - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٦٧.

[3]- Caeser, Bell.Civ. xxx, 24, 26.

[4] – شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٦٧.

[*]- هناك رواية أخرى تخص.انتحار "جوبا الأول"، تقول "إنه عندما أظلمت الدنيا في وجهه، أعد وليمة كبيرة وأكثر فيها من الأكل وشرب الخمر، ثم تحامل على سيفه ليرح نفسه من عناء الدهر، فلم يستطع قتل نفسه لغلبة الخمر عليه، فأمر أحد عبيده بأن يجهز عليه فقتله، ينظر: مبارك محمد الميلي ، المرجع السابق، ص.٢١٦.

[5]-Caeser, Bell.Civ.95, 96.

الخصوص للمنطقتين يمكن توضيحها في النقاط الآتية:

١. بعد الانتصار الحاسم "لقيصر" في معركة ثابسوس أصبح سيد روما الأوحد، وأصبحت منطقة شمال أفريقيا كلها تحت سيطرته.

٢. تم إلغاء مملكة نوميديا (مملكة الملك جوبا الأول) وإعلانها ولاية رومانية جديدة عرفت باسم ولاية أفريقيا الجديدة(*Africa Nova*) تمييزاً لها عن ولاية أفريقيا القديمة (*Africa Vitus*)[١].

٣. قام "قيصر" بمنح الجزء الشمالي الغربي من نوميديا . المحاذي لولاية أفريقيا . للمغامر الإيطالي "سيتيوس" و مرتزقته، الذين أقاموا فيه إمارة عرفت باسمهم، ضمت مدنا معروفة، ولها شهرتها الزراعية مثل: (سكيلدة والقل، وميلة)، بالإضافة إلى (كرتا) عاصمة الملك "جوبا"[٢].

٤. ضم القسم الغربي من نوميديا إلى مملكة موريتانيا، مكافأة لملكها "بخوس الثاني "، نظير وقوفه إلى جانب الحزب القيصري في حرب أفريقيا، فوسع "بخوس" مملكته حتى وصلت إلى الوادي الكبير شرقا[1].

٥. الشروع في تنفيذ مرحلة الاستيطان الروماني الواسع النطاق لمنطقة الشمال

---

[1]- Appianus, Bell.Civ. Li, 100;- Elmayer,A.F. T.R.E. op.cit. Pp.41-42.

[2]- Fentress, E.W.R. B.A.R. op.cit. p.65.

[1] ـ محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة، المرجع السابق، ص.٦٧.

الإفريقـي(*)، والتـي وصـلت ذروتـها فـي عـهد الإمبراطـور "اكتـافيوس أُغسطس"، وخاصـة عندما ضمت إمارة " سيتيوس" إلى الولاية الرومانية الجديدة، عقب مقتل مؤسسها على يـد الثـوار النوميـديين بقيـادة"عرابيون"(**) *Arbion* (2)، فمنـذ البدايـة أقامـت جماعـة "سيتيوس" مستعمرات زراعية بمنطقة كرتا ، كما استولوا على القرى والمدن التي تقع شمالها حتـى سـاحل البحـر(3)، وحولوهـا إلـى مسـتوطنات زراعيـة، بمسـاعدة الجاليـات اللاتينية المقيمة هناك منذ فترة طويلة(*) سبقت عملية إقامة هذه المستوطنات(1).

وقد كان قيصر يعرف مدى أهمية منطقة شمال أفريقيا لروما، ويؤيد ذلك ما ذكره في خطابه الشهير الذي ألقاه عند عودته إلى روما بعد معركة ثابسوس، حيث قال: "

(*) - استطاع " قيصر " أن يخرج عن طابع مجلس الشيوخ الروماني المألوف الذي ينتهج سياسة تحفظية تجاه استعمار أفريقيا ، فأمر بإنشاء خمس مستعمرات هي : (*Thasdrus , Hipp Diarhytus,Clupea,Curbis*) ، بالإضافة إلى عدد من المستعمرات عرفت بالمستعمرات الايولية (*Colonia Juliae*)) ، ينظر :

Penfold, D.A." Roman Economic Expansion and Exploition in The Maghrib", vol .vi, C.A.H.Cambredge University Press, 1966, p.36.

(**) -"عرابيونArabion " هو ابن " ماسنسن الثاني "، انتقل إلى أسبانيا مع النوميدين الفارين بعد هزيمة الملك "جوبا الأول" في معركة " ثابسوس"، وقد استغل النزاع بين حاكمي ولايتي أفريقيا الرومانية " القديمة والجديدة"بعد اغتيال " قيصر" عام (٤٤ق.م.)، وكان هذا النزاع سببه رغبة كلاهما في جمع سلطة الولايتين تحت حاكم واحد، فقد طلب حاكم ولاية أفريقيا الجديدة " سيكتوس " الذي جرده مجلس الشيوخ من مهامه حاكما للولاية يد المساعدة من الأمير النوميدي " عرابيون"، الذي تحرك بسرعة لتلبية هذا الطلب، فركز هجومه وغاراته على إمارة " سيتيوس "، حيث استطاع بعد مقتل قائدهم " سيتيوس" أن يطردهم بعيدا عن كرتا ، للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: محمد البشير شنيتي ، سياسة الرومنة ، المرجع السابق ، ص. ص. ٦٨-٦٩ . ؛ Gsell,S. H.A.A.N. T.1. op.cit. p.196.

(2) -Broughton, T.R.S. The Romanization of Africa Proconsulanis,Oxford,1929,p.47.

(3)- Fentress, E.W.R. op.cit. p.65.

(*)- استوطنت جاليات رومانية في المملكة النوميدية منذ عهد " مكاوسن"وهي التي تعرضت لمذبحة "يوغرطة" في حربه ضد ابن عمه للسيطرة على عرش نوميديا عام (١٢٢ق.م.)، ينظر: محمد الصغير غانم ، نوميديا والحضارة البونية، المرجع السابق ،ص.١١٣.

إنه أعطى للشعب الروماني بلدا مترامي الأطراف تحصل منه روما سنويا على كميات هائلة من القمح وزيت الزيتون"[2]، كما أن قيصر أمر بإحياء مستوطنة قرطاج عام (٤٤ق.م.) وسميت (مستوطنة قرطاج الوئامية الأولية *Colonia Concordia Lula* *Karthago*) ، التي وفد إليها بعد موت "قيصر"أكثر من(٣٠٠٠ مستوطن) قادمين من إيطاليا، فاستقروا بها، وسيطروا على الأراضي الزراعية الخصبة التي حولها، وكان اغلبها يمتد في السهل الأوسط لحوض مجردة المجاور للمدن النوميدية[3]، وقد كان التهافت الروماني على أراضي شمال أفريقيا قد بلغ ذروته في عهد الإمبراطورين"أُغسطس وتبيريوس"، اللذين بذلا جهدا في سبيل توطين أعداد كبيرة من الذين اشتركوا في الهجرة الزراعية الكبرى من إيطاليا[4]،(خريطة.١٣).

٦. ومن المظاهر الاقتصادية في أفريقيا، فرض "قيصر"الضرائب والغرامات الاقتصادية المجحفة على المدن التي وقفت في صف أعدائه وإنزالها إلى مرتبة أدنى، فمدينة عتيقة، فقد عفى عن المناوئين له فيها، وقدم شكره لأهلها على مساعدتهم ومساندتهم له[1]، إلا أنه فرض على تجارها وكبارأصحاب الأموال فيها دفع غرامات

---

[1] ـ محمد البشير شنيتي ، سياسة الرومنة ، المرجع السابق ،ص.٦٦.

[2] - Plutarch, Cesar, 55.

[3] ـ عمار المحجوبي ، المرجع السابق ، ص٨٩. ؛ محمد محي الدين المشرقي، أفريقيا الشمالية في العصر القديم، ط.٢، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٧، ص. ٧٢.

[4] ـ م. روستفتزف ، المرجع السابق ، ص. ص. ٣٨٨- ٣٨٩.

[1] – Elmayer, A.F. T.R.E. op.ci. p.40.

مالية كبيرة، لأنهم قدموا الدعم بالمال والسلاح" لكاتو"[2].

ومنها أيضا مدينة لبدة الكبرى التي فرض عليها دفع غرامة سنوية باهظة، تدفعها من إنتاجها الزراعي وقدرها ثلاثة ملايين رطلا من زيت الزيتون، ويبدو أن هذه المدينة بقيت تدفع هذه الضريبة حتى منتصف القرن الثالث الميلادي[3]، وسوف نتعرض إلى هذا الموضوع بشيء من التفصيل لاحقا، عند الحديث عن الأوضاع الاقتصادية لإقليم المدن الثلاث في العصر الروماني.

وفي مقابل عقاب "قيصر" للمدن التي ساندت أعداءه[*]، فقد كافأ المدن التي وقفت في صفه، أو استسلمت له بدون قتال، مثل مدينة (زاما ريجا) التي أقفلت أبوابها في وجه الملك النوميدي "جوبا الأول"، حينما فر إليها، فقد كافأها "قيصر " بأن أعفاها من دفع الضرائب[4].

3– الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لمنطقة المدن الثلاث في العصر الروماني:

من المعلوم أن مدينة لبدة الكبرى قد استمرت في تحالفها مع الشعب الروماني، حتى بعد انتهاء الحرب اليوغرطية، ومن المرجح أن باقي مدن الإقليم سارت على نفس النهج

---

[2] - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.١٦٩.

[3] – Mattingly, D.J. op.cit. p.51.

[*] - كان من بين المدن التي عاقبها" قيصر" بفرض الجزية عليها: مدينة " حضرموت" (سوسة)، التي فرض عليها (٨ مليون سيرتس)،(٣ مليون على السكان المحليين ، و٥ مليون على الجماعات الرومانية المقيمة بها) ، حول هذا الموضوع ينظر:عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق ، ص..٣١٦.

[4] - شارل اندريه جوليان، المرجع السابق، ص.٦٨.

الذي اتبعته مدينة لبدة، ويبدو أن التحالف الذي تسعى إليه مدن الإقليم لم يكن مجرد وضعية مدن مرتبطة مع روما بمعاهدة صداقة ؛ لأنها وضعية غير ثابتة، وإنما كان هو الحصول على معاهدات تضمن بموجبها وضعية المدن الحليفة الحرة (*Civitas Foederata*)، والتي يبدو أنها قد تحصلت عليها ؛ مما يشير إلى الاحترام الذي يكنه الرومان لمدينة لبدة وباقي مدن الإقليم[١]، ويبدو أنه قبيل الحرب الأهلية كانت المدن الثلاث تتمتع باستقلال إداري، كل مدينة على حدة، فقد ورد في نقش عثر عليه في مدينة ويات أنها كانت مرتبطة بمعاهدة تحالف مع لبدة الكبرى [٢].

وبعد نشوب الحرب الأهلية بين " قيصر وبومبي"، وهزيمة الأخير وأنصاره في أفريقيا بعد معركة ثابسوس عام (٤٦ق.م.)، عوقبت مدن الإقليم بزعامة مدينة لبدة الكبرى من قبل " قيصر المنتصر"، بدفع غرامات باهظة، وإنزالها من مرتبة المدن الحرة الحليفة إلى مدن خاضعة للجزية[٣].

وتشير المصادر إلى أن مدينة لبدة الكبرى كانت تؤدي إلى روما جزية سنوية من زيت الزيتون تقدر (بألف طن) أوما يعادل حوالي ثلاثة مليون رطل من الزيت[*][1].

ويرى بعض الباحثين أن مدن الإقليم الأخرى خاصة ويات وصبراته ، قد اشتركت

---

[1] ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، عبارة مشار إليها سابقا، ص. ٣١٣.

[2] ـ المرجع نفسه، ص. ٣١٥.

[3] ـ أحمد محمد انديشة، المرجع السابق، ص. ٦٢.

[*]ـ هذه الكمية تعادل (١٠,٠٠٠ هيكتولتر) ، وهي تساوي (١٧٠,٨٠٠)، أو مائة آلف جالون من زيت الزيتون، ينظر:أحمد محمد انديشة، نفسه.

مع لبدة في دفع هذه الجزية، وذلك بسبب تبعيتها لها[2]، ويمكن القول: إن ضخامة هذه الضريبة كانت كبيرة على مدينة مثل مدينة لبدة ، حتى مع كونها تمثل عاصمة الإقليم، وأقوى مدنه اقتصاديا، ويبدو أن عقاب " قيصر"، قد أثر على الحياة الاقتصادية في هذه المدن، حيث انقطع وجود الخزفيات والنميات انقطاعا مفاجئاً من بعض مواقعه[3]، غير أن " الميار"(Elmayer.A.F) يرى أنه لا تتوفر أية أدلة على معاونة مدن الأمبوري لمدينة لبدة الكبرى في تحمل عبء هذه الضريبة، ويدلل على ذلك بعدم ورود اسمي مدينتي ويات وصبراته من ضمن قائمة المدن الأفريقية التي فرض عليها "قيصر" الجزية، خاصة أن مدن الإقليم كانت تتمتع باستقلال داخلي كمدن حرة ولكل منها حدودها وأراضيها الخاصة[4].

وبنهاية حرب "قيصر" مع "بومبى"، شكلت أراضي إقليم المدن الثلاث مع مملكة نوميديا الشرقية (مملكة جوبا الأول) ولاية أفريقيا الجديدة، وعين "قيصر" المؤرخ "سالوست"(*Sallustus*) حاكما لها، تحت اسم "بروقنصل" (*Proconsul*)[1]، الذي بادر بنهب أراضيها وابتزاز أموالها[2]، وتعرض إلى فضيحة رشوة، مما أدى إلى عزله

---

(1) –Haynes, D.E.L. op.cit. p.34.

(2) - رجب عبد الحميد الأثرم، ، المرجع السابق، ص.٢٠٧.

vol.14, (3) - Arthur.P."Hellenistic and Roman Sites at Marsa Gezirah near Misurata", L. S. 1983, p. 136.

(4) - عبد الحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص. ص. ٣١٦-٣١٧.

(1) - Fentress, E.W.R. op.cit. p. 65.

(2) – Haynes, D.E.L, op.cit. p.34.

بعد اغتيال " قيصر"عام (٤٤ق.م.)[3].

ومن المرجح أن الرومان قد أخضعوا إقليم الأمبوري بالطرق السلمية، حيث إن المصادر لم تذكر شيئاً عن عنف أو اقتحام لمدن الإقليم في سردها للوقائع الحربية في شمال أفريقيا.[4].

وبعد موت "قيصر" عام (٤٤ق.م.) اندلعت في روما حرب أهلية ثانية بين ورثة عرش "قيصر (انطونيوس ، واكتافيوس، وليبدوس) من جهة، وقتلته من جهة أخرى، أدى ذلك إلى تكوين تحالف ثلاثي يعرف بالتحالف الثلاثى الثاني، ثم ما لبثت أن قامت الحرب بين المتحالفين على مراكز القوة في روما، حتى انتهت بموت " ليبدوس"، وانتصار "اكتافيوس قيصر" على " ماركوس انطونيوس" في موقعة اكتيوم البحرية[*]عام (٣١ق.م.) في مصر.

ولم تسلم الولايات الرومانية في شمال أفريقيا من آثار الفوضى والاضطرابات التي خلفتها هذه الحرب التي استمرت ثلاثة عشر عاما (٤٤ –٣١ ق.م.)[1].

وقد عرفت مدن الأمبوري كيف تحمي نفسها من هول هذه الاضطرابات، باتخاذ

---

[3] - Desanges, J.L'Afrique Romaine et Libyco-Berbere, in Rome et la conquete du mond-Mediterraneen, ed 1, P. U. F., Paris, 1978, p.48.

[4] - عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص. ٣١٦.

[*]- معركة اكتيوم :هي معركة بحرية دارت رحاها بين المتحالفين "انطونيوس"وحليفته "كليوبترا" حاكمة مصر، "واكتافيوس أغسطس" الذي نال تأيد الشعب الإيطالي ومجلس الشيوخ الروماني، وقد انهزم "انطونيوس" في هذه المعركة شر هزيمة عام (٣١ق.م..)، أدت به إلى انتحاره مع حليفته " كليوبترا"،= =

ينظر: دونالدر.د. دلي، المرجع السابق، ص. ص.١٦٨-١٦٩.

[1] - عبد اللطيف محمود البرغوثي ، المرجع السابق ، ص.٣٤٦.

موقف الحياد وعدم التورط فيها، وذلك بعدم المساندة أو الوقوف في صف أحد المتنازعين ضد الآخر، ويبدو أنها قد تعلمت من الدروس السابقة عندما تورطت في النزاع بين " يوليوس قيصر وجايوس بومبيوس" في الحرب الأهلية الأولى[2].

وبعد أن تولى "أُغسطس" (*Augustus*) الحكم في روما، قام بضم الولايتين الرومانيتين في أفريقيا في ولاية واحدة عام (٢٦ق.م.)عرفت بولاية أفريقيا البروقنصلية[3]، وولى عليها حاكما برتبة بروقنصل (*Proconsul*)، وهو مندوب عن مجلس الشيوخ[4]، وقد أضيفت إليها نوميديا الشرقية عام (٢٥ق.م.)، وبذلك صارت حدود الولاية البروقنصلية تمتد من الوادي الكبير غربا، إلى الحدود الشرقية لمنطقة الأمبوري مع منطقة برقة شرقا عند مذبح الأخوين فيلاني[5].

وأصبحت الولاية تضم المناطق الأكثر تطورا، والأكثر أمنا، ما دعا"بأُغسطس" أن يمنحها إلى مجلس الشيوخ، لتصبح من ضمن الولايات التي يحكمها حاكم تكون تبعيته له، بدلا من الإمبراطور، وكان حاكمها أحد أعضاء هذا المجلس، برتبة بروقنصل، وكان الإمبراطور يضع هؤلاء الحكام تحت مراقبة أعوانه الذين يتصلون به مباشرة[1].

قسم مجلس الشيوخ الروماني ولاية أفريقيا البروقنصلية إلى ثلاثة أقسام إدارية يشرف

---

(2) - محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص.٣٦.; Haynes,D.E.L. op.cit. p.35.

(3) - مفتاح أحمد الحداد، المرجع السابق، ص. ٤٤.

(4) – Elmayer, A.F. T.R.E. op.cit. p.57.

(5) - Romanilli, P. Lip. Mag. Op.cit. p.16.

(1) - شارل اندريه جوليان ، المرجع السابق ، ص. ١٩٩ .

(2) – م.رستفتزف ، المرجع السابق ، ص. ص. ٣٨٧-٣٨٨.; Haynes.D.E.L.,op.cit., p.41.

علـى كل منهـا أحـد نـواب البروقنصـل الثلاثـة، وكانـت مدينـة (قرطاجـة) عاصـمة للقسـم الأول، و"هيبوديياريتوس" (*Hippodiarhytus*) عاصمة للقسم الثانـي[2].

وكانت مدينـة لبدة الكبرى عاصـمة للقسم الثالث الذي يكون من المحتمل أنـه ضـم باقي مدن الإقليم، مشكلا بذلك منطقة إدارية منفصلة ؛ فقد استرجعت هذه المـدن حريتهـا في عهد " أُغسطس" بعد أن حرمهـا " قيصـر" هذه الحريـة إثـر انتصـاره علـى خصـمه " بومبي"[3]، وبهذه الحرية حرَمت مدن الأمبوري على نائب البروقنصل التدخل في شؤونها المحلية [4]، (خريطة– ١٤).

وعرفانـا بـالجميـل للإمبراطـور "أُغسـطس"، سـكت المـدن الـثلاث نقـوداً تحمـل صـورة الإمبراطور، وصورة لأحد الآلهة [5].

ويرى بعض الباحثين[1]، أن مدن الأمبوري (وكما هو الحال في باقي منـاطق شمال أفريقيا الواقعة تحت السيطرة الرومانية)، كان يقطنها مهاجرون من شبه الجزيرة الإيطاليـة منـذ القرن الأول قبـل الميـلاد، وكـان لهم تـأثير واضـح علـى الأهـالي الـوطنيين فـي تلـك المنـاطق، ثم تلت تلك الهجرات هجرات أخرى تـدافعت إلـى منطقـة الشمال الإفريقـي، خاصة مع بدايـة القرن الأول الميلادي، أدت إلى تكوين روابط متينـة مـع الرومان الذين

---

[3] - أحمد محمد انديشة ، المرجع السابق ، ص. ٧٣ .

[4] - محمود النمس والصديق أبو حامد، دليل متحف الآثار بالسرايا الحمراء بطرابلس، إشراف مصلحة الآثار، ط.١، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧، ص. ص. ٢١٢- ٢١٥.

[5]- Jenkins, G.K. “Some Ancient Coins of Libya Tripolitania “Socity for L. S. Vol. 5, 1973-1974, p.34.

[1] - Thopson.L,A.” Roman and Native in the Tripolitania citties in the Early Empire”,

سبقوهم، والذين حرصوا على أن يكون لهم وضع اجتماعي واقتصادي مميز في أماكن إقامتهم، يوفر لهم قدراً كبيراً من القوة والسلطة،وقد نزل مئات الألوف من المهاجرين الإيطاليين في مدينة كرتا بخاصة، وباقي المدن النوميدية بعامة، واستثمروا أموالهم، إما في الأراضي الإفريقية الخصبة، وإما إنهم في إقتناء عقارات خاصة بهم[2].

ولا يبدو أن الرومان القاطنين في إقليم المدن الثلاث كان لهم مثل هذا التنظيم ، وإنما الشواهد تدل على أنهم كانوا يتصرفون أفراداً وأسراً منفردة، حيث كانت السيادة في مدن الأمبوري خلال القرن الأول الميلادي في أيدي الأرستقراطية الفينيقية(الليبية القديمة)[3]، أي أن مدن الأمبوري حافظت كليا أو جزئيا على حكمها الذاتي وعلى نظمها المحلية، على الرغم من خضوعها لسلطات الولاية الرومانية وللضرائب العقارية[1].

وقد بقي نظام الحكم في الإقليم في بداية العهد الروماني (خلال القرن الأول الميلادي) كما هو عليه في العهدين البوني و النوميدي[2].

حيث كان لمدينة لبدة الكبرى حكامها البونيين (الشوفطم) وقوانينها الخاصة[3].

فكان هناك هيئة قضائية تتكون من أربعة أعضاء، عُرف اثنان منهم باسم شوفطم

L. H. 1968, p.p.135-243.

(2) – م.رتسفتزف، المرجع السابق ، ص.٣٨٥ .

(3)- Thopson.L. A. op.cit. p. 240.

(1) – عمار المحجوبي ، المرجع السابق ، ص. ٩٤.; Haynes, D.A.L.op.cit. p .29

(2) – م .رستفتزف ، المرجع السابق ، ص..٣٨٦.

(3) - Dio Cassius, xl, I, 42, 7.

(القاضيان)، والاثنان الآخران باسم المحزم، وهما مساعدان للقاضيين، وذلك حسب ما ورد في النقش (IRT,17) الذي عثر عليه في حمامات "هادريان" في لبدة الكبرى، ويذكر المؤرخ "سالوست" "أن مدينة لبدة الكبرى أحتفظت بقوانينها ومؤساساتها الدستورية" وهو ما أكده النقش (ART,17) [4]، ومن المحتمل أن المحزم يعادل في عمله "الكواستير" (*Quaester*) أي قاضي من الدرجة الثانية[5].

ولعل السبب في استمرار مدن إقليم الأمبوري في إدارة شئون الحكم بالنظم الفينيقية، هو عدم رغبة الدولة الرومانية في فرض إدارة مركزية، على الرغم من أنها قد فرضت نفسها على المؤسسات القائمة فيها[6].

وقد عثر على اسمين لقضاة محليين هما "ماكر و بيلين" في نقش بوني ظهر على عملة مدينة ويات[1]، كما ظهرت على عملة مدينتي صبراتة وويات نقوش تعبر عن أسماء لقضاة محليين[2]، كما عثر في السوق البوني بمدينة لبدة الكبرى على قاعدة تمثال نصفي، عليه نقش يشير إلى اسم صاحب هذا التمثال، والمشار اليه باسم " القاضي بونكارت"(*Bonacart*)[3]، وهذا دليل قاطع على استمرار النظم الفينيقية التي

---

[4] – لزيادة المعلومات حول هذا الموضوع يرجي مراجعة، عبد الحفيظ الميار، النقائش ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في ليبيا ، المرجع السابق، ص.ص.١٠٩،١٠٢.

[5] – Livy, T.xxxviii, 2, 37.

[6] ـ عبد القادر جعلول ، مقدمات في تاريخ المغرب القديم والوسيط، تر: فضيل الحكيم، ط.١، دار الحداثة للطباعة والنشر، المغرب، ١٩٨٢، ص. ٢٠.

[1] ـ عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص..٣٢٧ .

[2] ـ أحمد محمد انديشة، المرجع السابق، ص. ٧٣.

[3] - Jenkins, G.K. op.cit. p.35.

كانت سائدة في منطقة المدن الثلاث، فقد بقيت أسماء الموظفين والكهنة والقضاة فينيقية دون تغير، وكذلك المجالس الحكومية والجمعيات العمومية[4].

وكان "الشوفطم والمحازيم" من الشخصيات المهمة ومن أغنياء الطبقة الأرستقراطية في المدن، وهم قضاة ينتخبون سنويا[5].

وعلى الأرجح أن المحازيم أصبحوا في العهد الروماني مسئولين عن إدارة وصيانة مباني الألعاب في المدينة، مثل المسرح والملعب المدرج " الامفثياتر"[*] والسيرك وحلبة السباق[6]، بالإضافة إلى وظيفة مراقب الشئون الزراعية التي كانت من اختصاص" الشوفطم"، وكذلك وظيفة الشئون الدينية وخاصة وظيفة الكاهن الأعظم(*Adr Kohenum*)[1]، بدلا من وظيفة تزويد الأسواق بالمعدات والأدوات وجمع الضرائب خلال العهد البونيقي[2].

كما أن هناك وظيفة أخرى أشار إليها أحد الباحثين[٣]، قد اكتنفها الكثير من

---

[4] ـ محمد الجراري ، الاستيطان الروماني في ليبيا ، متنشورات جامعة الفاتح ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ١٩٨٤ ، ص.٣١.

[5] ـ عبد الحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص. ٣٢٢.

[*]-الملعب المدرج أو " الامفثياتر " Theater " هو ملعب غالبا ما يكون مدرجا ، تقام فيه عروض دموية إما بين الحيوانات المفترسة والحيوانات العشبية ، و إماالمفترسة وبين الأسرى، وإما بين المصارعين، ويوجد بمدينة " لبدة الكبرى" ملعب مدرج ضخم ، يعد من اكبر الملاعب الرومانية خارج إيطاليا .

[6] - Elmayer. A.F., Re-In-Lat-Pun-Ins-Rom-Trip. op.cit. p.93.

[1] ـ عبد الحفيظ الميار ، "ظاهرة استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس الغرب خلال العهد الروماني"، مجلة أفاق تاريخية، العدد الأول، السنة الأولى، الجمعية التاريخية العربية الليبية، طرابلس، ١٩٩٦، ص.١٠٠.

[2] – Elmayer, A.F. Re-In-Lat-Pun-Ins-Rom-Trip. op.cit. p.93.

[٣] -Divita, A.” Gli Emporia Di Tripolitania Dall' a di Massinissa a Diocliano: Un profile Storico- Istuziontale” Editor Walter De Gruyter, New York, 1982, p.542.

الغمـوض لتـداخل الجانــب السياســي مــع الـديني فيهــا، وتعـرف بوظيفــة " الفلامــن" (*Flamen*)، التي وجدت منذ عصر " أُغسطس" و استمرت إلى عصر الوندال، وهي ربمـا تعنـي وظيفـة " الـذباح"، الـذي كـان اختصاصــه الأساســي تقـديم الأضـاحي فـي المناسـبات الدينيـة، وهـو المسـئول علـى تمثيـل المدينـة فـي المجلـس الـديني للولايـات الإفريقيـة، قبـل مشـاركة هـذا المجلـس فـي مـؤتمر دينــي يقـام علــى مسـتوى الولايـات الرومانية، وكان هؤلاء ينتخبون سنويا.

وربما كانت هذه الوظيفة دخيلة على النظام الديني في إقليم المدن الثلاث،حيث يشير نفس الباحث إلى أنها في الأصل رومانية، تخص الديانة الوثنية، وهي معروفة في رومـا، حيـث كـان الفلامـن يشـرفون علـى المعابـد وعلـى عبـادة الأبـاطرة التـي اشـتهرت فيها[1]، غير أن هناك من يرى أن " الفلامن" وظيفة معروفة منذ العصر الفينيقي، وأن عددهم كان غير قليل في المدن الأمبوري، وهي تعرف باسم " زبح" وهي كلمة سامية تعادل الذباح بالعربية[2].

بعد أن سيطر الرومان على المناطق الساحلية بإقليم المدن الثلاث، بدأو يتطلعون إلى بسط نفوذهم على المناطق الداخلية، حيث كانت معرفتهم بها في البداية محدودة، وذلك لمحدودية العلاقة بأهلها[3]، ومن المؤكد أن الهدف من ورائه، السعي للسيطرة على

---

(1) - Idem.

(2) - عبد الحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص. ٣٢٤ .

(3) - أحمد محمد انديشة ، المرجع السابق ، ص..٦٥.

(4) -Livy,T. xxxvii, 2.50.

مناطق ذات أهمية اقتصادية.

ولا يتضح اقتصاد إقليم المدن الثلاث في العهد الروماني (خاصة الاقتصاد الزراعي) إلا من خلال ما تنتجه مناطق أفريقيا بصفة عامة، حيث يذكر المؤرخ " ليفيوس"[4] أن قرطاج و نوميديا أرسلتا إلى روما عام (١٩١ق.م.) حوالي(٥٠٠,٠٠٠) مودي [*]من القمح، و(٢٥٠,٠٠٠) مودي من الشعير، ومن الباحثين من يرى أن ثلثي احتياجات روما من القمح يأتي من شمال أفريقيا[5].

وبالإضافة إلى الحبوب والخضراوات والحيوانات البرية، كان اقتصاد إقليم المدن الثلاث يرتكز على إنتاج وتصدير زيت الزيتون إلى معظم مدن حوض البحر المتوسط، على الرغم من أن الزيت الذي كان يصدر من موانئ شمال أفريقيا كان غير ملائم للطهي عند الرومان [*]، وذلك لكثافته العالية[1]، لكنه كان يلقى رواجا كبيرا في السوق الرومانية لاستخدامه في الحمامات العامة، لغرض التدليك والإضاءة[2].

وكانت زراعة أشجار الزيتون معروفة في منطقة المدن الثلاث منذ العصر الفينيقي، وقد زاد انتشار زراعة هذه الشجرة في العهد الروماني ، حيث قدر عدد أشجار الزيتون

---

[*]- المودي (Moduis) يساوي واحد جالون.

[5] - محمد الجراري ،" موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني" ، مجلة الثقافة العربية ، العدد السابع ، السنة التاسعة ، طرابلس ، ١٩٨٢، ص. ٧٢.

[*]- أشار الشاعر اللاتيني (جوفينال) ، إلى إن زيت الزيتون القادم من شمال أفريقيا كان كفيلا بأن يدعو الثعابين إلى الهرب.

[1] - محمد علي عيسي ،" تبليط شوارع مدينة لبدة وثورة تاكفاريناس" ، مجلة أثار العرب ، العدد الخامس ، مصلحة الآثار ، ١٩٩٢ ، ص.٢٣.

في مدينة لبدة الكبرى وظهيرها الزراعي بحوالي (٢,٣٠٠,٠٠٠) شجرة زيتون[3].

بيد أن هناك من يرى أن هذا العدد من أشجار الزيتون كان مقاربا لما هو موجود في الإقليم كله (**).

بالإضافة إلى ذلك، كان التوسع في غرس أشجار مثمرة أخرى مثل: الكروم والنخيل، والتين، والرمان، التي انتشر استنباتها على الساحل، والأودية الداخلية من الإقليم مثل:أودية منطقة ترهونة، ووادي نفذ ووادي قرزة بمنطقة ورفله ، وأودية منطقة سرت، حيث عثر على نقوش تمثل أنواع هذه الأشجار على أضرحة مستوطنة قرزة الليبية(*) [1].

وقد أدى التوسع الزراعي نحو المناطق الداخلية من الإقليم إلى إقامة مستوطنات زراعية مزدهرة، فبالإضافة إلى مستوطنة قرزة، أقام السكان (الذين كان جلهم من الليبيين) مستوطنات زراعية في الجبال وعلى ضفاف الأودية مثل : مستوطنة "سوباتوتو"(*Subatuto*) التي تقع حول قصر الداوون إلى الشرق من مدينة ترهونة الحالية بحوالي (٢٨كلم)، وقد كانت تحتوي على كثافة عالية من أشجار الزيتون، منظمة

---

[2] – Gsell, S.Etudes, Sur L' Afrique Universite de Lille, Lille, 1981, p.151.

[3] - Idem.

(**)– من خلال الدراسات التي قامت بها البعثة الاثرية الليبية الفرنسية للتنقيب في اودية حوض سرت، خلال شهري فبراير ومارس عام (١٩٩٠م)، أثبتت هذه الدراسات ان مزارع الزيتون كانت تنتشر بشكل واسع حول مناطق الجبل الغربي، وترهونة، ومسلاته، وبني وليد، حتى تصل إلى أودية سرت شرقا، ينظر: محمد علي عيسى، تبليط شوارع لبدة، المرجع سابق، ص.٢٣.

(*)-" قرزة" ، مستوطنة ، ليبية تقع قرب وادي قرزة جنوب منطقة بني وليد، أقيمت في القرن الثاني الميلادي، في عهد حكم أسرة الإمبراطور سبتيميوس سويريوس .

في مزارع أصغر بكثير من المزارع الرومانية المبكرة[2].

وقد كُشف عن مستوطنات زراعية أخرى في أودية سرت ازدهرت خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وفي أودية أم الخراب، وزمزم، وسوف الجين، التي شهدت قيام مستوطنات اعتمدت نظاما زراعيا موسعا[3]، حيث كانت أحواض الأودية الداخلية مثل أودية سوف الجين وزمزم والبي الكبير وروافدها الكبيرة، تعج بالسكان المحليين (الليبيين) وخاصة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، وكان زعماؤهم من الأثرياء الذين تأثروا بالحضارة الفينيقية المنتشرة على الساحل، حيث كانت الأسماء والألقاب الفينيقية إلى جانب أسمائهم وألقابهم المحلية، ويتضح ذلك من شواهد قبورهم التي عثر عليها في هذه الأودية، وقد استفاد السكان المحليون من التجارة الجديدة المزدهرة في الإمبراطورية الرومانية[1].

وإلى جانب الاقتصاد الزراعي كانت التجارة تمثل جانبا مهما في اقتصاد إقليم المدن الثلاث، إذ لم تفقد مدن الأمبوري دورها المهم في التجارة والاتصال التجاري الذي كان لها في العهد القرطاجي بين الساحل والصحراء، وقد أصبحت في العهد الروماني تسيطر على طرق التجارة بين مدن حوض البحر المتوسط وأواسط أفريقيا، عبر طرق

---

(1) - إدارة البحوث الأثرية، مدينة قرزة ، مجلة أثار العرب ، العدد الثالث ، مصلحة الآثار ، ١٩٩١م، ص.٩٩.

(2)– Otes, D. The Tripolitania, Gebl, Settlement of the Roman period around Gasr ed Daun, P.B.S.R., 21, 1953, p.91.

(3) - ديفد ماتنغلي، "الأوضاع الاقتصادية والثقافية في أواخر الفترة الرومانية بإقليم المدن الثلاث"، تر: مصطفى= = الترجمان ، مجلة أثار العرب ، العدد التاسع والعاشر ، مصلحة الآثار ، ١٩٩٧،ص.٩١.

(1) – Brogan, O. First and Second Century Settement in The Tripolitania Per-Desert,

مهمة ومعروفة وآمنة، كان أهمها طريق " أكلة اللوتس" التي تبدأ من مدينة ويات – غريان– برغن (عبر الجبال) – أوباري– جرمه[2].

بالإضافة إلى طرق أخرى كانت تستعمل منذ العهد الفينيقي أهمها:

١. طريق لبدة – قرزة – الشويرف – براك – سبها – وجرمه.

٢. طريق صبراته – غدامس – ادري – صحراء أوباري – وجرمه.

٣. طريق سرت – ودان – هون – سبها – وجرمه[1] . (خريطة– ١٥).

الحياة الثقافية في الإقليم خلال العصر الروماني (استمرار اللغة والثقافة البونية في الإقليم):

بعد أن بسطت قرطاج سيطرتها على المستوطنات الفينيقية في إقليم المدن الثلاث، خاصة بعد حادثة طرد المستعمرين الإغريق القادمين من مدينة اسبرطة، الذين حاولوا بناء مستعمرة لهم عند مصب نهر كنيبس (كعام)، أصبحت هذه المستوطنات أكثر عرضة لتيار الثقافة الفينيقية القرطاجية، حيث انتشرت اللغة البونية (الفينيقية الحديثة) انتشارا واسعا في الإقليم، ولعل العنصر "الليبوفنيقي" هو الذي ساعد على سرعة هذا الانتشا، وإلى تأثر الليبيين بالحضارة الفينيقية الوافدة، واللغة البونية التي جاءت في

L. H. University of Libya, Benghazi, 1968, pp126-128.

[2] - سعيد علي حامد، "التجارة والأسواق في طرابلس عبر التاريخ"، مجلة تراث الشعب، العدد الرابع، السنة الحادية عشر، طرابلس، ١٩٩١/١٩٩٢، ص.١١٥.

[1] - عبد اللطيف محمود البرغوثي ، المرجع السابق ، ص.٣٢٠

الأصل من الأراضي القرطاجية الواقعة غرب إقليم المدن الثلاث[2].

ومما لا شك فيه أن السكان المحليين لمنطقة الشمال الإفريقي كانوا يتحدثون بلغة غير اللغة الفينيقية أو البونية، فكان لهم لهجة تميزهم عن جميع الوافدين إلى المنطقة من فينيقيين أو لاتين أو إغريق، غير أنه ليس هناك ما يثبت أن هذه اللهجة كانت تكتب، خاصة في الفترة المبكرة [3].

وتشير الدراسات إلى أن أول كتابة ليبية عثر عليها يعود تاريخها إلى (139ق.م.)، متمثلة في نقش معبد "دقة" الذي أقامه الملك النوميدي"ماكاوسن" تخليدا لذكرى والده[1]، وهناك من يرى أن هذه الكتابة تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد[٢].

وتعد الكتابة البونية هي الكتابة الرسمية في العاصمة القرطاجية، وفي كل المستوطنات والمدن التي تسير في ركبها في غربي البحر الأبيض المتوسط، التي استمرت في الانتشار حتى بعد سقوط "قرطاجة" عام(١٤٦ ق.م.)، متمثلة في النقوش التذكارية وعلى المسكوكات، ولو كان بصفة اقل[٣].

وعلى الرغم من ندرة النقوش الفينيقية ذات النصوص الطويلة، التي دونت على المباني العامة أو الخاصة بعد نهاية القرن الأول الميلادي في شمال أفريقيا، فإن هناك

---

[2]– عبد الحفيظ الميار، "ظاهرة استمرار اللغة و الثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس الغرب"، المرجع السابق، ص.٩٥.

[3]- محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، ط.١، دار الهدى للطباعة والنشر ، الجزائر، ٢٠٠٣ ، ص.١٢٠.

[1] – Chabot, J.B.Recueil des Inscriptions Libyques, Paris imprimerie, Nationale, 1940.

[٢]) عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، المرجع السابق، ص.٦٢.

أدلة تثبت استمرار استعمال اللغة الفينيقية في إقليم المدن الثلاث حتى نهاية القرن الرابع الميلادي[4]، (نقش –١٦)، وتعد نقوش طرابلس الفينيقية– اللاتينية من أهم الأدلة الوثائقية، التي تؤكد صحة ما قاله " القديس أوغسطين" من أن اللغة الفينيقية كانت لغة التخاطب في نوميديا في أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلاديين، سيما في المناطق التي لم يتمركز فيها الاستعمار الروماني[5].

فقد كان سكان إقليم المدن الثلاث، شأنهم شأن النوميدين، يخلدون ذكرى موتاهم بكتابة أشياء تخص هؤلاء الموتى على شواهد تقام على قبورهم، تكتب في الغالب بلغة وحروف فينيقية[1].

ويبدو أن تشبع منطقة شمال أفريقيا عامةً، ومنطقة المدن الثلاث خاصةً بالثقافة الفينيقية والبونية إلى فترة متأخرة، كان من العوامل التي سهلت على العرب المسلمين فتح هذه المناطق وضمها إلى حضن الحضارة العربية الإسلامية[2].

وقد تميز إقليم الامبوريا عن باقي أقاليم شمال أفريقيا بانتشار اللغة الفينيقية إلى جانب اللغة اللاتينية والإغريقية، فقد عثر في مناطق متفرقة من إقليم الامبوريا على

---

(3) - Fevrier, J.G. Histoire de L' ecriture, Paris, 1984, p. 221.

(4) - عبد الحفيظ الميار ، "ظاهرة استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس" ، المرجع السابق، ص. ١٠٧.

(5) - محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني ، المرجع السابق ، ص..١٣٦.

(1) - عبد الحفيظ الميار ، ظاهرة استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس ، المرجع السابق ، ص. ١١٧.

(2) – محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، ط.١، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٩٩، ص.٦.

نقوش باللغة البونية كتبت بحروف لاتينية يعود أقدمها إلى القرن الثاني الميلادي[3].

وعلى الرغم من انتشار الحضارة والثقافة الرومانية في الإقليم بفضل الاحتلال الروماني، فإن الحضارة البونية قد استمرت قوية في الإقليم إلى عهود متأخرة من العصر الروماني، حيث استمر استعمال اللغة البونية لغةً رسمية في المدن الساحلية، ويدلل على ذلك النقوش التي عثر عليها في مدينة لبدة الكبرى، والتي كانت ثنائية اللغة(بونية لاتينية)[4]، كما توجد نقوش لاتينية بحروف بونية[5]،(صورة-١٧).

بالإضافة إلى انتشار اللغتين البونية واللاتينية جنبا إلى جنب في إقليم المدن الثلاث، استعمل السكان لغة ثالثة هي الإغريقية، التي يبدو أنها كانت مستعملة على أساس أنها لغة محادثة في المناطق الساحلية بالدرجة الأولى، التي يوجد بها نشاط اقتصادي، حيث كان الكثير من المهاجرين الإغريق قد استقروا في المدن الرئيسية من الإقليم، بالإضافة إلى قرب مدن الامبوريا من المدن الخمسة في إقليم سيرينايكا[1] .

وقد عثر على نقوش في الإقليم مكتوبة بثلاث لغات (بونية و لاتينية وإغريقية)، متحدة كانت أو منفصلة[2]، إلى جانب استخدام بعض الحروف الإغريقية في كتابة

---

[3] ـ عبد الحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص. ٣٦٨.

[4] – I R T. 599.

[5]- عبد الحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص. ص..٣٩٢-٣٩٣.

[1] ـ عبد الحفيظ الميار، "ظاهرة استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس"، المرجع السابق، ص. ص. ١١٢-١١٣.

[2] - Romanelli.P, Lip. Mag. op.cit. p. 22.

النقوش الفينيقية اللاتينية[3] ،(نقش– ١٨).

ويبدو أن الإغريق الذين سكنوا إقليم الامبوريا لم يكونوا من أصحاب المهن التجارية فقط، وإنما كان منهم العبيد المحررون، الذين كان منهم المفكرون والفنانون والأطباء، مثل المدعو " تلمون"(*Telamon*)، الذي كتب نقشا باللغات الثلاث[4]، وهو طبيب قد مارس مهنة الطب في الإقليم[5].

وقد عثر على نقش آخر في مدينة الخمس بجوار الكنيسة الكاثوليكية، يمثل شاهد قبر لأحد المفكرين يدعى " لارجس" الذي سجل احتفاله بعيد الحكمة الروماني[1].

ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن الأودية الداخلية مثل أودية سوف الجين وزمزم والبي الكبير وروافدها الكبيرة، كانت مأهولة بالسكان إلى حد كبير في القرنيين الأول والثاني الميلاديين، ومن الواضح أن هؤلاء السكان كانوا يحملون أسماء محلية، كما يتضح من شواهد قبورهم التي تحمل أسماء مثل "ماسوخان – يارمو – نيمران" وغيرها، بالإضافة إلى ألقاب فينيقية مثل: "أرشم – وبودعشتات – وحنبعل"، إلى أخره[٢].

وفي نهاية هذا الفصل يجب توضيح أن إقليم المدن الثلاث لم يتميز ببقاء الحضارة الفينيقية قوية بين سكانه، أو انتشار اللغات اللاتينية والإغريقية في مدنه وبين الأهالي، ووجود النقوش أحادية اللغة والثنائية والثلاثية فحسب، و إنما تميز إقليم الامبوريا عن

---

[3] – I R T 889.

[4]-I R T 654.

[5] ـ عبد الحفيظ الميار،" ظاهرة استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس"، المرجع السابق، ص. ١١٤.

[1] –I RT 738.

باقي أقاليم الشمال الأفريقي بخصائص حضارية ومعمارية، وبظواهر ثقافية وفنية منحدرة من شرق البحر الأبيض المتوسط، وقد تناول هذا الموضوع الأستاذ"رومانيللي"(Romanelli) في إحدى دراساته، حيث أوضح أن موقع إقليم المدن الثلاث يقسم منطقة الشمال الأفريقي إلى منطقتين ذات ثقافتين مختلفتين، فخليج السرت الكبير هو حد فاصل بين ثقافة إغريقية تمتد إلى الشرق منه، وثقافة فينيقية تمتد إلى الغرب منه، وبقي هذا التقسيم عصورا تاريخية طويلة حتى بعد مجيء الرومان الذين حاولوا توحيد الثقافتين تحت لواء الثقافة اللاتينية.

١. تميز الإقليم بوجود الأعمدة رباعية الشكل، حيث عثر على ثلاثة منها في مدينة لبدة الكبرى، وواحدة في مدينة ويات، وفي كل مدن شمال أفريقيا لم يعثر إلا على عمودين من هذا النوع، أحدهما في مدينة "ثفيست"(Theveste) بتونس، والثاني في مدينة "كرتا" في الجزائر، وتتميز الأعمدة التي عثر عليها في إقليم المدن الثلاث بأنها أقدم تاريخيا من المثالين الآخرين. (صورة–١٩).

٢. إن الأقواس المشيدة في اقليم الامبوري تميزت عن الأقواس المشيدة في باقي أقاليم شمال أفريقيا، بأنها مغطاة بزخارف منحوتة، وقد تأثرت بالفن الرفيع القادم من آسيا الصغرى وسوريا، حيث لوحظ وجود ملامح شرقية وغربية في الأبنية التي بنيت في عهد الإمبراطور "سبتميوس سفيروس"، (صورة–٢٠).

٣. يوجد في منطقة المدن الثلاث نوعان من الأضرحة، مثل: مقبرة "قرزة"، والمقابر

(2) –Brogan, O. op.cit. p.126.

الصغيرة التي لها شكل رفيع ومدبب، لم يعثر عليها في شمال إفريقيا، إلا في بعض النماذج التي عثر عليها في الجمهورية التونسية، غير أن المكتشفة في إقليم الامبوري كانت مرتفعة ومدببة بصورة أدق.

٤. الطريقة المستخدمة في بناء الضريح الليبي" قصر دوغة"(Caser Duga) بمنطقة ترهونة، والذي يختلف عن غيره من الأضرحة الموجودة في منطقة الامبوري والشمال الأفريقي، ويتشابه مع ما يتبع في آسيا الصغرى، خاصة في طريقة التجميل الهندسي وصف الأعمدة، وهذه الطريقة بعيدة تماما عن الأشكال المعروفة في المنطقة، حيث إن طريقة تجميله كانت بأشكال مصورة لأشخاص منفردين أو حيوانات أو مشاهد عن حياة المتوفى[1]،(صورة– ٢١).

---

[1] - حول هذا الموضوع ينظر: Romanelli.P, La Tripolitania Nel Quadro Dell, Archeologia Nord- Africa , L. H. University of Libya, Benghazi,1986,pp.133-141.

الخاتمة

الخـــاتـمــة

من خلال دراستنا لموضوع إقليم المدن الثلاث، وعلاقته بمملكة نوميديا فيما بين الفترة من(٢٠٢-٤٦ق.م)، في وجود المعطيات التي توفرت لدينا، يمكن أن نستخلص الآتي:

أن موقع إقليم المدن الثلاث ذو أهمية قصوى في صنع تاريخ منطقة الشمال الإفريقي بصفة عامة، ومنطقة ليبيا بصفة خاصة، فقد كان هذا الموقع محط أنظار المستوطنين والطامعين، بسبب ما له من ظروف تضاريسية ومناخية تؤهله لأن يكون مشجعاً للاستيطان والاستثمار الزراعي والتجاري.

فقلة وجود الموانع والحواجز الطبيعية من (جبال وأودية عميقة)، وبالإضافة إلى وجود مناخ جيد ومناسب للحياة البرية والنباتية، وهي تعتبر من العوامل المهمة في توفير حرية الاتصال البشري مع الشعوب والأقاليم الأخرى، جعل الإقليم قبلة للهجرات والاستيطان البشري منذ عصور ما قبل التاريخ، وذلك بخلاف ما هو موجود باقي أقاليم شمال أفريقيا.

وقد سال لعاب الفينيقيين عند مجيئهم إلى شواطئ الإقليم، حيث وجدوا فيه عوامل الاستقرار، ودوافع الاستيطان، فأسسوا المستوطنات والمراكز التجارية على سواحله التي

تميزت بوجود عدد من الخلجان الصالحة للملاحة، وكذلك طبيعة السكان المحلين الطيبة، وترحيبهم بالغرباء، وتأقلمهم معهم، وعدم معاداتهم ماداموا يمدون أيادي الصداقة والتعاون .

وبعد فترة وجيزة استطاع الفينيقيون القرطاجيون التغلغل في أراضي الإقليم واستغلالها أحسن استغلال وخاصة الأراضي الزراعية، وقد كان لقرطاج تأثير كبير على إقليم المدن الثلاث، ففي القرن الخامس قبل الميلاد مدت قرطاج نفوذها واستولت على هذه المدن، وقبضت عليها بيد حديدية، وفرضت عليها العزلة الاقتصادية والسياسية، وسخرت اقتصاد تلك المدن لخدمة اقتصادها وازدهارها التجاري البحري.

وقد ضاعفت قرطاج من هذه العزلة بعد حروبها مع الإغريق، عندما اتجهت نحو التوسع في استغلال الثروة الزراعية في شمال أفريقيا، وقد اتضح هذا عندما غزا "اجاثوكليس" الأراضي القرطاجية، حيث شد انتباهه اتساع البساتين الزراعية، ووفرة الإنتاج الزراعي لدى القرطاجيين، وزادت قرطاج من رقابتها على إقليم المدن الثلاث، وذلك امنع أي امتداد للنفوذ الإغريقي من إقليم المدن الخمس المجاور إلى الشرق منه.

وفي الصراع القرطاجي الروماني زادت قرطاج من استغلال تلك الأراضي في الإقليم، وزيدت الضرائب إلى نصف المحصول، لتتمكن الحكومة القرطاجية من توفير الدعم المادي لهذا الصراع، بل إن المصادر تذكر أن مدينة لبدة الكبرى كانت تدفع

ضريبة سنوية لقرطاج قدرها واحد تالنت، واحتكرت قرطاج تجارة المدن الثلاث، ومنعتها من الاتصال بالموانئ العالمية، كما أنها حرمت على كل من الإغريق والرومان أن يقيموا اتصالات مباشرة مع مدنه، بالإضافة إلى تزويد المدن الثلاث قرطاج بصورة مستمرة بالجنود المحاربين الذين خاضوا مع قرطاج غمار حروب قاسية.

وفي مقابل ذلك نقل الفينيقيون التقنيات والفنون الحضارية من لغة وكتابة، وتنظيمات سياسية، وطقوس دينية، وتقنيات زراعية إلى مدن الإقليم، الذي يبدو أنه كان على درجة من التخلف السياسي والاجتماعي، مثله في ذلك مثل باقي أقاليم الشمال الأفريقي .

تغير سياسة قرطاج تجاه السكان المحليين بعد الخسائر التي منيت بها في حروبها مع الإغريق والرومان، فبعد أن كانت تدفع جزية للقبائل الليبية مقابل استغلالها للأراضي، أصبحت تستولي على أراضيهم وتطرد السكان إلى الدواخل وتسخر الليبيين في الإقطاعيات الزراعية، مع فرض الضرائب الباهظة عليهم، كل هذا أثار موجة من السخط والكراهية على القرطاجيين، فقامت الثورات العارمة، أهمها ثورة المرتزقة والمأجورين الليبيين.

وعندما استطاعت مملكة نوميدية الشرقية التحالف مع الرومان عدو قرطاج اللدود، بدأت تكيل الضربات الواحدة تلو الأخرى لإنهاء النفوذ القرطاجي في المنطقة، ومعركة "زاما " هي من المعارك الشهيرة التي جسدت هذا التحالف، وكشفت شروطها المذلة

عن مدى كراهية الليبيين لمستعمريهم، بالإضافة إلى أنها تعد حدثاً تاريخياً هاماً، كان بداية تغير للكثير من الملامح السياسية والجغرافية في المنطقة، فتقلص بذلك حكم قرطاج إلى بعض الأقاليم المحيطة بالعاصمة "قرطاجة"، وفي المقابل توسع ملك المملكة النوميدية، على حساب الأراضي القرطاجية، ومن بينها إقليم المدن الثلاث الذي كان "ماسنسن" يعرف أهميته، عندما كان مختبئا فيه، منتظرا وصول حليفه "سكسبيو الاميلي" قائد القوات الرومانية لمهاجمة قرطاج في عقر دارها.

ويمثل استيلاء نوميديا على إقليم المدن الثلاث إحدى الضربات الموجعة التي وجهها " ماسنسن" إلى الحكومة القرطاجية.

وبقي إقليم الامبوريا تحت الحكم النوميدي قرابة المائة عام ونيف، لم يحدث فيه النوميديون أي شيء يذكر من حيث التطور في المظاهر الحضارية والثقافية.

فقد كانت علاقة إقليم المدن الثلاث بالدولتين القرطاجية والرومانية أكثر وضوحا من علاقته بالمملكة النوميدية، وكان ذلك فيما يبدو بسبب عدم اهتمام الملوك النوميديين اهتماما حقيقيا بالإقليم، وإحداث ما يمكن أن ينسب إليهم أو يمثل فترة تبعية الإقليم لهم، فمن الناحية السياسية بقيت نظم الحكم والقضاة كما هي عليه في النظام القرطاجي، فبقيت كل مدينة تحكم نفسها بنفسها ولها حاكمها المستقل، وحدودها وجيشها الخاص، وكانت أنظمة الحكم فيها قرطاجية شكلا وموضوعا.

أما من الناحية الاقتصادية خاصة الزراعية، فقد كانت مدن الإقليم أكثر تطورا في الزراعة من مملكة نوميديا نفسها، لأن وضع الإقليم في العهد القرطاجي يختلف عن وضع هذه المملكة، من حيث إن النوميديين كانوا جيران وحلفاء القرطاجيين وكان سكان الإقليم من رعاياهم، وقد عاش القرطاجيون في الإقليم بحرية تامة، وتزاوجوا مع السكان المحليين، وهو ما نتج عنه ظهور عنصر جديد (الليبو- بونيقي) متشبع بالحضارة الفينيقية، فان كانت نوميديا تستورد التقنيات الزراعية من جارتها قرطاج، فإن القرطاجيين كانوا قد مارسوا هذه التقنيات على أرض الواقع في أراضى الإقليم.

غير أن النوميديين أعطوا المزيد من الانفراج والحرية لمدن الإقليم، فلم يتدخلوا في الشؤون الداخلية لهذه المدن وأبقوا فيها حكاما محليين موالين لهم، يحكمون باسمهم، ويدفعون الضرائب إلى خزينة المملكة، فاستطاعت تلك المدن الاتصال المباشر بمدن البحر المتوسط، وسيرت تجارتها عبر موانئه، مما عاد عليها بالربح الوفير، فساهم في زيادة توسع هذه المدن وازدهارها، واستغلت المدن هذا الانفراج في عقد معاهدات الصداقة والتحالف مع روما القوة العظمي في المنطقة، واستطاعت بهذه المعاهدات أن تحمي نفسها من تدخلات النوميديين والجرمنت وغيرها.

ويمكن القول: إن الحكم النوميدي لإقليم المدن الثلاث لم يكن إلا حكما سياسيا اسميا، رغب من خلاله ملوك نوميديا في حفظ هيبة الدولة، واستمرار تدفق الضرائب والمكوس.

فبالإضافة إلى ما أوردته المصادر الأدبية، والتي هي عبارة عن شذرات أو تلميحات في سياق الحديث عن الحرب القرطاجية الرومانية، والتي تشير إلى سيطرة مملكة نوميديا على إقليم المدن الثلاث، فلم تمدنا المصادر الأثرية بأي دليل مادي يثبت هذه السيطرة، عدا العثور على الكثير من قطع العملة التي صنفها العلماء على أنها تعود إلى الملوك النوميديين ،وبقي الحال على هذا المنوال إلى سقوط مملكة نوميديا بأيدي الرومان عقب معركة "ثابسوس" عام (٤٦ق.م)، والتي تعد نقلة تاريخية أخرى، لها أهميتها التاريخية في المنطقة، فمن نتائج هذه المعركة إلغاء مملكة نوميديا وضم أراضيها والأقاليم التابعة لها إلى ولاية رومانية جديدة قامت بجوار الولاية الرومانية القديمة التي أنشأها الرومان عقب تدمير مدينة قرطاجة في نهاية الحرب البونية الثالثة عام (١٤٦ ق.م) .

ويعد الاحتلال الروماني من الفترات التاريخية المهمة في الإقليم، ازدهرت خلاله مدن الإقليم وخاصة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، وكان أكثرها ازدهارا مدينة لبدة

الكبرى التي أولاها العهد السويري اهتماماً كبيراً حتى أضحت من أهم المدن الرومانية في الشمال الأفريقي اقتصاديا وعمرانياً .

كما أن الرومان قد شجعوا الاستيطان الزراعي في المنطقة، حيث اهتموا بإنشاء العديد من المنشآت المتعلقة بالزراعة وتوفير المياه، واستغلال الأودية والسهول في الإقليم، وهذا يتضح من خلال وجود المنشآت الأثرية في كل أراضي الإقليم تقريباً.

وبالإضافة إلى توسيع المدن وتجميلها، اهتم الرومان بتطوير النظم السياسية والدينية في الإقليم، فأدخلوا عدداً من النظم السياسية والقانونية في مؤسساته وإداراته، وأدخلوا عبادات رومانية لم تكن موجودة من قبل، وقد حاول الرومان نشر الثقافة اللاتينية بين السكان.

في مقابل ذلك زود الإقليم روما بالحبوب وزيت الزيتون، وبالحيوانات البرية وغيرها.

لكن الإقليم قد احتفظ بالثقافة الفينيقية لفترة طويلة من العصر الروماني، فلم يتخل السكان المحليون عن ثقافتهم الفينيقية بسهولة، فقد استمر الكثير من مظاهر الحضارة الفينيقية خلال العصر الروماني، منها الوظائف العامة مثل وظيفة الشوفطم والمحازيم وجابي الضرائب، وكذلك عدد من الطقوس الدينية .

وأهم من ذلك استمرار استخدام اللغة والخط البوني الذي بقي محافظا على خصائصه لمدة أطول خلال العهد الروماني .

وقد ننهي هذه الخاتمة بالقول : إن إقليم المدن الثلاث قد تميز عن باقي أقاليم شمال إفريقيا بعدد من الخصوصيات الحضارية أهمها : وجود عدد من النقائش الثنائية والثلاثية اللغة ، وكذلك تسرب التأثير الشرقي المستخدم في مدن شرق البحر المتوسط (سوريا وآسيا الصغرى) إلى العمارة في الإقليم، والشاهد على ذلك الأقواس الجميلة، وقصر دوغة بمنطقة ترهونة، وغيرها من المنشآت المعمارية، كالأضرحة المرتفعة والمذببة، والأعمدة ذات الأشكال الرباعية، فكل هذه العناصر ذات الخصائص الحضارية عثر عليها في إقليم المدن الثلاث، ولم يعثر على مثيلاتها في مناطق شمال إفريقيا ، باستثناء بعض الأمثلة القليلة التي عثر عليها في كل من "تونس والجزائر".

وكذلك تميز الإقليم بخصوصية الديانة، ففيها نجد أن هناك آلهة مثل الإله "ملك عشتار" واله الكون"أرض" يعبدان في لبدة الكبرى ولا يعبدان في المدينتين الأخريين (ويات وصبراته)، ولا حتى في شمال إفريقيا، وهو ما يبعث على الاعتقاد بان الصوريين هم الذين أسسوا هذه المدينة، وجلبوا آلهتهم إليها.

وأخيرا فإنني لا ادعي بأنني قد وفيت كل الموضوع حقه، ذلك أنه لا زالت توجد بعض القضايا أو الجوانب المتعلقة بالموضوع والتي تحتاج إلي مزيد من الدراسة، ولا يزال هناك حاجة إلى إجراء المزيد من الحفريات الأثرية للكشف عن الجوانب التي تحتاج إلى البحث والدراسة .

عليه يبقى هذا الموضوع مفتوحا أمام غيري من الباحثين، لسبر غوره والكشف عن الأمور التاريخية الغامضة فيه والوقوف على أسراره.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية:

أولاً: المصادر الكلاسيكية

- أبو محمد عبد الله التيجاني، رحلة التيجاني (٧٠٦هـ-٧٠٨هـ)،الطبعة الأولى، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية، تونس ، ١٩٥٨.
- ابن عبد الحكم ، فتح إفريقيا الشمالية واسبانيا ، طبعة الجزائر، ١٩٤٨.
- أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تحقيق:أحمد مسعود السيابي، الجزء الأول، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٧.

- Appianus, Roman History. (L.C.L).
- Caesar, Bellum Civilum.. (L.C.L.).
- Cicero, Inverren (L.C.L.).
- Dio Cassius, Roman History.(L.C.L).
- Diodorus Siculus, Library Of History.(L.C.L).
- Florus, Cornelius Nepos. (L.C.L)
- Herodotus, Historiae. (L.C.L).
- Livy.T, Roman History. (L.C.L)
- Pliny, Natural History .(L.C.L)
- Plutarch, Marcus Cato. (L.C.L.).
- Polybius, the History (L.C.L).
- Sallustus, BELL.JUG. (L.C.L).
- Siliust Italicus, Punica (L.C.L).

- Strabo, Geography. (L.C.L).
- Zonaras, Annuals. (L.C.L).
- Reynolds,J.M.&Ward-Perkins, I R T = (Inscriptions of Roman Tripolitania),1995.

ثانياً: المراجع العربية:

- - إبراهيم نصحي، إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، الجزءان الأول والثاني، الطبعة الأولى، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، بنغازي ، ب.ت.ن.
- أحمد صفر، المغرب العربي القديم، الجزء الأول "من عصر ما قبل التاريخ إلي أخر العصر البيزنطي"، الطبعة الأولى، دار النشر ابوسلامة ، تونس ، ١٩٥٩.
- أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، تونس، ١٩٩٣.
- - أحمد محمد اندبشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الطبعة الأولى، دار الجماهيرية للنشر، مصراتة،١٩٩٣.
- -ا.ف.غوتيه، ماضي شمال أفريقيا،تر: هاشم الحسني، الطبعة الأولى، دار الفرجاني للنشر، طرابلس، ١٩٧٠٥.
- اندريه ايمار وجانين اوبواويه ، روما وإمبراطوريتها، تاريخ الحضارات العام، المجلد الثاني، تر: داغرم.فريد، الطبعة الثانية، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٦.
- -أنيس فريحة، ملاحم وأساطير في أوغاريت، الطبعة الأولى، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- - ب.ل. هـ. ايدرسن ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، تر: عبد اللطيف أحمد علي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٥.
- ب.هـ. ليدل هارت، (حنى بعل)، موسوعة تاريخ العالم، تر:دار المعارف بوزارة التعليم، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٥٢.
- ب. هـ. وارمنجتون،"العصر القرطاجي"، تاريخ افريقيا العام، المجلد الثاني ، تر: احمد عبد الرحيم مصطفي ، وآخرون، اليونسكو، باريس، ١٩٨٥.
- جايمس هنري بريستد ، العصور القديمة ، تر: داود قربان ، دار عز الدين للطباعة، بيروت،(ب.ت).

- جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، الطبعة الأولى، مكتبة الفرجاني، طرابلس،١٩٦٧.
- جود تشايلد ، دراسات ليبية ، تر: عبد الحفيظ الميار ورفيقه ، منشورات مركز
- جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، الطبعة الأولى، طرابلس،١٩٩٩.
- ـــــــــــ، دليل تاريخي، تر: الإدارة العامة للآثار الليبية،إدارة البحوث الأثرية،١٩٧٠.
- جورج مصروعة ، هنيبعل ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطابع سميا، بيروت، ١٩٥٩.
- جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تر: عبد الحفيظ الميار ورفيقه، الطبعة الأولى، دار الفرجاني، طرابلس، ١٩٧٢.
- جون هامرتن، تاريخ العالم، الجزءالثالث، تر: وزارة المعارف، مكتبة النهضة
- المصرية، القاهرة، (ب.ت).
- خزعلي الماجدي، المعتقدات الكنعانية، الطبعة الأولى، دار الشرق، عمان، ٢٠٠١.
- دونا لدر. د.دلي، حضارة روما، تر: فاروق فريد وزميله، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.
- رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم،الطبعة الأولى ، دار أماني للطباعة والنشر، سوريا ، ١٩٨٩.
- رشيد الناضوري، المغرب الكبير ،الجزء الأول (العصور القديمة) ، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية ،بيروت ،١٩٨١.
- ـ سليم حسن، مصر القديمة، الجزءان الثالث والسابع، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١.
- سيد أحمد الناصري ، تاريخ الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٧٦.
- شارل اندريه جوليان ، تاريخ أفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي ورفيقه، الدار التونسية للنشر ، تونس،١٩٨٥.
- طه باقر، لبدة الكبرى، الإدارة العامة للآثار الليبية، طرابلس، ١٩٦٩.

- -عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، الطبعة الأولى ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،٢٠٠١.
- ـــــــــــــ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية في ليبيا ، منشورات جامعة الفاتح، ٢٠٠٥.
- ـــــــــــــ، ليبيا في العهد الفينيقي، (معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا)، اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم، طرابلس،٢٠٠٧
- عبد العزيز سعيد الصويعي، أصول الحرف الليبي (تطور الكتابة عند الليبيين"سكان شمال أفريقيا")، الطبعة الأولى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع،مصراتة، ١٩٩٩,
- ٢٩- عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ، (ب.ت).
- عبد القادر جعلول ، مقدمات في تاريخ المغرب القديم والوسيط، تر: فضيل الحكيم، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر ، المغرب ،١٩٨٢.
- عبد اللطيف أحمد على، التاريخ الروماني " عصر الثورة " دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٧.
- عبد اللطيف محمود البرغوثي،التاريخ الليبي القديم"من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي"،الطبعة الأولى، دار صادر،بيروت،١٩٧١.
- عبد الله حسن المسلمي، الحضارة الرومانية ، ط.١، ب.د.ن. بنغازي، ١٩٩٨
- علي عكاشة وآخرون، اليونان والرومان، الطبعة الأولى، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد ،١٩٩١.
- عمار المحجوبي ، ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلي نهاية العهد السويري
- (١٤٦ق.م.- ١٣٥م.)، الطبعة الأولى، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠١.
- فرنسوا ديكيريه، ، قرطاجة .أو إمبراطورية البحر، تر:عزالدين احمد عزو ، الطبعة الأولى ، دارا لأهالي للطباعة والنشر ، ١٩٩٦.

- فرانسوا شامو، الإغريق في برقة"الأسطورة والتاريخ"، تر: محمد عبد الكريم الوافي، الطبعة التاسعة، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٠.
- فيصل علي سعد الجربي، الفينيقيون في ليبيا من(١١٠٠ق.م.، حتي القرن الثاني الميلادي) ، الطبعة الأولى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، سرت،١٩٩٥.
- فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين،الجزء الأول، تر: جورج حداد ورفيقه ، الطبعةالثانية، دار الثقافة، بيروت ، ١٩٥٨.
- ف. ن. برايس، القرطاجيون وإمبراطوريتهم البحرية، تاريخ العالم، تر: إدارة الترجمة العمومية بوزارة المعارف ، مكتبة النهضة، القاهرة (ب. ت.) .
- لطفي عبد الوهاب يحي، اليونان "مقدمة في التاريخ الحضاري"، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (ب..ث).
- لويس ممفورد،المدينة علي مر العصور،اشرف علي الترجمة إبراهيم نصحي ، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،١٩٦٤.
- مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،(ب.ت).
- مجموعة مؤلفين، امتداد سلطات روما وقوادها المتنافسون، تاريخ العالم، تر: محمد - أنور الحفاوي، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، ١٩٥٧.
- محمد إبراهيم الميلي، الجزائر في ضوء التاريخ، الطبعة الأولى، دار البعث، قسنطينة، ١٩٨٠.
- محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الروماني، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤.
- ـــــــــــــــ ، سياسة الرومنة في بلاد المغرب"من سقوط قرطاجة إلي سقوط موريتانيا"،١٤٦ق.م.-٤٠م، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ١٩٨٢.
- محمد الجراري ، الاستيطان الروماني في ليبيا ، متنشورات جامعة الفاتح ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ١٩٨٤.

- محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي وظهير ه في الجغرافيا والتاريخ ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦.
- محمد الصغير غانم ، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٩٩.
- ـــــــــــــ ،المملكة النوميدية والحضارة البوبية، الطبعة الأولى، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،١٩٩٨.
- محمد أيوب سليمان، جرمه في تاريخ الحضارة الليبية، الطبعة الأولى،دار المصراتي للطباعة والنشر،طرابلس،١٩٦٩.
- محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء التاسع (المغرب القديم)، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠.
-
- محمد حسين فنطر ، يوغرطة من ملوك شمال أفريقيا وأبطالها، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٠.
- محمد رفعت، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٠.
- محمد عبد المنعم الشرقاوي ورفيقه، ملامح المغرب العربي، الطبعة الأولى، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٥.
- محمد علي عيسي، مدينة صبرا ته، ط.١، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨.
- محمد محي الدين المشرقي، أفريقيا الشمالية في العصر القديم، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٧.
- محمود النمس والصديق أبو حامد، دليل متحف الآثار بالسرايا الحمراء بطرابلس، إشراف مصلحة الآثار، الطبعة الأولى، الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٧.
- - م. روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، الجزء الأول، تر: زكي علي ورفيقه، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧.

- مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم،الطبعة الأولى، المطبعة الأهلية، بنغازي، ١٩٦٦.

- منجي النيفر، الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء، الطبعة الأولى، الدار التونسية للتوزيع، تونس،(ب.ت).
- نيقولو ميكيافيللي، الأمير "تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده"، تر: خيري حماد، الطبعة الثانية عشر، منشورات الآفاق الحديدية، بيروت، ١٩٨٥.
- هانس فايس، الصحراء الكبرى، تر: ميكائيل محرز، مركز الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، طرابلس،١٩٧٩.
- وليم لانجر، موسوعة تاريخ العالم، تر:محمد مصطفي زيادة، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٥٢.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- *-Broughton,T.R.S.The Romanization of Africa Proconsulanis,Oxford,1929.*
- *-Camps,G.Massinissa,ou les dêbuts de hostoire, Libyca,8,1961.*
- *---------------.(Archeoloqie-Epigraphie),L'Aux origins de La Berberie Massinissa ou le debut de l'Histoire Libyca., T.8.*
- *-Cary. M., and Scullard. H.H., A History of Rome down to the reign of Constantine, 3 Edition, London, 1975.*
- *-Chabot,J.B.Recueil des Inscriptions Libyques, Paris imprimerie, Nationale, 1940.*
- *-Desanges,J.L'Afrique Romaine et Libyco-Berbere, in Rome et la conquete du mond mediterraneen,ed1,Press University de France., Paris ,1978.*
- *–Divita, A." Gli Emporia Di Tripolitania Dall' a di Massinissa a Diocliano : Un profile Storico- Istuziontale" Editor Walter De Gruyter, New York, 1982.*

- ***-Elmayer.A.F, Tripolitania and the Roman Empire, Series8,Markaz Jihad Al-Libyin, Tripoli, 1997.***
- ***-Fentress, E.W.R. Numidia and Roman Army, British Archaeological Reports. International Series, 53, Bonbury Road Oxford, England, 1979.***
- ***-Fevrier , J.G. Histoire de L' ecriture, Paris , 1984.***
- ***- Geddeda,R.A, the Defense system in Libya During, iv, Century A.D., Portland Stat University, 1970.***
- ***-Gerham, A. Roman Africa, Press Freeport, New York.***
- ***-Greenhalgh,P.A.L. pompey; The Republican prince, Weidenfield and nicolson, London, 1981.***
- ***-Gsell,S.Etudes,Sur L' Afrique, Université de Lille, Lille, 1981.***

- ***----------- Histoire Ancienne de l’Afrique du Nord,Tii, paris 1920.***
- ***-Hamond L.G.N.,&. Scullard . H.H., The Oxford Classical Dictionary, 2nd edition Clarendon Press, Oxford, 1979.***
- ***-Haynes, D.E.L. Antiquities of Tripolitania An archaeological and Historical, Guide, to the pre-Islamic, 4th Edit, the Department of Antiquities, Tripoli.***
- ***-Lacroix ,L. Histoire de la Numidie et de la Maurtanie, Paris 1944.***
- ***-Lewis, C. T. & Short, C. A latin Dictionary, Oxford, 1975.***
- ***-Mattingly,D.J.Tripoitania,B.T. Bastford, Limited, London,1995.***
- ***-Mazard , J .Corpus Nummorum Numidia Mauretaniaeque , Arts et Metiers , Graphiques, Paris , 1955.***
- ***-Merighi , La Tripolitania Antica ,vol.1, Verbania,1940.***

- ***-Muller,L. Numismatique de l’Ancienne Afrique, Supplément, Copenhague.***
- ***-Picard.B, Hannibal, Paris,1967.***
- ***-Rebuffat ,R. "Où étaient les Emporia?" dans Mélanges,M.Sznycer,ii,Paris, 1990.***
- ***-Romanelli, P. Leptis Magna, Rome, 1925.***
- ***-----------------, P. Storia della province dell'Africa Romana, 1959.***
- ***-Rouje , J. Recherches sur L’ Organisation de commerce maritime en mediterranee sous l’Empire Romain , paris, 1996.***
- ***-Saumagne,Pretextes,Jurdiques de la 3eme Guerre Punique Revue Historique,T.167, Paris, 1931.***
- ***- Scullard, H .H. A history of the Roman world from (753-146.B.C.), 3rd ed., London, 1961.***
- ***-Thrige, J.P. Res Cyrenesium, Airoldi Italy, 1940 .***
- ***-Toynbee, Hannibal, Oxford, (vol. 2), 1965.***

* *- Troussel , M. Le Trésor Monéaire de Tiddis, Rec. Cons., lxvi,1949.*
* *– Trousset, P. "La Vie Littorale et les ports dans ,la Petite Syrte à l'époque romaine", Colloque sur l'histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord , Avignon,1985*.

رابعاً : الدوريات العربية:

- اتوروسلر،" النوميديون(أصلهم، كتاباتهم، لغتهم)"، تر: نجم الدين غالب، الفصول الأربعة، العدد٢٣،السنة السادسة، الأدباء والكتاب والفنانين الليبيين، نوفمبر، طرابلس، ١٩٣٣.
- أحمد توفيق المدني، "الفينيقيون"، مجلة اللسان العربي، العدد الثالث، المكتب الدائم لتنسيق التعرية، الرباط،١٩٦٥.
- أحمد سليماني، "ماسينسا"، مجلة التاريخ، عدد ٢١، الجزائر، ١٩٨٦.
- إدارة البحوث الأثرية، "مدينة قرزة"، مجلة أثار العرب، العدد الثالث، مصلحة الآثار، ١٩٩١.
- أسامة صالح، "لبدة الكبرى (مدينة يبنيها العرب الفينيقيون)"، الثقافة العربية، العدد الأول، نوفمبر، ١٩٧٣.
- توينبي، "ليبيا كما يراها توينبي" ، تر:علي فهمي إخشيم، الرواد، العدد الثاني عشر، نوفمبر، ١٩٦٥.
- ديفد ماتتغلي، "الأوضاع الاقتصادية والثقافية في أواخر الفترة الرومانية بإقليم المدن الثلاث" تر:مصطفى الترجمان، مجلة أثار العرب، العدد التاسع والعاشر، مصلحة الآثار، ١٩٩٧.
- سعيد علي حامد، "التجارة والأسواق في طرابلس عبر التاريخ"، مجلة تراث الشعب، العدد الرابع، السنة الحادية عشر، طرابلس، ١٩٩١/١٩٩٢.

- شارل صومان، "الذرائع الشرعية للحرب البونية الثالثة"، المجلة التاريخية، عدد ١٦٧، الجزائر، ١٩٣١.
- طه باقر، "أخبار أثرية"، مجلة ليبيا القديمة، العدد الثالث والرابع، ١٩٦٦-١٩٦٧.
- عبد الحفيظ الميار، "اكتشافات أثرية جديدة في منطقة الجبل الغربي"، مجلة تراث الشعب، العددين الثالث والرابع، الإعلام والثقافة، ١٩٩٨.
- ـــ ، "ظاهرة استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس الغرب خلال العهد الروماني"، مجلة أفاق تاريخية، العدد الأول، السنة الأولى، الجمعية التاريخية العربية، ١٩٩٦.
- ـــ، "ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية"، مجلة آثار العرب، العدد٢١/٢٢، مشروع تنظيم وإدارة المدن القديمة، مصلحة الآثار، طرابلس،١٩٩٩.
- عماد حاتم، "حفنة من تراب التاريخ القديم"، الفصول الأربعة، عدد١٤، السنة الرابعة، يوليو، رابطة الأدباء والكتاب الليبيين، طرابلس، ١٩٨١.
- محمد البشير شنيتي، "جوانب من علاقة الدولة القرطاجية بالمغاربة "(المحتوى الوطني لثورة الجنود المأجورين) " ، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية الجزائر،١٩٧٧.
- ـــ ، "قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الخامس، جامعة الجزائر، ١٩٨٨ .

- محمد الجراري ، "موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني" ، مجلة الثقافة العربية، العدد السابع، السنة التاسعة، طرابلس، ١٩٨٢.
- محمد الصغير غانم، "نقيشة شرشال، مجلة سرتا"، عدد ٤، الجزائر، ديسمبر، ١٩٨٠.
- ـــ، "نقيشة مسيسبا الأثرية"، مجلة سرتا، العدد الرابع، قسنطينة، ١٩٨٠.
- محمد الميلي، "فجر التاريخ في المغرب، مجلة الأصالة"، العدد الثاني، السنة الأولى، مايو، الجزائر، ١٩٧١.
- محمد حسين فنطر، ماذا عن النقائش البونية" النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي"، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٨.
- محمد علي عيسي، "تبليط شوارع مدينة لبدة وثورة تاكفاريناس"، مجلة أثار العرب، العدد الخامس، مصلحة الآثار، ١٩٩٢.

خامساً: الدوريات الأجنبية:

- - *Ad Cock, F. "the Civil War", vol. ix (the Roman Republic. 133-44 B.C.), Cambridge Ancient History, Cambridge University press, London ,1932.*
- - *Arthur,p." Hellenistic and Roman Sites at Marsa Gezirah near Misurata" , Libyan Studies, vol.14, 1983.*
- -*Brogan, O. "First and Second Century Settlement in The Tripolitania Per-Desert", Libya In History, University of Libya, Benghazi,1968.*
- -*Cook,S.A. et al," the imperial Peace (70-90A.D)", The Cambridge Ancient History, vol. xi, 4th, Cambridge University Press, London,1932.*
- -*Elmayer, A. F."The Re-Interpretation of Latin–Punic Inscriptions From Roman Tripolitania", Libyan Studies, vol. 15,*١٩٨٤ .

- *- Hallward.B.L."Scipio and Victory,Cambridge Ancient History",,vol.III, 1th ed. ,Cambridge University Press, London,1932.*
- *-Jenkins ,G.K. "Some Ancient Coins of Libya Tripolitania " Society for Libyan Studies, vol. 5, 1973 - 1974.*
- *-Otes, D. "The Tripolitania, Gebl, Settlement of the Roman period around Gasr ed Daun", Paper of the British School at Rome",vol. 21,1953.*
- *-Penfold, D.A." Roman Economic Expansion and Exploition in The Maghrib",vol .vi, Cambridge Ancient History ,Cambridge University Press, 1966.*
- *-Romanelli.P," La Tripolitania Nel Quadro Dell, Archeologia Nord Africa", Libya In History, University of Libya, Benghazi,1986*
- *-Thopson.L,A." Roman and Native in the Tripolitania citties in the Early Empire",*

Libya In History, University of Libya, Benghazi, 1968.

- *- Walsh, P.G." Massinissa", vol.4, Journal of Roman Studies", 1965.*
- *- Ward Perkins,J.B. "pre-Roman Elements in the architecture of Roman Tripolitania", Libya In History, University of Libya, Binghazi, 1968.*

سادساً: الرسائل والبحوث غير المنشورة باللغة العربية:

- جمعة البشير الحراري، الحياة الاجتماعية والدينية في ولاية أفريقيا البروقنصلية، كلية الآداب، جامعة الفاتح، ٢٠٠٤،"رسالة ماجستير غير منشورة"
- حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، الجزائر، ١٩٨٥(رسالة ماجستير غير منشورة).
- عبد العزيز عبد الفتاح عمر، روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلي عصر أغسطس ، معهد البحوث الإفريقية ، جامعة القاهرة، ١٩٨١، (رسالة ماجستير غير منشورة).
- فاطمة علي الشيخي، يوغرتا (ودوره في مقاومة الاستعمار في نوميديا)(١٥٤ق.م. ــ ١٠٤ق.م.)، كلية الآداب، جامعة قاريونس، بنغازي، ٢٠٠٥، "رسالة ماجستير غير منشورة".
- مفتاح أحمد الحداد، التاريخ السياسي والاقتصادي لولاية أفريقيا البروقنصلية، جامعة الفاتح، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٢.، (رسالة ماجستير غير منشورة).
- موسى معمر الريحاني، تاريخ النظم الدفاعية في ولاية أفريقية الرومانية ١٩٢م. ــ ٤٣٠ م.، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، ترهونة، ٢٠٠٤. "رسالة ماجستير غير منشورة".

سابعاً: الرسائل غير المنشورة باللغة الأجنبية:

- Hadi Fareh, La Tripolitain a l’Epoque Byzantine.,Universite du Sousse ,(Diplôme D’Etudes Approfondies), Tunisie,2002.
- Zaghdoud , A. Cotes et Activités Littorales en Tripolitaine Tunisinne dans, L’Antiquité, ,Université de Sousse,(Diplôme D’Etudes Approfondies), Tunisie, 2005.

ملحق بأسماء المدن والمواقع

الاسم القديم		الاسم الحالي
امبساجا	(Ambsaga)	الودي الكبير
برينيكا	(Berenica)	بنغازي
كاراس	(Caracs)	سلطان
القل	(Chullu)	القـــل
قرقنة	(Circina)	قرقنة(سيرينا)
كرتا	(Cirta)	قسنطينة
قوريني	(Cyrene)	شحات
جيغيثيس	(Gigthis)	بوقارة
حضرموت	(Hadrumetum)	سوسة (تونس)
هيبو درايتس	(Hippo Diarrhytus)	بنزرت
هيبون	(Hippo Regios{Hippona)	عنابة
ليبتس ماقنا	(Leptis Magna)	لبدة الكبرى
ليكسوس	(Lixus)	——
ماكوماكو	(Macomaco)	قرب مدينة تاورغاء
مغماداس	(Macomadas)	قصر الزعفران
ماكامادوس	(Macomados)	سرت القديمة
معلة	(Mileu)	معلة
ويات- اويا	(Oea)	طرابلس القديمة
عتيقة	(Otica)	——
روسيسد	(Rusicade)	سكيكدة

روسبينا	(Ruspina)	المنستير
صبراتن	(Sabratha)	صبراته
سيجا	(Siga)	سيجا
سوباتوتو	(Supatutu)	الداوون بمنطقة ترهونة
تكباي	(Tacape)	قابس
ثابسوس	(Thapsus)	رأس الديماس بتونس
دقة	(Thugga)	دقة بتونس
جامة	(Zama Rija)	بالقرب من سوسة بتونس